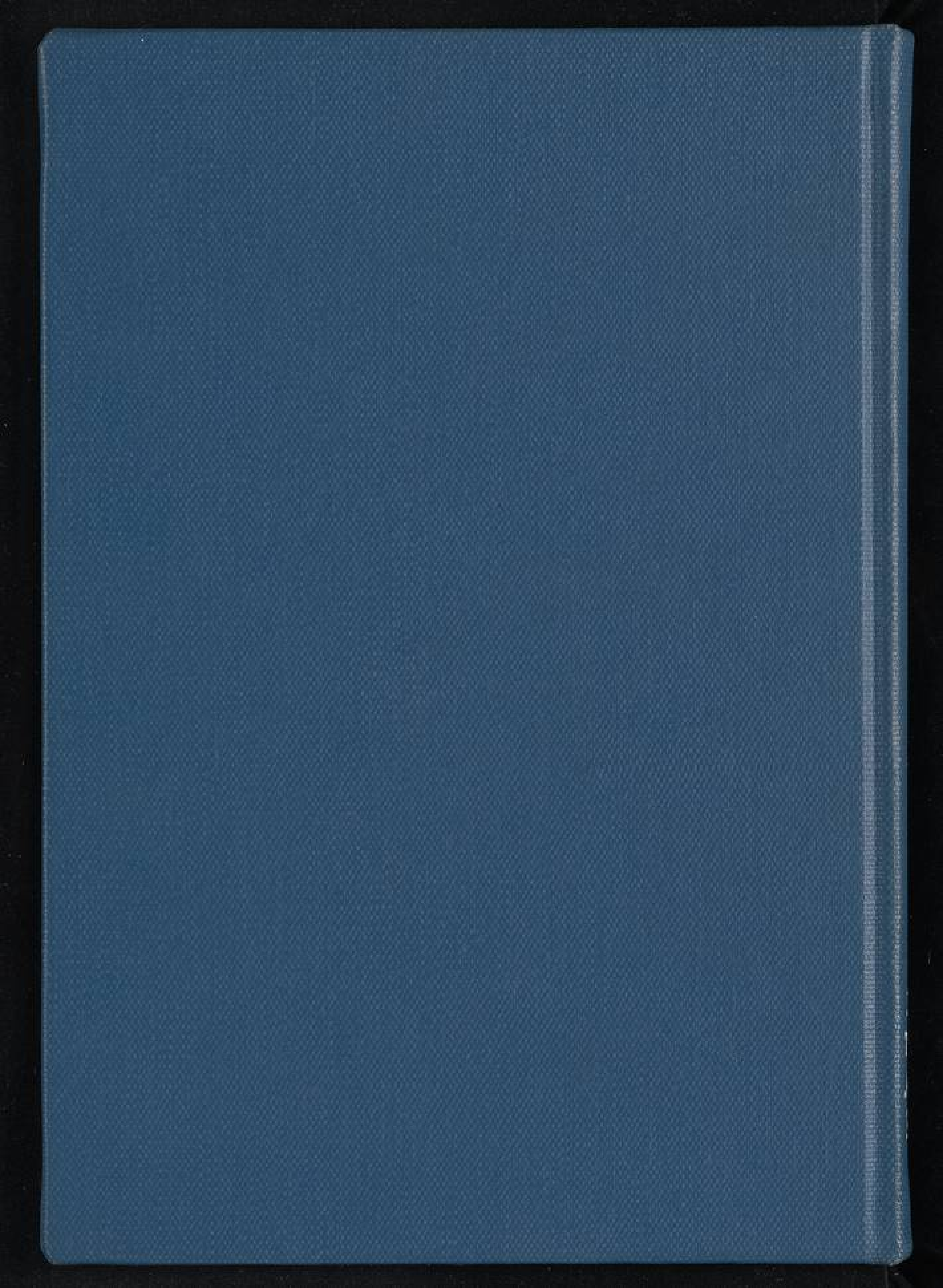
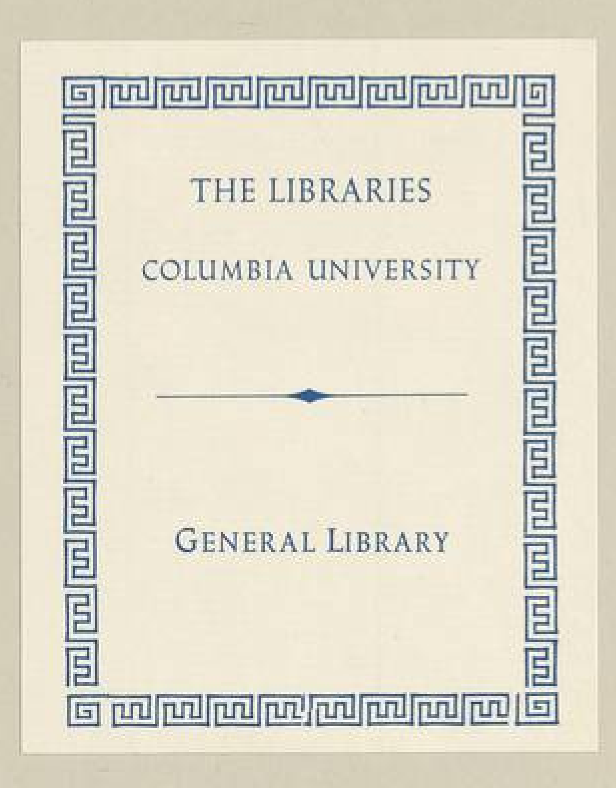
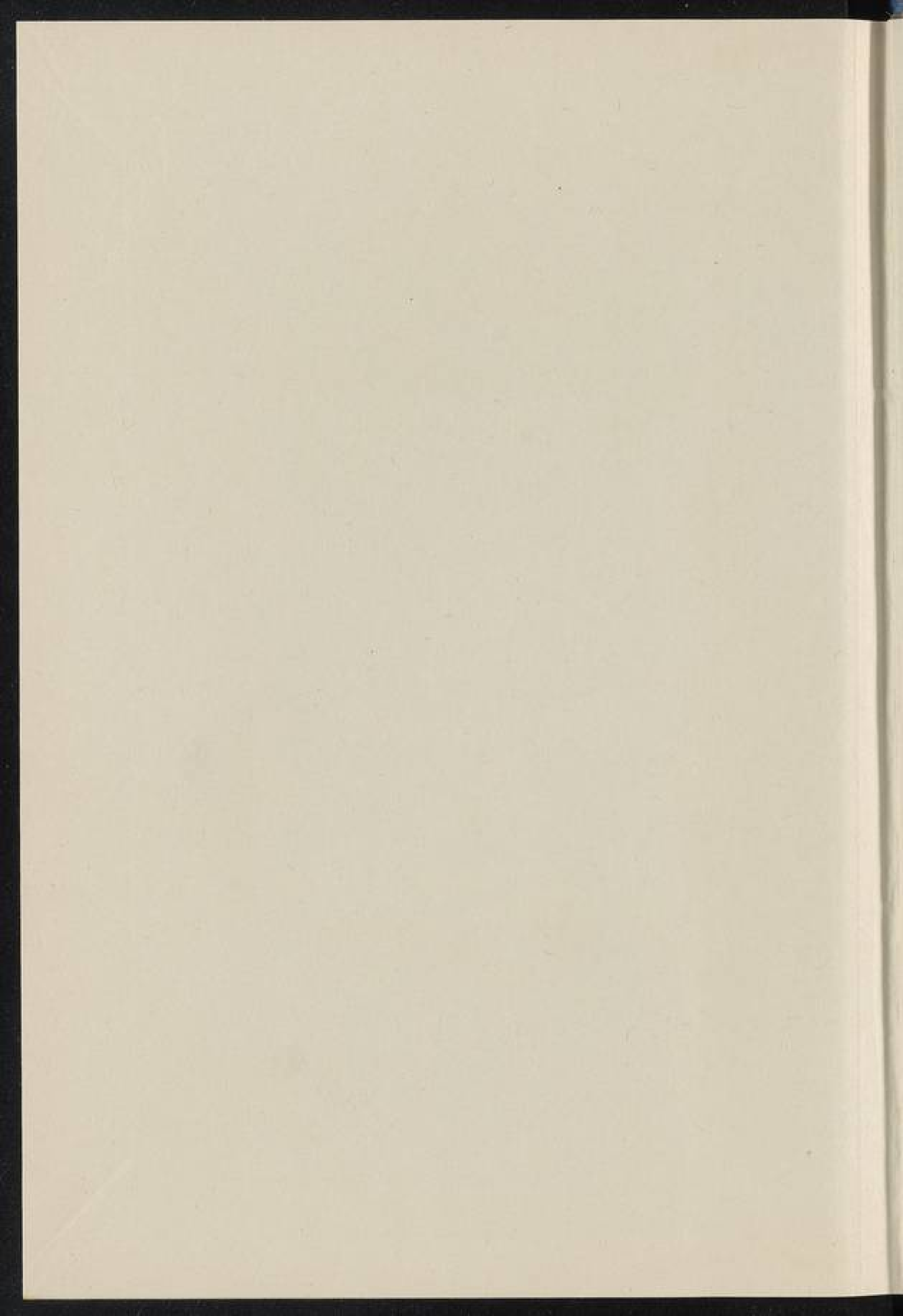
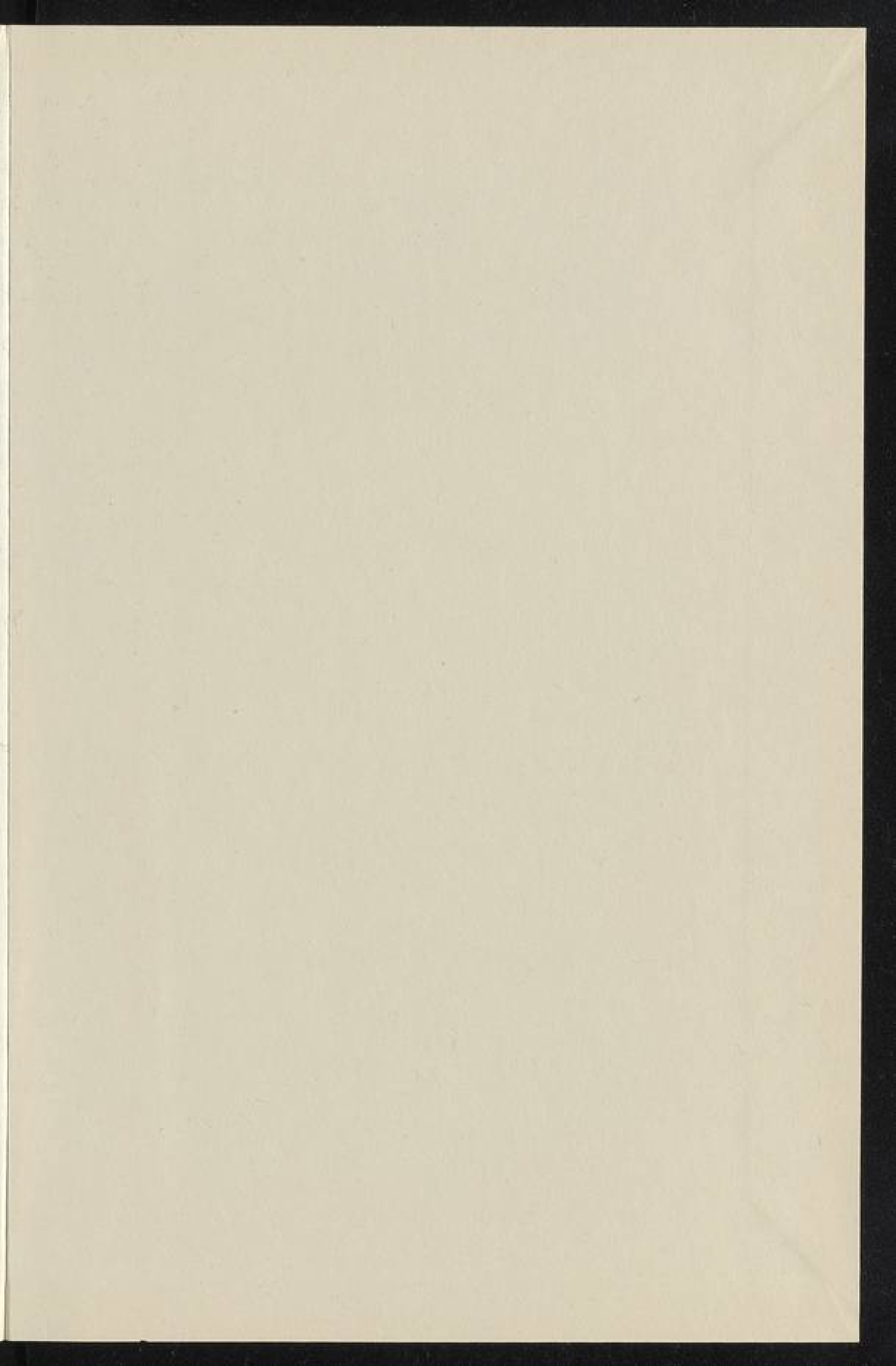
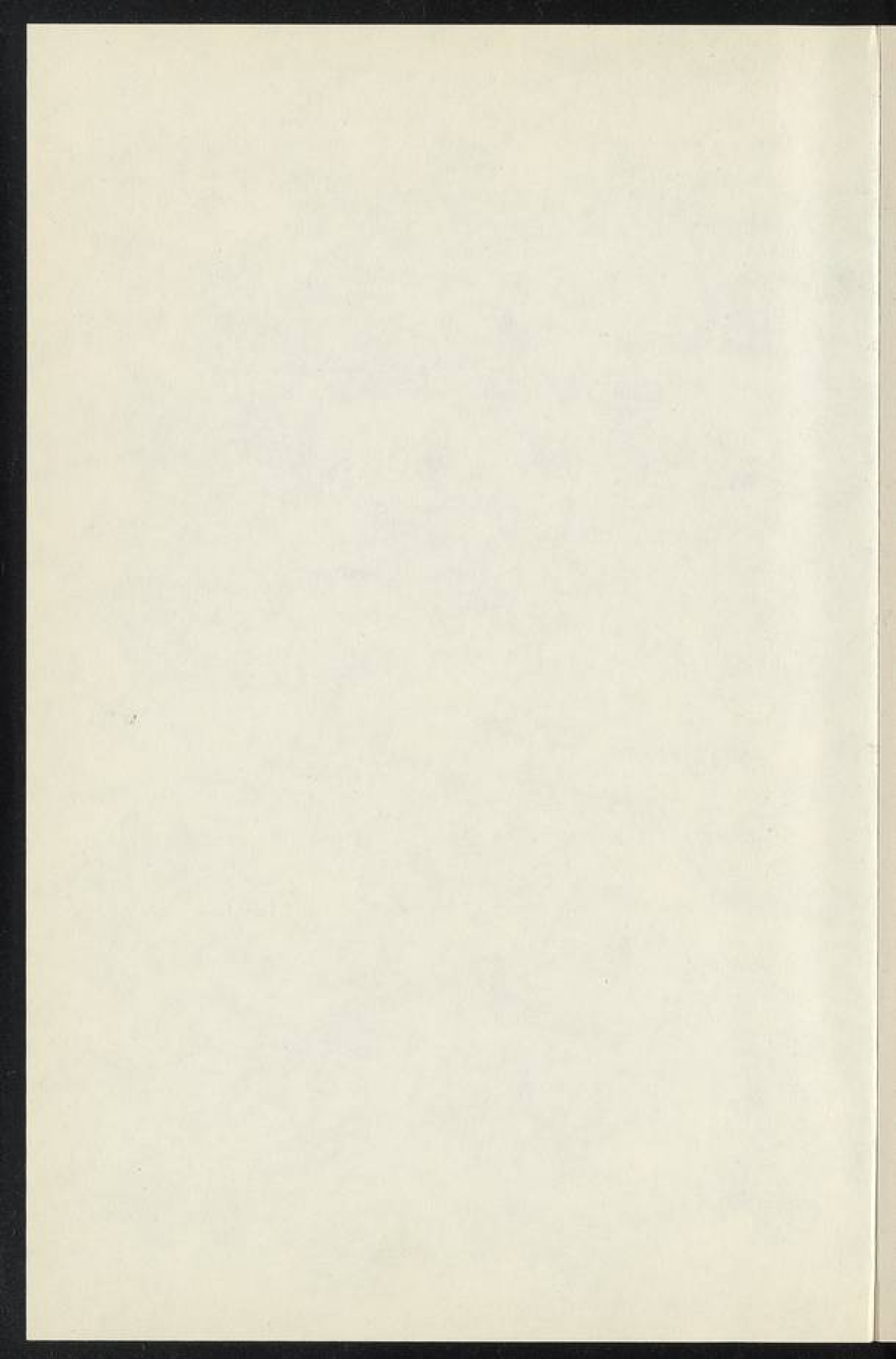


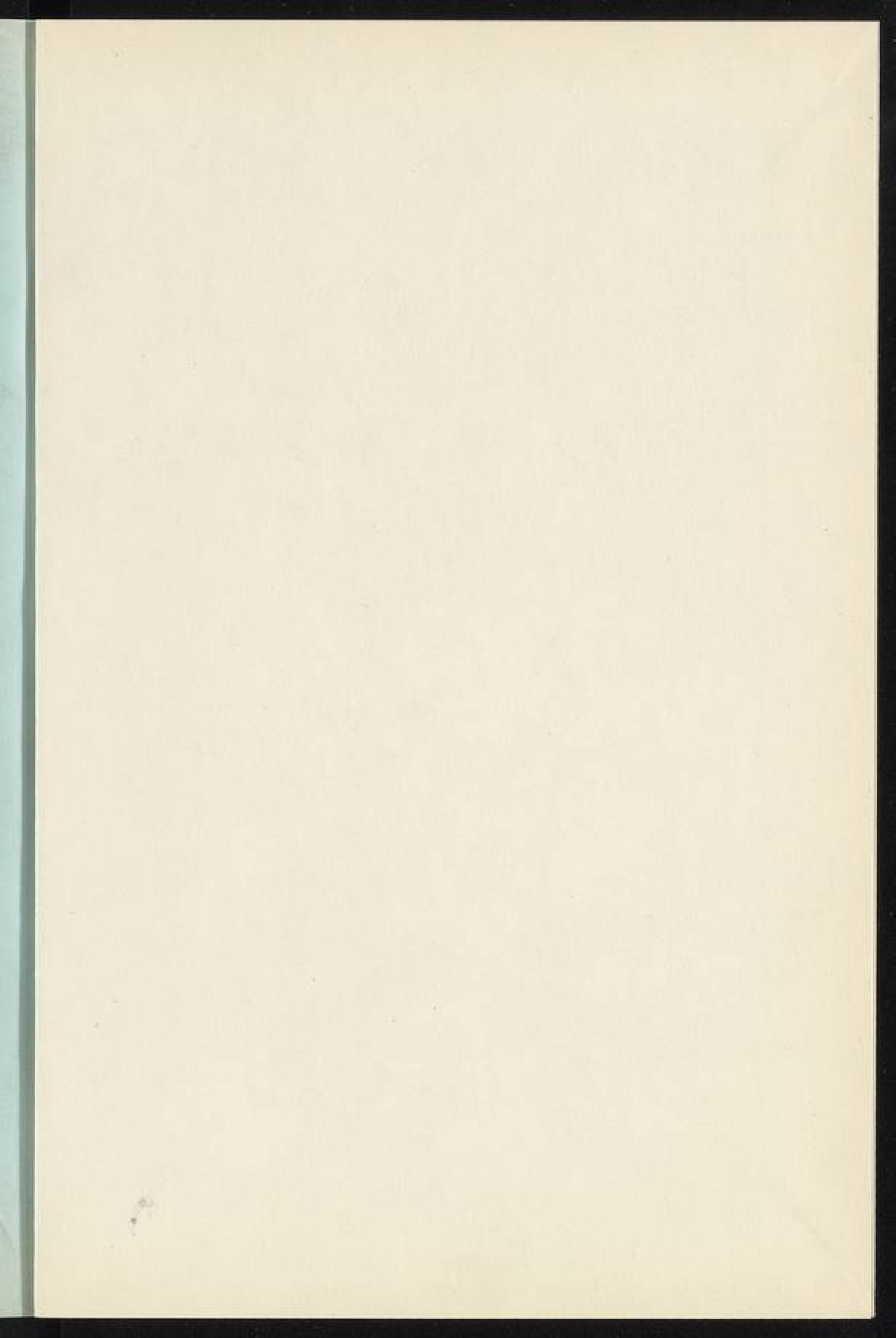


THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY
GENERAL LIBRARY









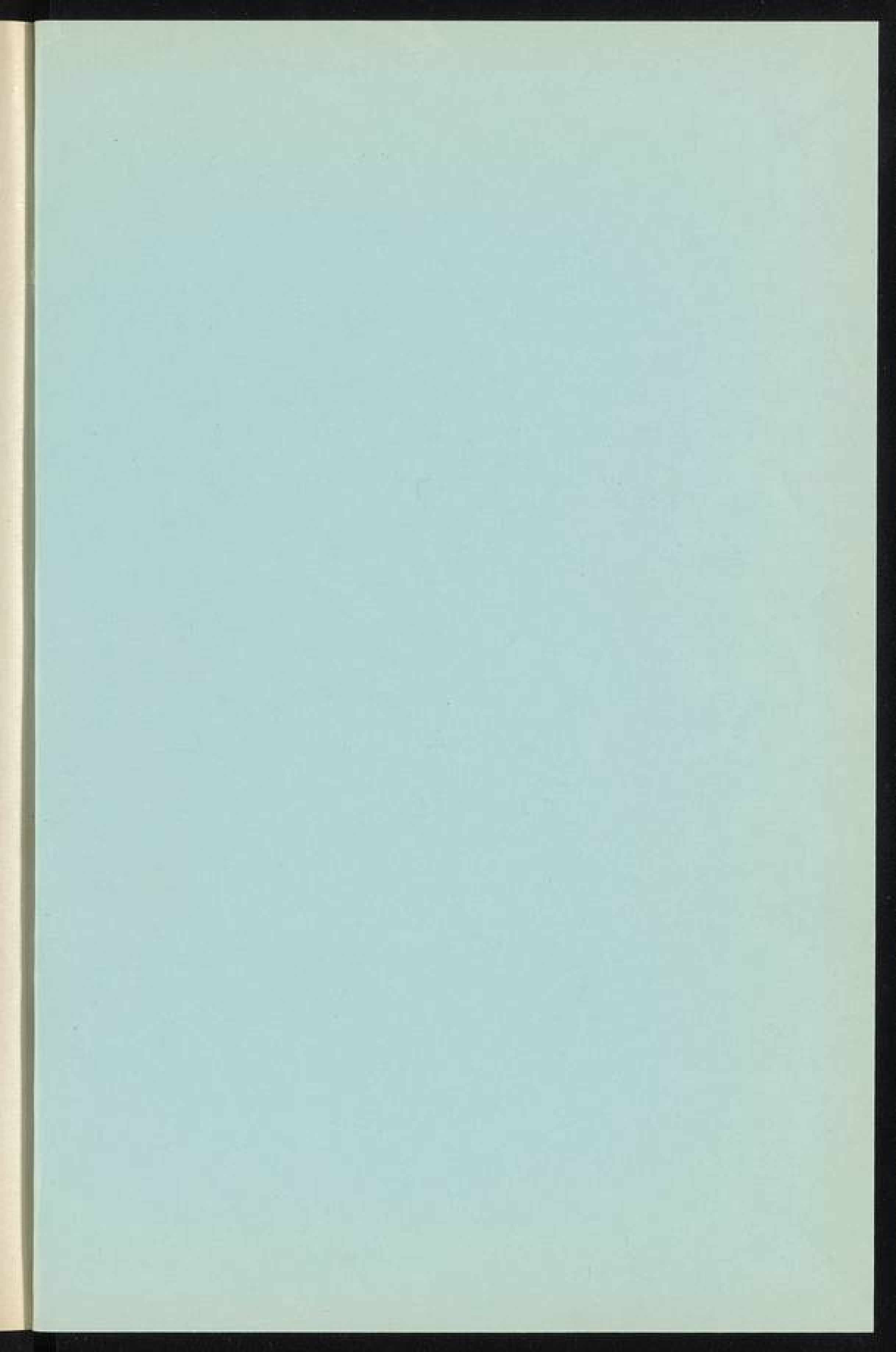
تاريخ الكوت

تاليف

الدكتور عادل البكري

١٩٦٧

مطبعة العاني ـ بغداد



تاريخ الكوت

تاليف
الدكتور عادل البكري

١٩٦٧

مطبعة العاني ـ بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

لي عن الكوت من الذكريات اثنتان : اولاهما وانا رهين سجنها المعروف في العهد الشعوبي القاسمي ، يوم كان العراق كله يخوض حربا ضد ذلك العهد الذي تهان فيه الكرامة وتهدر المثل العليا . والثانية منهما بعد ان زال ذلك العهد البغيض ، فتقرر تنسيبي كرئيس دائرة مركزية في اللواء .

ففي المرة الاولى كنت لا اعرف من الكوت غير فسحة مربعة من سماء سجنها ، كنت ارقب فيها الشمس وهي تصعد مشرقة كل يوم من زاوية منها ، وتغيب في زاويتها الاخرى بشكل رتيب ، غير أنني عرفت من الكوت آنذاك شيئا آخر غير هذا ، مما يشهد بالفضل وينطق بالشهامة : عرفت اهل الكوت على حقيقتهم وهم يفدون لزيارتي لا يحول دونهم الارهاب ولا التخويف اللذان عرفهما كل من كان يقترب من المعتقلات وقتئذ ، حتى انني اذكر يوم عيد جاءني فيه من اهل الكوت قوم لزيارتي امتلأت بهم باحة السجن على سعتها وليس فيهم احد يعرفني معرفة ما ، فقضيت وقتا طويلا في مصافحتهم والرد على تحياتهم واحدا بعد واحد .

لقد عرفت من اهل الكوت آنذاك كرم الاخلاق وصدق المودة وطيب السجايا مما ترك في نفسي اثرا جميلا لا يمكن ان انساه .

ثم بعد عودتي ثانية الى الكوت ، ومن خلال اقامتي فيها بحكم وظيفتي ، عرفت كل شيء عن تلك المدينة وتاكد لدي ما لحظته في السابق عن اهلها ، وكنت قد اخذت عهدا على نفسي ان أفرغ كل جهد استطيعه للعمل لصالح

هذه المدينة واهلها • ثم وجدت ان الكوت لم يكتب لها تاريخ حتى الآن دون العدد الكبير من مدن العراق التي دونت لها تواريخ مفصلة مثل بغداد والموصل والبصرة واربيل والعمارة وغيرها ، فعقدت العزم على ان ادون لهذه المدينة تاريخها تعبيرا عما احمل لها من مودة ، وليكون ذلك حلقة اخرى تضاف الى سلسلة تواريخ المدن العراقية •

وقد استأثرت الكوت في المدة الاخيرة باهتمام بعض المثقفين من ابنائها ، اذ أنني لم اكد أنجز كتابي هذا حتى بلغني ان اكثر من واحد كان يجمع المعلومات عن هذه المدينة في سبيل اخراج كتاب عنها ، وربما كانوا قد بدأوا بعملهم قبل مدة طويلة فكان هذا بادرة طيبة تجاه هذه البلدة العزيزة التي اخذت تخطو في السنوات الاخيرة خطوات واسعة نحو التقدم والعمران •

وكنت قد مضيت استقصى كل ماله علاقة بهذا التاريخ منذ ان ظهرت اولى الحضارات في العراق ، وكيف كانت ارض لواء الكوت في زمن الفرس وفي عهد العرب ، يوم كانت تدعى بأرض السواد وتكتظ بالمدن والارباض والقرى والمزارع ، ثم ما لقيته (مع جميع انحاء العراق) على يد هولاكو من ويلات تخجل منها الانسانية حيث حطم صرح الحضارة العربية واطفأ السراج الذي كان مرفوعا عليه ، والذي استمد نوره من عبقرية أجيال من ابناء هذه الامة • وما اعقب ذلك من فترة مظلمة كان الرجل فيها لا يأمن على نفسه ان يعود الى بيته سالما فى وضح النهار • ثم البحث بالتفصيل عن انشاء الكوت وتسميتها وتطورها وتوسعها ، والمحنة العصيبة التي مرت بها عند حصارها ابان الحرب العظمى الاولى حيث لجأ اليها الجنرال الانكليزي طونزند ليرمي بنفسه هو وجيشه فى احضانها ، فآوته وما من شيمة العربي ان لا يغيث الملهوف ، فتحمل اهلها من أجله الجوع والعري والضيق حتى اكلوا لحوم الخيل وما دون ذلك ، واقتاتوا على الحشائش البرية ، فاذا جاءهم الفرج ورحل عنهم هذا الدخيل ، جاءهم غريب آخر لا تقل ايامه سوءا ونقمة عن ايام سالفه فحل بينهم يقتل رجالهم وينصب

المشانق لهم في ازقة المدينة ، لا تأخذه في امر ما رحمة او عذر .

وقد حظيت الكوت بعد هذا الحصار باهتمام الغربيين بعد ان ذاع صيتها في العالم اجمع فعمد البعض من رجال الفكر لا سيما من الانكليز الى وضع المؤلفات الضخمة عن الكوت وحصارها ، واطلق اسمها على بعض المحلات في المدن البريطانية . كما ان من المؤرخين العسكريين العراقيين من اهتم بهذا الحصار كالعميد الركن شكري محمود نديم وغيره فوفاه حقه من البحث .

وقد تناولت في هذا الكتاب اللواء باجمعه على اعتباره ملحقا بالكوت فعنيت بمدنه واريافه وعشائره قديما وحديثا ، فان كان البحث في كثير من الاحوال (لا سيما قديما قبل ان تؤسس مدينة الكوت) يميل بكليته الى ذكر ما يتعلق بواسط ، فذلك لان واسطا كانت قاعدة هذه المنطقة واهم مدينة في ارض هذا اللواء ، فكان ما يحيط بواسط من ظروف يعد أهم ما في تاريخ اللواء آنذاك ، غير انني كنت اكف القلم عن الاسترسال في ذلك كثيرا لانني لم اكن اكتب تاريخا لواسط نفسها . ومع كل ما ذكرت لم اجد من صعوبة في شيء الا ما كان متعلقا بحاضر مدينة الكوت ، على نقيض ما يظن احدهم فيقول ان ذلك سهل التناول لقربه من مظانه ، وهو انني لست من أهل المدينة فلم أجز لنفسي التوسع خشية الزلل . غير انني وجدت من بعض علمائها وادبائها كل عون في تذليل الصعوبات التي كنت اجابهها في سبيل انجاز الكتاب واخص بالذكر منهم سماحة العلامة السيد محمد صادق الحكيم والاستاذ الفاضل السيد سلمان الخطيب من علماء النعمانية ووجهائها ، وكلا من الاستاذين خليل العطية وجليل العطية من ادباء الكوت المعروفين ، وكذلك السيد هاشم الخطيب والسيد راضي الطباطبائي وغيرهم من المعنيين بشؤون الادب والثقافة ، ومن المسؤولين وذوي الاختصاص من المهندسين . فاليهم جزيل شكري وعظيم امتناني .

وبعد فان الكتاب قد يكون فيه من العيوب والنواقص ما لا يخفى على متبصر لا سيما ما كان ناتجا عن السرعة في انجازه تجاوبا مع الظروف

الخاصة المحيطة بي • وقد قال ابراهيم بن العباس الصولي : ان المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل فيه من منشئه • فما أحوجني الى من يرشدني مشكورا الى مثل هذا الخلل ، راجيا ان اكون قد اوفيت البحث حقه أو بعض حقه والله ولي التوفيق •

المؤلف

مع فجر التاريخ

ان الارض التي تمتد بين لوائي ديالى وبغداد شمالاً حتى لوائي العمارة والناصرية جنوباً ، وبين لوائي الحلة والديوانية غرباً حتى الحدود الايرانية العراقية شرقاً ، والتي تبلغ مساحتها ١٦٥٥٤ كيلومترا مربعا تدعى اداريا بلواء الكوت نسبة الى مدينة الكوت التي انشئت فيه على دجلة مقابل تفرع نهر الغراف والتي اتخذت قاعدة لهذا اللواء .

وبلفظ آخر هي الارض التي تمتد من جنوب طيسفون[١] الى جنوب واسط ، ومن المنطقة الواقعة بين النهرين حتى حدود فارس ، والتي كانت قد شهدت منذ أقدم العصور حضارات مختلفة تفتحت براعمها مع فجر التاريخ وتطورت مع تطوره ، وشهدت من الوقائع والحوادث أهمها واخطرها .

وفي ذلك الوقت ، عندما كانت حضارة ما بين النهرين في أول ازدهارها ، كانت بلدة (الدير) الواقعة في هذه المنطقة قريباً من حدود ايران تمرّ بمرحلة مهمة من مراحل حضارتها . و (الدير) معناها باللغة الاكدية : الحصن او البلدة أو المكان المحصن . ومنها جاءت تسمية بدرة بهذا الاسم وهي البلدة التي نشأت على انقاض الدير وكانت مظهراً من مظاهر تجددها . فكلمة (بدرة) متكونة من (ب) المخففة من الكلمة الآرامية (بيت) ، ومن (دير) التسمية القديمة كما هي الحال في بكسايا وبسمايا وغيرها من أسماء المدن التي سكنها الاراميون أو عرفوها في اسفارهم واتصالاتهم فادخلوا كلمة (بيت) على اسمائها القديمة[٢] كما ان اسم بدرة ورد في بعض المراجع العربية باسم بادرايا وقد جاء ذكرها في الكتب الارامية بصورة (بيث درايا) . ومعنى (درايا) المذرّون الذين يذرون محاصيل الزرع .

---

(١) وهي المدائن وتدعى اليوم سلمان باك وسيأتي التعريف بها .
(٢) مجلة سومر ٠ ج١ المجلد السابع ١٩٥١ — فؤاد سفر

وجاء في دائرة المعارف الاسلامية ان كلمة (درايا) هي اسم قبيلة .

وكان موقع مدينة الدير معلوماً وثابتاً منذ القديم ، حتى ان خارطة العالم التي وضعت في بابل قبل نحو أربعة آلاف عام على لوح من الطين والتي تعد أقدم خارطة في التاريخ حددت موقع الدير في منطقة تقع جنوب مدينة آشور ، في القسم الشمالي الشرقي من منطقة المستنقعات . وهـذه الخريطة تمثل العالم بأسره في ذلك العصر ، وتتكون من دائرة يحيط بهـا البحر السماوي ، وفي داخلها وضعت بلاد بابل وآشـور ، ويغمر القسم الجنوبي منها مستنقع يتصل بالبحـر ، وهي محفوظة في خزانة المتحـف البريطاني[٣] .

ولمدينة الدير موقع ممتاز لانها تسيطر على منفذ مهم من المنافذ القليلة في جبال بشتكوه العاصية التي تفصل بين قطرين معروفين بحضارتهما منذ أقدم الازمان وهما بلاد بابل وبلاد عيلام ، ولعله المنفـذ الوحيد في هـذه الجبال الصالح لسلوك القوافل الى المدن الايرانية المجاورة . كما ان وقوعها عند حافة السهل الواسع الممتد من سفح جبال بشـتكوه يجعـلها مشتهرة ببساتينها وزروعها فهي تقع على النهر الذي يعرف في الوقت الحـاضر (بالكلال) .

وتعتبر الدير مدينة بابلية في حضارتها وعلاقاتها رغم بعدها عن المراكز المهمة في بلاد بابل . كما كانت آلهتها مقدسة عند البابليين القدماء ، ومن هذه الآلهه رئيسها واسمه ساتارنا Satarana وكان له معبد واسـع اسمه (معبد عمد الارض) اعاد بناءه الملك كوريكالزو . وكان في المدينة معـابد أخرى لغيره من الآلهة[٤] .

ويستفاد من كتابات الملوك الاكديين (في حوالي ٢٥٠٠ ق.م) ان سرجون عندما سار بجيوشه لفتح بلاد عيلام استولى في طريقه على مدينة كازلّو Kazallu وعلى مدينة الدير . وكازلّو هذه لم يعين موقعها

---

(٣) مجلة بغداد العدد ١٦ في تشرين اول ١٩٦٤ ـ الدكتور احمد سوسـة .

(٤) مجلة سومر ج١ ـ المجلد السابع ١٩٥١ ـ فؤاد سفر .

بالضبط الا انه عرف عنها انها تقع شرقي دجلة في المنطقة ذاتها .

وخضعت المنطقة بعد ذلك لحكم الكوتيين الذين حكموا العراق وبلاد فارس مدة قرن من الزمن . ثم اتخذ (شولكي) ثاني ملوك سلالة اور الثالثة (في ٢٢٠٠ ق.م) مدينة الدير قاعدة عسكرية لحملاته الى الجبال الواقعة شرقي الدير والى بلاد عيلام . وشولكي هو احد ملوك اور المشهورين وقد دام حكمه مدة ٤٦ سنة واهتم بتعمير المدن وفتح الترع وقد عثر له في مدينة اور على مرقد ضخم مبنى بالآجر(٥) .

وقد ظهر في الدير ملوك ذوو شأن كان أحدهم ويعرف باسم انومتابل Anu-Mutabul الذي تمكن من أن يمد نفوذه الى المدن العيلامية . غير ان ظهور قبائل الاموريين حد من نفوذه واوقف زحفه .

أما في زمن الكشيين فقد كانت الدير واقعة على طريق القبائل الكشية التي تسكن الجبال . ويبدو ان الكشيين اهتموا كثيراً بمدينة الدير وما حولها . ويعرف عن أحد ملوكهم وهو كوريكالزو انه شيد معبد المدينة من جديد . وهذا الملك هو الذي انشأ مدينة كوريكالزو والتي تعرف اطلالها اليوم باسم عقرقوف الواقعة على بعد ٢٥ كيلومتراً من بغداد غرباً . ويحتمل ان تكون الخرائب الواقعة في الجنوب من بدرة والتي تعرف باسم بكسايا في الاصل مدينة او حصناً كشياً اذ يظن ان كلمة بكسايا أصلها (بيت كشي)(٦) .

وفي أواخر العهد الكشي ، وعندما ضعفت مملكة الكشيين هجم العيلاميون على البلاد وخربوا مدنها (١٢٤٢ ـ ١٢٢٢ق.م) واستولوا على الدير ونهبوا معابدها . وبعد هذا الحادث بنحو قرن من الزمن اتخذ الملك البابلي نبوخذ نصر الاول (في ١١٤٦ ـ ١١٢٣ق.م) مدينة الدير قاعدة عسكرية في هجومه الواسع على بلاد عيلام .

---

(٥) دليل المتحف ـ الدكتور فرج بصمهجي ـ ص ٢١ (بغداد ١٩٦٠) .

(٦) مجلة سومر ج١ ـ المجلد السابع ١٩٥١ ـ فؤاد سفر .

ولما أمتـدت غزوات الملوك الآشوريين الى الجنـــوب كانت الدير من المدن التي سيطروا عليها ، واضطر أهلها الى الهرب الى بلاد عيلام من وجه الأشوريين • ثم بعد مدة سيطر العيلاميون على تلك المدينة • وهكذا كانت مدينة الدير تتنازعها الجيوش الغازية بين حين وآخر •

وقد نشأت في هذه المنطقة مدن آرامية كثيرة تكرر ذكرها في الكتابات القديمة ، وكان اشهرها (بيت امبي) Bit Imbi وتقع في الجنوب الشرقي من مدينة الدير • وكذلك ورد اسم مدينة أخرى في هذه المنطقة تدعى لارك Larak ولـكن موقعها لم يعين بعد • ويذهب بعض العلماء الى أن أطلال هذه المدينة كائنة في موقع تل الولاية في جنوب ناحية الاحرار الحالية التابعة الى قضاء النعمانية وعلى بعد خمسة وثلاثين كيلوا متراً جنوب الناحية المذكورة • وقد وجد على هذا التل كثير من الملتقطات السطحية ذات القيمة الاثرية من قطع حجرية ونحاسية وكسر فخار يرجـع زمنهـا الى العصر الاكـدي (٢٣٤٠ ـ ٢١٨٠ق٠م) والى عصر سلالـة اور الثالثة في ٢١٢٥ ـ ٢٠٢٥ ق٠م[٧] التي كان عهدها عهد خير وحضارة ورخاء • وقد استمر حكم ملوكها أكثر من مائة سنة •

ويقع تل الولاية في منطقة تكثر فيها المواقـع الاثرية من مختـلف العصور ، فالى جنوبه يقع تل الرغلة الذي أصبح مستوطناً مهماً في عصر سلالة اور الثالثة بعد ان هجر تل الولاية هجراً تاماً • ويلاحظ على تل الرغلة امتداد جدران لبناء واسع مشيد بآجر مختوم بختم الملك (كميل سن) وهو من ملوك سلالة اور الثالثة • والى جنوب غربي تل الرغلة يوجد موقع اثري آخر هو تل الأخيضر الذي يرتقي زمن استيطانه الى العصر الفرثي ، وفيه معالم بناء كبير يظن بانه معبد[٨] •

وعندما زحف كورش بجيوشه من بلاد فارس قضي على الحـكم

---

(٧) مجلة سـومر ـ المجلد السادس عشر ـ ١٩٦٠ ـ مقال لطارق عبدالوهاب مظلوم •

(٨) المصدر نفسه •

الوطني في بلاد الرافدين ودخل العراق تحت سيطرة الفرس الاخمينيين • وتعاقب بعض ملوكهم على الحكم ، الا ان الاسكندر المكدوني استطاع بحملته الكبيرة التي جردها على بلاد الشرق عام ٣٣٤ق•م ان يقضي على المملكة الفارسية ويسيطر على معظم بلاد الشرق ، ولكنه لم يلبث ان عاجلته منيته • وبعد وفاته تنازع قواده على السلطة فيما بينهم اذ لم يخلف وريثاً للعرش • واستمرت المنازعات بينهم الى ان اتفق رأيهم على تقسيم المملكة المترامية الاطراف بين أربعة من قواده الكبار • وصارت بلاد الرافدين وايران من حصة القائد سلوقس •

وشيد سلوقس عاصمة له على ضفة دجلة جنوب الموضع الذي شيدت عليه بغداد فيما بعد • وسماها باسمه (سلوقية) ، وتعرف اطلالها اليوم بتل عمر • وتعاقب على حكم مملكة سلوقية عدد من الملوك ولكن أكثرهم كانوا ضعفاء فانهارت مملكتهم بيد الفرثيين الذين جاؤوا من شمالي ايران وفتحوا العراق عام ١٤١ق•م وبذلك قضوا على حكم السلوقيين فيه •

واتخذ الفرثيون سلوقية عاصمة لهم ثم وسعوا المدينة الى الجانب الايسر من النهر وعرف هذا القسم بطيسفون ، وعرفت المدينة كلها باسم المدائن[٩] وهي التي يرتفع اليوم من اطلالها طاق كسرى عند الحدود الشمالية

---

(٩) يطلق اسم (المدائن) على ما بقي من مدينتي سلوقية اليونانية وطيسفون الفارسية • وذكر المؤرخون العرب عددا من المدن التي كانت تتشكل منها المدائن والتي قيل عنها انها سبع مدن بين كل مدينة واخرى مسافة بعيدة أو قريبة • اما في معجم البلدان فقد ذكر ياقوت ان المدائن متكونة من المدينة العتيقة (طيسفون) التي كان القصر الابيض من اقسامها ، ومدينة (اسبانبر) التي كان ايوان كسرى من اقسامها وهي اعظمها وتقع في جنوبي المدينة العتيقة مسافة ميل • وبالقرب منها (مدينة الرومية) • وفي الضفة المقابلة أعني في الضفة اليمنى مدينة (بهر سير) ••• وفي جنوبها مدينة (ساباط كسرى) •

وبعد أن دفن الصحابي الجليل سلمان الفارسي في طرف من المدائن اطلق عليها اسم (سلمان باك) • وهي في الوقت الحاضر بلدة صغيرة من نواحي بغداد وتبعد عنها حوالي ثلاثين كيلو مترا ، ولم يبق من آثارها في الوقت الحاضر غير الايوان (طاق كسرى) •

للواء الكوت كأنه يشير الى قرب دخولك أرض اللواء عندما تكون مسافراً من بغداد الى الكوت • ثم استولى الساسانيون على الحكم في بلاد فارس عام ٢٢٤م ومدّوا نفوذهم الى جميع انحاء العراق •

وكان العرب قد شكلوا دولتهم في الحيرة وهي دولة المناذرة التي تعاقب عليها عدة ملوك من اشهرهم النعمان بن المنذر[١٠] الذي يقال انه بنى بلدة النعمانية شمال الموضع الذي شيدت عليه مدينة الكوت فيما بعد •

وكانت النعمانية في باديء الأمر مصيفاً لملوك الحيرة ، ثم أصبحت بلدة مهمة بعدئذ فقد ذكرها القزويني المتوفى سنة ٦٨٢هـ (١٢٨٣م) بقوله انها (بليدة بين بغداد وواسط كثيرة الخيرات وافرة الغلات ولها قرى ورساتيق ، بناها النعمان بن المنذر بن قيس بن ماء السماء ، سكنها زماناً رافيء الحال فارغ البال في أيام الاكاسرة الى أن قضى الله عليه ...)[١١] • وقد ازدهرت هذه البلدة في العهد العباسي الا انها اصابها من الخراب ما أصاب اخواتها من المدن العباسية حيث هجرت وخربت تماماً ولم يبق منها غير تل يضم اطلالها يعرف حالياً باسم تل النعمان والذي يعتبر اليوم من الآثار العربية المهمة في الزمن ما قبل الاسلام والتي لم يجر عليها التنقيب بعد •

---

(١٠) النعمان الثالث بن المنذر الرابع (٥٨٥ ـ ٦١٣م) وكنيته ابو قابوس • وكان احمر اللون ابرش قصير القامة اشقر الشعر ، نشأ على دين الوثنية ثم تنصر ، فتنصرت الحيرة بعده • وقد بلغت الدولة العربية في أيامه منتهى الرخاء والترف وملئت خزائنه بالذهب والاموال ، وكان محبا للبناء والعمران ، بنى دير اللج فى الحيرة وبنى بلدة النعمانية على ضفة دجلة اليمنى • كما كان محبا للعلم والادب ومغرما بالشعر •

(١١) آثار البلاد واخبار العباد ـ القزويني ـ ص٣١٤ ـ ط دار صادر ودار بيروت •

أرض السـواد

كان يطلق على القسم الجنوبي والاوسط من العراق الحالي اسـم أرض السواد ، وهي الارض التي تمتد من حديثة (وهي بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الاعلى)[1] شمالاً ، حتى عبادان جنوباً • ومن العذيب بالقادسية غرباً ، حتى قصبة حلوان (وهي حـلوان العراق وتقع في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد ، وكانت مدينـــة عامرة ••• وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها)[2] شرقاً ، كما حدد ذلك ياقوت الحموي في معجمه وابن عبدالحق في مراصده وغيرهما[3] •

أما ابن خرداذبة فقد حدد أرض السواد بين العلث وحَربى شمالاً ، الى عبادان جنوباً ، ومن العذيب غرباً حتى حلوان شرقاً[4] • أي انه جعل الحد الاعلى لارض السواد اخفض مما جاء في الرأي الاول • فكان طول أرض السواد من الشمال الى الجنوب أقصر مما جاء آنفاً • والعلث قرية على دجلة بين عكبرا وسامراء من أعمال دجيل ، أما حربى فهي موضع في شمال دجيل بين بغـداد وتكريت •

وقد سميت أرض السواد بهذا الاسم لان القادم اليها من الصحراء يراها سوداء من بعيد لخضرتها بالنخل والزروع • وكـان ملوك الفرس يسمونها (دلْ ايرانشهر) أي قلب العراق[5] ولقد جاء في وصفه انه منار الشرق وسرة الارض وقلبها ، واليه تحدرت المياه وفيه اتصلت النضارة ، وعنده وقف الاعتدال فصفت أمزجة أهـــله ولطفت اذهـــانهم واحتدت

(١) مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ـ صفي الدين بن عبدالحق ـ ج١ ص٣٨٧ •
(٢) المصدر نفسه ج١ ص٤١٨ •
(٣) راجع موضوع (السواد) في معجم البلدان ومراصد الاطلاع •
(٤) المسالك والممالك ـ ابن خرداذبه ص١٤ •
(٥) المصدر نفسه ص٥ •

خواطرهم واتصلت مسراتهم ، فظهر منهم الدهاء ، وقويت عقولهم ونبتت بصائرهم ... ووصفوا هذه الارض بكثرة أنواع غلاتها وثمارها وتكاثف اشجارها ، ووفرة الصيد في ظلال نخيلها من طائر بجناح ، وماشٍ على ظلف ، وسابح في بحر[٦] .

والارض التي تمتد من جنوب المدائن الى جنوب واسط على ضفاف النهروان ودجلة والغراف ، والتي تمثل حالياً أرض لواء الكوت ، هي واقعة في صميم أرض السواد وفي مركز القلب منها ، ففيها ملتقى انهارها ومنبع خيراتها وهي أكثر خصباً والطف مناخاً من المناطق الاخرى حتى ان الحجاج عندما أراد ان يبني مدينة واسط أرسل الاطباء ليختاروا له موضعاً حتى يبني فيه المدينة فذهبوا يطلبون موضعاً ما بين عين التمر (وهي بلدة في طرف البادية غربي الفرات) الى البحر ، وجولوا العراق ورجعوا اليه وقالوا : ما أصبنا مكاناً أوفق من موضعك هذا[٧] .

وكانت هذه الارض قديماً عامرة بالقرى والمزارع ، مزدحمة بالسكان ، وكانت تسقى من دجلة ومن النهروان ومن القاطول الاسفل (نهر القائم) . أما دجلة فكانت تخترق أرض الكوت من الشمال الى الجنوب ثم تنحرف فتمر بواسطة وتغادر بعدها حدود اللواء . وأما النهروان والقاطول الاسفل فكانا يرويان الجزء الشمالي من هذه الاراضي ثم ينتهيان قرب موقع مدينة الكوت الحالية .

وكانت أرض السواد قديماً متكونة من اثنتي عشرة كورة ومجموع طساسيجها ستون طسوجاً حسب الاصطلاح الذي كان معروفاً آنذاك . والكورة (وتدعى أيضاً الأستان) اسم فارسي استعاره العرب واستعملوه في لغتهم ويقصدون به أكبر وحدة زراعية في القطر ، وتقابل عندنا في الوقت الحاضر اسم اللواء . وتقسم الكورة الى رساتيق ، والرستاق

(٦) ارض السواد ـ احمد الصوفي ـ ص١٦ .
(٧) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ ج٥ ص٣٤٨ .

(ويقابله عندنا القضاء) ينقسم الى طساسيج • والطسوج (وهو الناحية) يتالف من مجموعة قرى •

وفي العهد الفارسي وعندما لم تكن (الكوت) قد وجدت بعد ، وعندما لم يكن لواء الكوت قد سمي بهذا الاسم ، كانت الارض التي تلي المدائن مقسمة الى عدة طساسيج أهمها الطساسيج المرتبطة بكورة النهروان ، وهي الكورة التي دعاها ابن خرداذبه (استان بازيجان خسرو)[٨] ودعاها قدامة (استان ارندين كرد)[٩] وتمتد جنوباً حتى موقع الكوت الحالية ، وتمتد شرقاً حتى منطقة بدرة وتشمل معظم لواء الكوت الحالي •

وتقسم هذه الكورة الى خمسة طساسيج وهي : طسوج النهروان الاعلى ، وطسوج النهروان الاوسط ، وطسوج النهروان الاسفل ، وطسوج بادرايا ، وطسوج باكسايا • ويرجع تاريخ هذه الكورة وطساسيجها الى عهد كسرى انو شروان (٥٣١ ـ ٥٧٩م) ، وكان قبل ذلك قباذ بن فيروز (٤٨٨ ـ ٥٣١م) قد انزل جماعة من الفرس في هذه الكورة ، فنقل الاشراف من فارس وخراسان من أهل الشرف والجمال والادب والفروسية فاسكنهم حافتي دجلة ونقل من كان دونهم في الشرف الى النهروانات ••• وانزل الحاكة والحجامين بادرايا وباكسايا[١٠] •

وكانت مناطق النهروانات الثلاث من أخصب المناطق حتى قيل ان جباية خراجها بلغت في ذلك الوقت مليوناً ومائتي ألف دينار[١١] • أما جباية الطساسيج الخمسة التي تتكون منها هذه الكورة في أوائل القرن الثالث الهجري فهي كما يلي نقلاً عن ابن خرداذبه وقدامة :

---

(٨) المسالك والممالك ـ ابن خرداذبة ص٦ •
(٩) الخراج ـ قدامة بن جعفر ص٢٣٥
(١٠) الكامل في التاريخ ـ ابن الاثير ـ ج١ ص٣١٧ •
(١١) راجع معجم البلدان مادة (النهروان) •

اسم الطسوج	عدد الرساتيق	عدد البيادر	مقدار الحنطة بالكر	مقدار الشعير بالكر	الدراهم
النهروان الاعلى			٢٧٠٠	١٨٠٠	٣٥٠٠٠٠
النهروان الاوسط	٢١	٣٨٠	١٠٠٠	٥٠٠	١٠٠٠٠٠
النهروان الاسفل			١٠٠٠	١٢٠٠	١٥٠٠٠٠
طسوجا بادرايا وباكسايا	٧	٢٠٧	٤٧٠٠	٥٠٠٠	٣٣٠٠٠٠

ويمتد طسوج النهروان الاعلى على جانبي النهروان بين مدينة النهروان وآثار مدينة عبرتا القديمة • ولما كانت هذه المنطقة تقع خارج لواء الكوت الحالي لذا نكتفي بذكرها دون تفصيل على ان نذكر فيما يلي الطساسيج الاخرى التي تقع ضمن هذا اللواء بشيء من التفصيل •

طسوج النهروان الاوسط :

ويمتد من جنوب آثار عبرتا القديمة حتى جوار دير العاقول على مسافة حوالي اربعين كيلومتراً على جانبي النهروان • وكان على النهروان في أعلى هذه المنطقة مشروع قديم للري يعرف باسم الشاذروان الاسفل (لتمييزه عن الشاذروان الاعلى الواقع شماله)[١٢]•

(١٢) لا تزال آثار الشاذروان الاسفل ماثلة للعيان ويسميها الاهلون اليوم القناطر ، وهي من الآثار المهمة على النهروان لوجود سد ضخم هناك ، تتفرع من امامه جداول كبيرة تروي اراضي تلك المنطقة • وتتوزع المياه بواسطة السد الذي يمتد على عرض مجرى النهروان والذي يحتوي على فتحة لمرور السفن (هويس) في الجانب الايمن منه مما يدل على ان السفن كانت تجري في النهروان • ولا تزال آثار النواظم التي كانت في صدر الانهار الفرعية ماثلة للعيان تدل على التقدم الحضاري آنذاك • وتقع في جنوب القناطر مباشرة خرائب تعرف اليوم باسم (سماكة) تمتد على طول النهروان من الجانبين على مسافة ستة كيلو مترات • وقد يبلغ ارتفاع بعضها اكثر من خمسين قدما ويوجد بينها دعامات على حافة النهر من الجانبين يحتمل ان تكون آثار جسر ثابت قديم •
(ري سامراء ـ احمد سوسة ـ ج٢ ص٤٠٧) •

ويتفرع من النهروان في أواخر هذا الطسوج فرعان احدهما شرقي هو نهر رشيد(١٣) ويمتد موازياً للنهروان ، والآخر غربي يعرف باسم نهر عكاب ويمتد نحو الجنوب • غير ان فيضانات نهر دجلة المتابعة طمست معالم العمران في هذه المنطقة نظراً لانخفاض ارضها فأزالت آثارها المتبقية • ويلاحظ ان نهر دجلة قد تحول مجراه في هذه المنطقة وكان المجرى القديم للنهر ينحني في هذا الموضع حول بلدة همانية فيجعلها كشبه جزيرة لا تزال تشاهد آثارها على الضفة اليسرى من دجلة في الوقت الحاضر •

طسوج النهروان الاسفل :

ويمتد على جانبي النهروان مما يلي طسوج النهروان الاوسط • وكان يسقى من عدة فروع تأخذ ماءها من جانبي النهروان منها فروع شرقيه تنتهي الى منخفضات الشويجة وأهمها (خور الدرب) ، ومنها فروع غربيه تنتهي عند نهر دجلة في منطقة العزيزية الحالية • ويوجد في هذه المنطقة في الجهة الشرقية من النهروان تل اثري يدعى (ايشان المالح) وهو تل واسع لا يبعد كثيراً عن مجرى النهروان • وفي جنوب هذه المنطقة تتفرع فروع أخرى من النهروان • وقد انشئت على معظم هذه الفروع نواظم لتوزيع المياه على المزارع والحقول لاروائها بانتظام • وكانت هـذه النواظم مبنية بالآجر ويشاهد بعض آثارها حالياً في الموضع المسمى (فويخرة) على احد انهر حليفية المتفرعة من النهروان جنوب (خور الدرب)(١٤) •

وكان النهروان في أواخر القرن الثالث الهجري ينتهي الى طسوج النهروان الاسفل ، فيصب في الجانب الشرقي لنهر دجلة في جنوب موقع مدينة الكوت بقليل • ولكنه قلّ ماؤه بعدئذ وأخذ يبتعد عن مصبه القديم ليصب شمالاً بالقرب من جرجرايا في عهده الاخير •

وقد أشار المسعودي في كتاب التنبيه الى مصب النهروان في دجلة في

---

(١٣) تشاهد بالقرب من نهايته في الوقت الحاضر اطلال قديمة تعرف (بتل مياح) ربما تدل على وجود قرية قديمة في هذا الموقع •

(١٤) ري سامراء ــ ص٤٦٣ ــ ج٢ •

دوره الاخير قرب جرجرايا بقوله (ان النهروان بعد ان يمر بعبرتا وبرزاطيا واسكاف بني الجنيد ، يصب الى دجلة بناحية جرجرايا) • وقد ثبت ان نهري (ابي چلاچ) و (سمّر) اللذين يأخذان من دجلة قرب اطلال جرجرايا ويمتدان في شبه جزيرة الدبوني الحالية هما من جملة الفروع المتشعبة من ذنائب النهروان في آخر عهده[١٥] •

اما دجلة في القسم الجنوبي من طسوج النهروان الاسفل ، فيستفاد مما رواه المؤرخون انه لم يحافظ على مجراه بصورة دائمية ، بل كان عرضة لتغيير مستمر ابتداءً من هذه المنطقة • وقد كان قبل ذلك يجري في غير مجراه الحالي ، وقد سجل التاريخ اربعة تطورات طرأت على مجراه في هذا القسم منذ الالف الرابع قبل الميلاد حتى الآن وهي كما يلي[١٦] •

١ ـ الطور الاول :

وتنحصر فترته بين الالف الثالث قبل الميلاد ونهاية الالف الاول قبل الميلاد وهو الطور الذي كان يجري فيه نهر دجلة في اتجاه شط الغراف الحالي وقريباً منه فيمر بمدينة (لكش) القديمة ثم يصب في الخليج بعد ان يتلقى المياه من ذنائب الفرات حيث كان ساحل الخليج في شمال حدوده الحالية قريباً من الناصرية الحديثة • في حين ان منطقة العمارة الحالية التي يجري فيها نهر دجلة في الوقت الحاضر كانت منطقة من المستنقعات الواسعة التي تتصل بالبحر جنوباً ويصب فيها كثير من الانهار والنهيرات الآتية من جبال ايران او المتفرعة من نهر دجلة •

٢ ـ الطور الثاني :

وهو الطور الذي تحول فيه مجرى دجلة باتجاه الشرق نحو مجرى نهر العمارة الحالي او ما يقرب منه • ويغلب على الظن ان ذلك قد حدث

---

(١٥) المصدر نفسه ـ ص٤٦٦ ـ ج٢ •

(١٦) راجع كتاب (ري سامراء) ج٢ ص٤٢٢ ففيه بحث مفصل عن هذا الموضوع •

بعد ان ارتبط مصيره بالفرات حيث تكاثرت مع مرور الزمن كميات الطمى في قسمه الاسفل الذي يلتقي بنهر الفرات في جوار (اور) ، الامر الذي أدى الى انتعاش الفرع الشرقي من نهر دجلة وهو الذي يتفرع قرب الكوت ويصب في الاهوار الشرقية الواقعة في منطقة العمارة الحالية حتى صار ذلك الفرع بعد مرور بعض الوقت يسحب معظم مياه نهر دجلة ، متوسعاً على حساب المجرى الغربي الذي يسير في اتجاه لكش ، والذي جف تدريجيا وانقطعت عنه المياه في موسم الصيف ، فانتقل العمران الى جهة الفرع الشرقي . وبقي نهر دجلة في مجراه الجديد نحو ستة قرون (ابتداء من أوائل العهد الميلادي) ازدهرت خلالها عدة مدن على ضفافه كالمذار والعبدسي .

٣ ـ الطور الثالث :

وهو الدور الاسلامي الذي تحول خلاله مجرى دجلة الى الغرب مرة أخرى عائداً الى مجراه القديم الذي كان يجري فيه في طوره الاول . وصار مجراه السابق يعرف باسم دجلة العوراء بسبب انقطاع المياه عنه . وتدل الروايات التاريخية على ان هذا التحول وقع في أوائل القرن السابع الميلادي أي في السنين الاولى من الهجرة ، اذ شهدت البلاد خلال هذه الفترة فيضاناً شديداً خرب الجداول والسدود ، وغمر الاراضي المنخفضة الواقعة بين الكوفة والبصرة فجعل منها منطقة واسعة من البحيرات والمستنقعات صارت تعرف في زمن العرب باسم البطائح . وقد وصف قدامة بن جعفر تكون هذه البطائح بقوله (وسبب البطائح المبطحة في أرض السواد ان ماء دجلة كان منصباً الى دجلة المعروفة بالعوراء التي هي اسفل البصرة في مسافة مستقيمة المسالك محفوظة الجوانب . فلما كان ملك قباذ فيروز ٤٨٨ ـ ٥٣١م ، انبثق في اسفل كسكر بثق عظيم فاغفل أمره حتى غلب ماؤه واغرق كثيراً من أرضين عامرة)[١٧] . وهذه البطائح تعرف اليوم

---

(١٧) الخراج ـ لقدامة بن جعفر ـ ص٢٤٠ .

بالاهوار[١٨] • ويتضح ان العوامل التي أدت الى رجوع نهر دجلة الى مجراه القديم في جهة لكش ترجع الى الفيضانات التي لم يمكن السيطرة عليها فحدثت بثوق في ضفاف دجلة اليمنى أدت الى غمر مساحات كبيرة من الاراضي الزراعية • ولما تولى كسرى انو شروان حكم المملكة الفارسية ، أقام سدوداً في مواضع الثغرات لاعادة المياه الى مجراها • الا ان طغيان المياه في السنة السادسة من الهجرة (٦٢٧م) سبب حدوث ثغرات واسعة فانتهى الامر الى رجوع نهر دجلة الى مجراه القديم فتكونت البطائح أو الاهوار •

وقد جرت محاولات في أوائل العهد العربي لسد هذا المجرى وتحويل مياهه الى مجراها السابق ، الا ان هذه المحاولات باءت بالفشل وأهمها محاولة خالد بن عبدالله القسري في العهد الاموي حيث كتب الى الخليفة هشام بن عبدالملك يستأذنه في بناء سد على دجلة ، فلم يوافقه على ذلك في بادىء الامر ، ثم سمح له بعدئذ فانفق خالد الاموال العظيمة لبناء السد ، ولكن دجلة طغت على البناء فازاحته • فلما علم هشام بذلك اغرمه الاموال التي انفقها على البناء[١٩] •

وعلى ضفاف نهر دجلة ، وبعد ان تحول مجراه نحو الغرب ، قامت عدة مدن وقرى عربية اسلامية لم تكن موجودة من قبل • ومن أهم المدن التي ازدهرت على ضفاف هذا المجرى في هذا العهد مدينة واسط •

وفي جنوب واسط كان النهر يتفرع الى عدة فروع وقد ذكرها القزويني في كتابه : (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) بقوله : واذا انفصل (نهر دجلة) عن واسط اقتسم الى سبعة انهر عظام تحمل السفن ،

---

(١٨) الهور : بفتح أوله ، وهو مصدر هار الجرف يهور اذا انصدع من خلفه وهو ثابت في مكانه ، وجرف هور : اي واسع بعيد • والهور : بحيرة يفيض فيها ماء غياض وآجام فتتسع ويكثر ماؤها •
(راجع معجم البلدان ـ ج٥ ص٤٢٠) •
(١٩) فتوح البلدان للبلاذري ـ ص٢٩٩ •

منها : نهر ساسي ونهر الغراف ونهر دقلة ونهر جعفر ونهر ميسان ونهر هوفري ونهر الهمامة • ثم تجتمع هذه الانهر ، وما ينضاف اليها من الفرات كلها قرب مطارة ، وهي قرية بينها وبين البصرة يوم واحد ، وهناك يعظم جداً • وقد ذكر غيره من المؤرخين اسماء انهار أخرى اضافة الى تلك •

٤ ـ الطور الرابع :

يؤخذ من المصادر المختلفة ان نهر دجلة بقي على مجراه الذي باتجاه واسط حتى القرن العاشر الهجري ، ثم تحول الى مجراه الشرقي الذي يسير باتجاه العمارة الحالية ، وهو الطور الرابع من تحولاته • وقد تم هذا التحول نهائياً في أواخر القرن الحادي عشر الهجري اى بعد حوالي ألف عام مرت عليه وهو يجري باتجاه واسط في طوره الثالث • ولايزال حتى الآن في طوره الرابع يجري في مجراه الشرقي باتجاه العمارة •

وقد أدى هذا التحول (م نمجراه الغربي الى مجراه الشرقي) الى اندثار المدن والقرى التي كانت مقامة على مجراه الغربي ، والتي شهدت أدواراً من الحضارة الزاهرة في العصور العربية المختلفة ، كمدينة واسط العظيمة التي هجرها أهلها وأهملوها نهائياً حتى أصبحت ركاماً وانقاضاً في الوقت الحاضر •

ويظن بأن هذا التحول كان تدريجياً ، حيث بدأ الماء يتسرب الى مجراه الجديد بصورة بطيئة • وأول من ذكر هذا المجرى الجديد وقال أنه أصبح صالحاً للملاحة سائح برتغالي مجهول قام برحلة نهرية بين البصرة وبغداد في سنة ١٥٥٥م (٩٦٣هـ) وكتب تفاصيل رحلته هذه في كتاب مخطوط في حوزة الميجر م • هيوم M. Hume [٢٠] • وقد ايد ذلك بعض الرحالة الاجانب الذين قاموا باسفار في ذلك المجرى النهري خلال القرن السادس عشر ، ودونوا ذلك في مذكراتهم •

---

(٢٠) راجع كتاب (ري سامراء) ج٢ ص٤٦٠ •

ويستدل مما كتبه نعمة الله الجزائري من أهل واسط في سنة ١١٠٧هـ (١٦٩٥م) ان مجرى دجلة القديم (المار بواسط) قد تحول نهائياً الى جهة مجرى العمارة في أواخر القرن الحادي عشر الهجري ، اذ ذكر ان مدينة واسط هجرت هجراً تاماً آنذاك لنضوب الماء في عقيق النهر المار بها(٢١) •

طسوجا (بادرايا) و (باكسايا) :

ويقعان في الجهة الشرقية من طساسيج النهروان المذكورة آنفاً ، محاذيين للحدود العراقية الايرانية في الوقت الحاضر ، وفي منطقتي بدرة وبكساية الحاليتين اللتين احتفظتا باسميهما القديمين • وقد جاء في معجم البلدان وفي مراصد الاطلاع ان بادرايا وباكسايا طسوجان كل منهما مجاور للآخر يقعان بين البندنيجين(٢٢) ونواحي واسط في أقصى النهروان •

ويتكون هذان الطسوجان من سبعة رساتيق ، وبيادرها مائتان وسبعة بيادر يقدر خراجها السنوي كما يلي : ٤٧٠٠ كر من الحنطة ، و ٥٠٠٠ كر من الشعير ، و ٣٣٠٫٠٠٠ درهم من النقود(٢٣) (والكر ـ بضم الكاف ـ مكيال استعمله العراقيون قديماً وهو يقارب ١٤٤٠ كيلوغرام وزناً) •

وكان طسوج بادرايا يشتمل على منطقة بدرة الحالية بما فيها زرباطية وجصان وقد اشتهر منذ القديم بجودة تموره لاسيما القسب اليابس • أما طسوج باكسايا فيقع في منطقة بكساية الحالية التي تروى من النهر المسمى (نهر وادي) الذي ينبع من جبال ايران ويصب في دجلة ويعرف الآن باسم نهر (الچباب) •

وفي الوقت الذي كان فيه النهروان يجري في الجانب الشرقي من دجلة ، كان هناك نهر آخر يجري في الجانب الغربي منه وهو نهر النيل

---

(٢١) المصدر نفسه ـ ص٤٦١ •

(٢٢) البندنيجين : وصفها ياقوت بانها بلدة مشـــهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من اعمال بغداد ، وكانت تقع في منطقة مندلي الحالية •

(٢٣) المسالك والممالك ـ ابن خردازبه ـ ص١٤ •

الذي كان يعرف في زمن الفرس باسم (نهر جماسب)• وقد قام الحجاج بتطهيره فسماه (النيل) على اسم نيل مصر ، يتفرع من نهر الفرات ويتجه شرقاً نحو دجلة ، وانشأ عليه بلدة سماها بلدة النيل[٢٤] • وقبل ان يصب هذا النهر في دجلة كان يتفرع الى فرعين أحدهما شمالي يسمى الزاب الاعلى ويصب جنوب النعمانية ، والثاني جنوبي يدعى نهر سابس ، يجري جنوباً فيصب في دجلة في نقطة تقع على بعد فرسخ واحد جنوب قرية سابس ، ويدعى هذا الفرع أيضاً (الزاب الاسفل) تمييزاً له عن الزاب الاعلى • وذكر ياقوت (نهر سابس) بقوله : انه يقع فوق واسط بيوم ، عليه قرى •

وقد تطرق ياقوت الى ذكر زابي النيل بقوله (وبين بغداد وواسط زابان يسميان الزاب الاعلى والزاب الاسفل ، أما الاعلى فهو عند قوسين[٢٥] ، واظن مأخذه من الفرات ويصب عند زرفاميه ، وقصبة كورته النعمانية على دجلة • واما الزاب الاسفل من هذين فقبضته نهر سابس قرب مدينة واسط) •

واما زرفامية (ويقال لها زرفانية أيضاً) فقد وصفها ابن عبدالحق بقوله (قرية كبيرة من نواحي قوسان ، وهي نواحي الزاب الاعلى الذي بين واسط وبغداد ، وهي الآن خراب ، بها آبار عند مصب الزاب الاعلى)[٢٦] •

---

(٢٤) جاء في معجم البلدان : (النيل بليدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد ، يخترقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير ، حفره الحجاج بن يوسف وسماه بنيل مصر • وقيل ان النيل هذا يستمد من صراة جماسب) •

وقال الشاعر في نيل السواد :

قالوا هجرت بلاد النيل وانقطعت — حبال وصلك عنها بعد اعلاق

فقلت اني وقد أقوت منازلها — بعد ابن مزيد من وفد وطراق

(٢٥) لعل الصواب (قوسان) وهي التي ذكرها ابن عبدالحق في مراصده بقوله (قوسان كورة كبيرة ونهر عليه مدن وقرى بين النعمانية وواسط ، ونهره الذي يسقي زرعه يقال له الزاب الاعلى) •

(٢٦) مراصد الاطلاع — ج٢ ص٦٦٢ — وفيها يقول علي بن نصر بن بسام :

ودهقان طيّ تولى العراق — وسقي الفرات وزرفامية

غير ان هناك كثيراً من الانهار الاخرى التي تروي هذه المنطقة غير تلك ، وهي تتفرع من الانهر الكبيرة ، مثل نهر الصلة الذي أمر المهدي بحفره ، ونهر الصين الذي أمر الحجاج بحفره قبل ان يشرع ببناء واسط ، ونهر فم الصلح الذي قال عنه ياقوت بانه (نهر كبير فوق واسط ، بينها وبين جبّل ، عليه عدة قرى) . ونهر الهمامية الذي تقع عليه بلدة الهمامية من نواحي واسط ، وكذلك نهر جعفر الذي يقع بين واسط وبين نهر آخر هو نهر دقلة . ثم نهر الفضل من نواحي واسط ، ونهر قريش في نواحي واسط أيضاً . ونهر البزاق (او البساق) الذي ذكره ابن عبدالحق بقوله (موضع قرب تل الفخار من أعمال واسط) وقال عنه في موضع آخر (وهو نهر يجتمع من فضول ماء السيب وما فضل من ماء الفرات)(٢٧) . ثم نهر الميمون الذي ذكره البلاذري وقال أن أول من حفره وكيل لأم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور يقال له سعيد بن زيد ، وكانت فوهته عند قرية تدعى قرية ميمون ، فحولت في أيام الواثق بالله على يدي عمر بن فرج الرخجي(٢٨) . وكذلك نهر الجنب الذي ذكره البلاذري أيضاً في الموضع نفسه . ونهر الامير بواسط وينسب الى العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس وهو قطيعة له(٢٩) . ثم نهر المبارك الذي قال عنه ياقوت بانه يقع في شمال واسط ، وعلى بعد ثلاثة فراسخ عنها ، وقيل هو الذي احتفره خالد بن عبدالله القسري وقال فيه الفرزدق :

ان المبارك كاسمه يسقى به   حرث السواد ولاحق الجبار(٣٠)

ونهر سورا الذي يتفرع منه نهران عظيمان يخترقان بلدة جبّل . وبالاضافة الى كورة النهروانات التي ذكرناها بالتفصيل ، والتي تشمل معظم لواء الكوت الحالي ، فان هناك كوراً وطساسيج يكون بعضها جزءاً

---

(٢٧) مراصد الاطلاع ـ ج١ ص ١٩٢ ، ١٩٥ .
(٢٨) فتوح البلدان ـ ص٢٩٩ .
(٢٩) معجم البلدان ـ ج٥ ص٣١٨ .
(٣٠) راجع معجم البلدان ج٥ ص٥٠ ففيه بقية الخبر .

من هذا اللواء نظراً الى انه لم يكن في وقت من الاوقات كورة معينة تنطبق حدودها على حدود اللواء الحالية . فمن ذلك كورة قوسان التي ورد ذكرها قبل قليل والتي تقع على الزاب الاعلى الذي يصب في دجلة قرب النعمانية .

وكذلك كورة كسكر وهي بلدة ساسانية كان يسكنها الفرس والآراميون (الانباط) وتقع على الجانب الشرقي من دجلة ، ثم بنى الحجاج مدينته قبالتها على الجانب الغربي من النهر ، وهي كورة واسعة وقصبتها واسط وكانت قصبتها قبل ذلك خسرو سابور وهي قرية معروفة وتبعد عن واسط خمسة فراسخ ، والعامة تسميها خسابور[٣١] . وكان حد كسكر من الجانب الشرقي يمتد الى آخر سقي النهروان ، وفي الجنوب الى مصب دجلة في البحر . وقد دعى ابن خرداذبة هذه الكورة باسم كورة (استان شاذ سابور) وقال بأنه يلحق بها اربعة طساسيج وهي:طسوج الزندورد وطسوج الثرثور وطسوج الاستان وطسوج الجوازر[٣٢]. بينما يطلق عليها قدامة بن جعفر اسم(استان خسره سابور)وذكر ان طساسيجها هي : طسوج الزندورد وطسوج البزبون وطسوج الاستان وطسوج الجوازر[٣٣] . وكان في هذه الكورة عدة انهار منها نهر الصلة وبرقة والريان وكان خراجها سبعين الف الف درهم ، تقديرها من الحنطة ثلاثة آلاف كر ، ومن الشعير والارز عشرون ألف كر ، ومن النقود مائتا ألف درهم[٣٤] .

وجاء في كتاب (أرض السواد) ان فم الصلح كانت كورة فوق واسط تسقى من نهر فم الصلح ، وكان خراج هذه الكورة في عهد المعتصم ١٠٠٠ كر من الحنطة و ٣١٢١ كر من الشعير و ٥٩٠٠٠ درهم من النقود سنويا[٣٥] .

---

(٣١) مراصد الاطلاع ج١ ص٤٦٧ .
(٣٢) المسالك والممالك ـ ص٧ .
(٣٣) الخراج ـ ٢٣٥ .
(٣٤) المسالك والممالك ـ ص١٢ .
(٣٥) ارض السواد ـ ص٦٥ .

ولا شك ان هذه التقسيمات الزراعية والادارية كانت كثيرة التغير لا تستقر على حال تبعا للتغيرات السياسية والحروب والثورات ، وحدوث الفيضانات وتكون البطائح والمستنقعات ، وبالتالي كانت اسماؤها ومراكز قصبتها هي الاخرى تتبدل بين حين وآخر تبعاً لتلك الظروف • وكثيراً ما كانت هذه التقسيمات الادارية تكبر لاندماجها مع غيرها ، او تصغر لانقسامها الى مقاطعات أخرى خلال الفترة الطويلة من الزمن التي مرت عليها •

في العهد العربي الاسلامي

عندما كانت الامبراطورية الفارسية في أيامها الاخـــيرة تعاني من الضعف والانحلال الذي دب في جسمها ، وكان ملوكها قد تركوا مقاليد الحـكم وانصرفوا الى أهوائهم ، كانت سنابك الخيل العربية تثير غـبار الصحراء متجهة الى أرض السواد لتحريرها من ايدي الفرس ، وذلك بعد ان نشر الرسول العظيم (ص) دين الهدى وأكمل للناس شريعتهم فأخـذ خلفاؤه من بعده بنشر الدعوة الاسلامية في شبه الجزيرة العربية وفي اطرافها البعيدة المتصلة بامبراطوريتي الفرس والروم ومنها أرض السواد •

وقد بدأ فتح هذه البلاد في زمن الخليفة ابي بكر الصديق (رض) وأكمـــل في عهـــد الخليفة عمر بن الخطـاب (رض) وكانت الجيوش الاسلامية بقيادة قواد عظام أمثال خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني وابو عبيدة بن مسعود وغيرهم • وكان على عرش الدولة الفارسية آخـر ملوكهم (يزدجرد الثالث) • وعندما وقعت معركة القادسية في حزيران ٦٣٧م واندحر فيها جيش رستم القائـد الفارسي ، بـدأ انحسار النفـوذ الفارسي عن أرض السواد واتجهت الجيوش العربية شرقاً وشمالاً فـي بلاد العراق •

وكان الجزء الجنوبي من لواء الكوت أحد الطساسيج المهمة آنذاك ويطلق عليه طسوج كسكر وكان أهم جزء في الـكورة باجمعها حتى ان المؤرخين المسلمين اعاروا أهمية كبيرة لفتحه ولم يتطرقوا لذكر غيره من بلدان المنطقة إبّان الفتح • وقد ذكر البلاذري في فتح كسكر قوله : ومر خالد بن الوليد بزندورد[١] من كسكر فافتتحها ••• بعد أن كانت من أهل زندورد مراماة للمسلمين ساعة ••• واقبل خالد الى مجتمع الانهـــار

---

(١) زندورد : مدينة كانت قرب واسط مما يلي البصرة ، خربت بعمارة واسط (عن معجم البلدان ومراصد الاطلاع) •

فلقيه ازاذبه صاحب مسالح كسرى[٢] فيما بينه وبين العرب فقاتله المسلمون وهزموه • ثم نزل خالد خفان ويقال بل سار قاصداً الى الحيرة[٣] •

وفي زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) أكمل أبو عبيد بن مسعود والمثنى بن حارثة الشيباني فتح جنوب العراق • وكتب رستم الى دهاقين السواد ان يثوروا بالمسلمين ودس في كل رستاق رجلاً ليثور بأهله • وبعث نرسي الى كسكر ، فخرج نرسي فنزل زندورد • وكان نرسي ابن خالة كسرى ، وكانت كسكر قطيعة له • فلما انهزم الفرس يوم النمارق لجأوا الى عسكر نرسي •

ومضى أبو عبيد حين ارتحل من النمارق فقصد جيش نرسي فالتقوا اسفل من كسكر بمكان يدعى السقاطية فاقتتلوا في الصحراء قتالا شديداً ، انخذل الفرس أمام العرب وهرب نرسي وتشرد جيشه • وجمع العرب الغنائم ، فرأوا من الاطعمة شيئا عظيماً • وجاؤا الى ابي عبيد بآنية فيها أنواع اطعمة فارس من الألوان والأخبصة وغيرها ، فقالوا : هذه كرامة أكرمناك بها وقِرى لك • قال : أأكرمتم الجند وقريتموهم مثله ؟ قالوا : لم يتيسر ، ونحن فاعلون • فقال أبو عبيد : فلا حاجة لنا فيما لا يسع الجند • فردّه[٤] •

ولم يرد اثناء فتوح المسلمين لبلاد العراق اى ذكر عن فتح مدن كبيرة جنوب المدائن سوى تلك التي ذكرناها ، مما يدل على ان تلك الارض كانت أرضاً زراعية قليلة العمران سرعان ما خضعت للفتح الجديد لتكون جزءاً من الامبراطورية العربية الفتية •

ومرت الاعوام والعراق تحت حكم دولة الخلفاء الراشدين يؤدي الخراج عن خيرات أرضه ويعيش بأمن واطمئنان ، حتى بدأ الخوارج يتجمعون للتمرد على سلطة تلك الدولة ويحرضون الناس على الثورة ضد

---

(٢) المسالح : مفردها مسلحة ، ومعناها : قوم ذوو سلاح •
(٣) فتوح البلدان ـ ص٢٥١ •
(٤) تاريخ الطبري ـ ج٢ ص٦٣٧ •

الخليفة الرابع علي بن ابي طالب (رض) ، فصمم على ان يقاتلهم قتال المؤمن بحقه ، الذائد عن دين الله تجاه باطلهم ، أن يقاتلهم قتالا لا هوادة فيه حتى يظهره الله عليهم . وكان الخوارج قد اجتمعوا في أربعة آلاف مقاتل ولحقوا بالمدائن فقتلوا عامله عليها وهو عبدالله بن حباب : ذبحوه ذبحاً وبقروا بطن امرأته وكانت حاملاً ، وقتلوا غيرها من النساء[٥] ، وكانوا قد بايعوا عبدالله بن وهب الراسبي . فسار اليهم علي (رض) في سنة ثمان وثلاثين للهجرة حتى اتى النهروان ، فحمل عليهم وقضى على جيشهم قضاء تاما .

وبعد ان زال حكم دولة الخلفاء الراشدين أصبح العراق تحت حكم بني أمية وكان يتولى شؤون ادارته أمير يعينه الخليفة الاموي . وكانت امارة العراق هذه مؤلفة من أيالة الكوفة وأيالة البصرة وأيالة خراسان . ويقيم الامير في الكوفة بعض السنة ، وفي البصرة بعضها . وكان للعراق ديوان خراج مقره الكوفة . فبعد ان بنى الحجاج مدينة واسط جعلها مقر امارة العراق ، ونقل ديوان الخراج وبقية دواوين الامارة في الكوفة اليها . وهنا نقف على عتبة حدث كبير من أحداث التاريخ في هذه المنطقة وهو بناء هذه المدينة العظيمة وما لعبته من دور مهم على زمن الامويين وما بعدهم .

كيف انشئت واسط ؟

عندما انتهي الحجاج بن يوسف الثقفي من حروبه بدأ يفكر باتخاذ مقر له عوضاً عن الكوفة التي لم يأنس فيها استقراراً أو تجاوباً مع حكمه . فقال لرجل ممن يثق بعقله : امض وابتغ لي موضعاً في كرش من الارض (أي مرتفع منها) ابني فيه مدينة ، وليكن على نهر جارٍ . فاقبل ملتمساً ذلك حتى سار الى قرية فوق واسط بقليل يقال لها واسط القصب ، فبات بها واستطاب ليلها واستعذب انهارها واستمرأ طعامها وشرابها ، وسأل : كم بين هذا الموضع والكوفة ؟ فقيل له : اربعون فرسخا . قال فالى المدائن ؟ قالوا اربعون فرسخاً . قال فالى الاهواز ؟ قالوا اربعون

---

(٥) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ج٢ ص٤١٥ .

فرسخاً . قال فللبصرة ؟ قالوا : أربعون فرسخاً . قال هذا موضع متوسط . فمن أجل ذلك سميت واسط بهذا الاسم . وقيل بأنها سميت واسطاً نسبة الى واسط القصب تلك . وكتب هذا الى الحجاج بالخبر ، ومدح له الموضع . فكتب اليه : اشتر لي موضعاً ابني فيه مدينة ، وكان موضع واسط لرجل من الدهاقين يقال له داوردان فساومه بالموضع[6] .

وقال الاصمعي : وجه الحجاج الاطباء ليختاروا له موضعاً حتى يبني فيه مدينة فذهبوا يطلبون ما بين عين التمر الى البحر ، وجوّلوا العراق ورجعوا وقالوا : ما اصبنا مكاناً اوفق من موضعك هذا في خفوف الريح وانف البرية[7] .

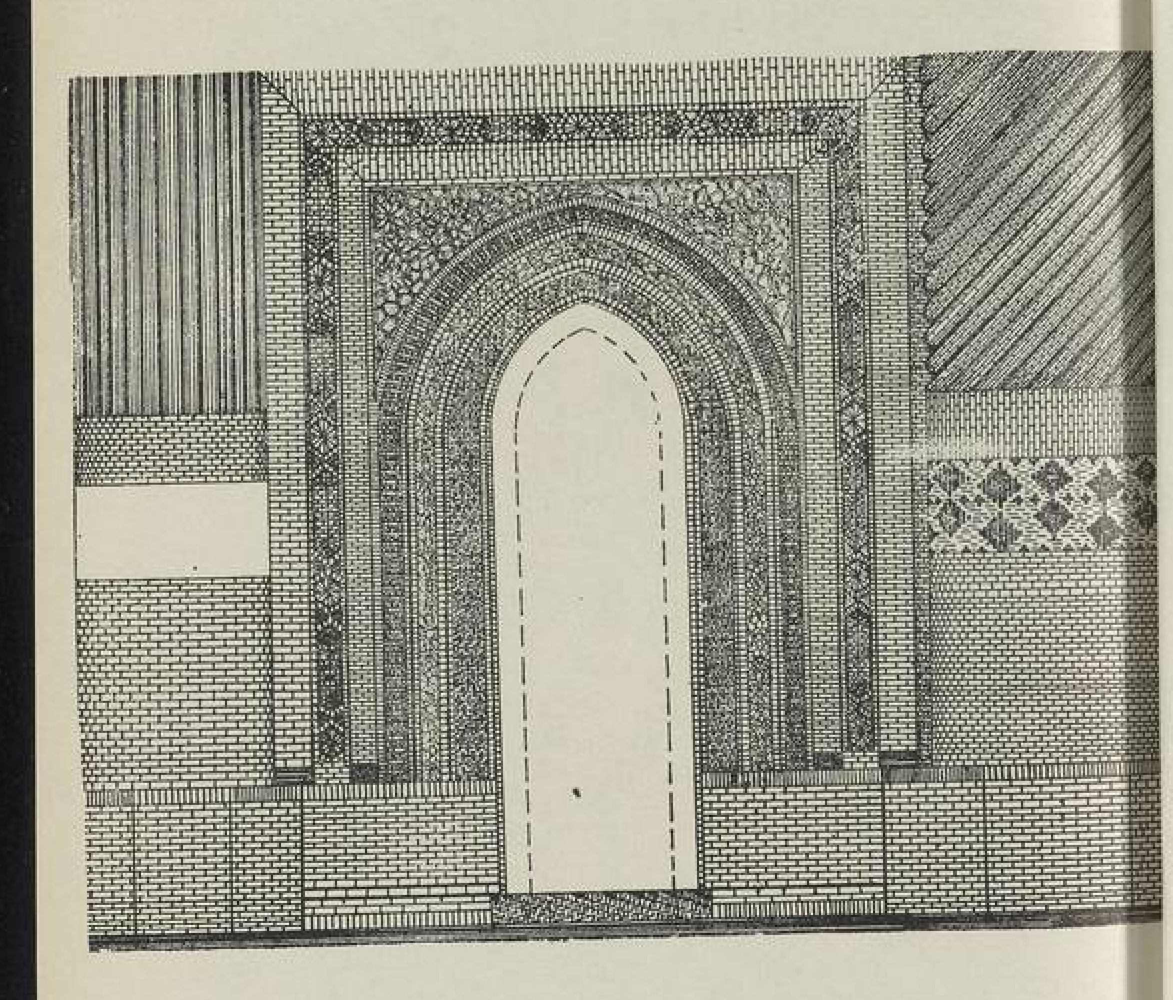
وشرع الحجاج في بناء واسط عام ٨٣هـ (٧٠٢م) وقيل ٨٤هـ (٧٠٣م) على رأي بعض المؤرخين ، وكان ذلك في خلافة عبدالملك بن مروان . وكانت واسط من شطرين يفصلهما نهر دجلة (بمجراه القديم) فالشطر الشرقي هو أقدمها وكان في الاصل بلدة ساسانية تدعى كسكر ، حيث استحدث الحجاج مدينته قبالتها وهي الشطر الغربي الذي بنى فيه قصره وجامعه وأحاطه بسور عظيم .

وانفق الحجاج على بناء القصر والجامع والخندقين والسور ثلاثة وأربعين مليون درهم[8] ، فقال له كاتبه صالح بن عبدالرحمن : هذه نفقة كثيرة وان احتسبها لك أمير المؤمنين وجد في نفسه . قال فما نصنع ؟ قال : الحروب لها أجمل . فأحتسب منها في الحروب اربعة وثلاثين مليون درهم ، واحتسب في البناء تسعة ملايين درهم .

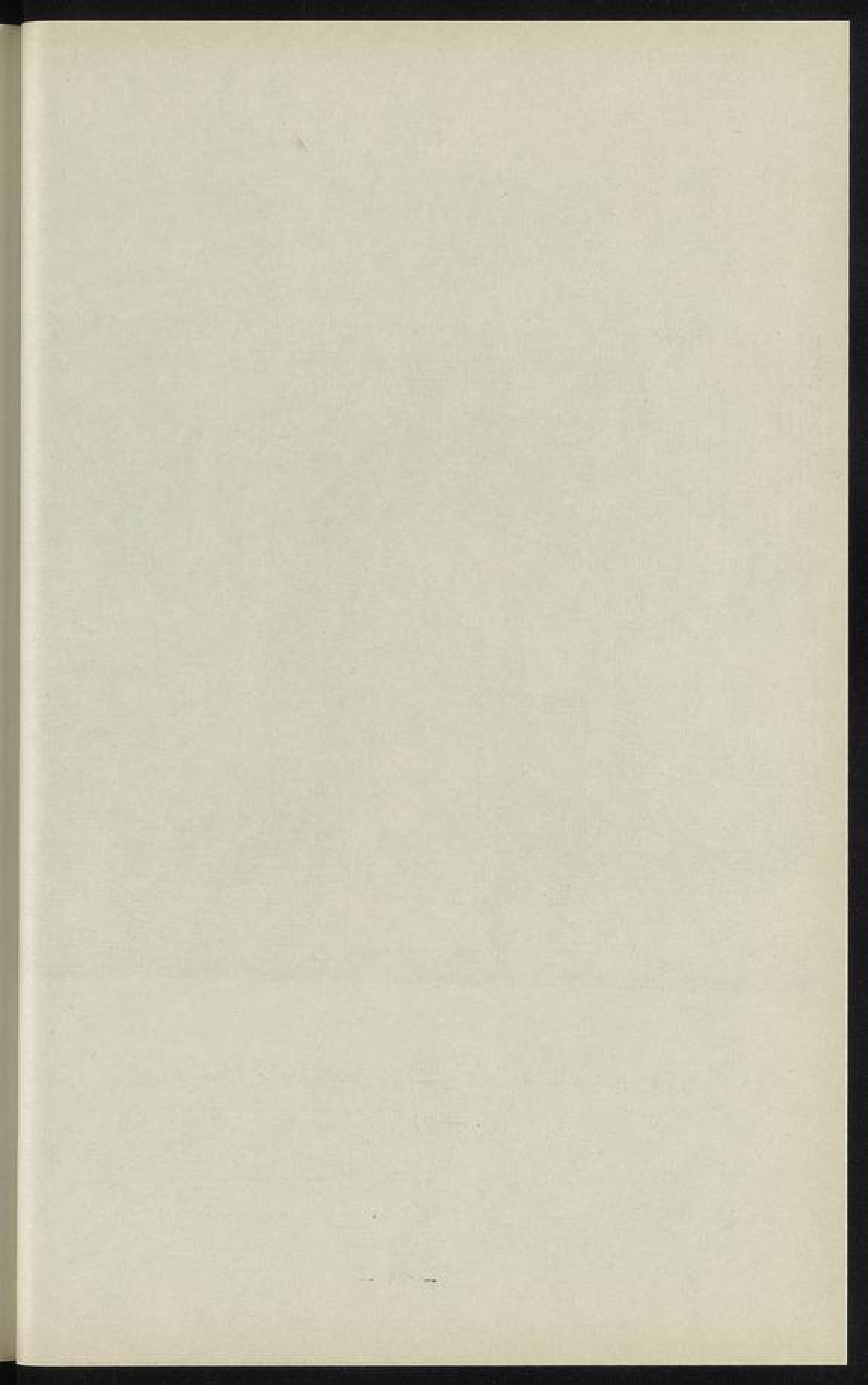
أما القصر فكان مربعاً طول ضلعه اربعمائة ذراع (حوالي ٢٠٠ متراً)، وكان ابرز جزء فيه القبة الخضراء الشاهقة التي كانت ترى من بلدة فم

---

(٦) معجم البلدان ــ ج٥ ص٣٤٧ .
(٧) المصدر السابق .
(٨) المصدر السابق .



صورة مجددة لواجهة المدخل الرئيسي لآثار واسط (المنارة)
(عن كتاب « واسط »)



الصلح الواقعة على بعد سبعة فراسخ شمال واسط • وكان للقصر اربعة أبواب كل منها يفضي الى طريق عرضها ثمانون ذراعاً[٩] • وبنى الحجاج بجوار قصره مسجداً جامعاً مربع الشكل أيضاً طول ضلعه مائتا ذراع (حوالي ١٠٠ متراً) وجعل على مقربة من القصر سوقاً عامرة ، خصص لتجار كل قسم من البضاعة جزءاً منها كالصيارفة والعطارين والخرازين والبقالين وأصحاب السقط وأصحاب الفاكهة والصناع وغيرهم • وكانت السوق تمتد من القصر حتى شاطىء دجلة شرقاً ، والى درب الخرازين جنوباً[١٠] • وكان في داخل المدينة رحبات واسعة ذكر ياقوت منها ثلاثاً ، أكبرها تلك التي تلي صف الحدادين ، ومساحتها ثلاثمائة ذراع في ثلاثمائة • ثم الرحبة التي تلي الجزارين ومساحتها ثلاثمائة في مائة • ورحبة ثالثة صغيرة • وقد اشاد ياقوت الحموي بذكر مدينة واسط وخصب أرضها ووفرة خيراتها فقال : (ورأيت انا واسطاً مراراً فوجدتها بلدة عظيمة ذات رساتيق وقرى كثيرة وبساتين ونخل يفوق الحصر • وكان الرخص موجوداً فيها من جميع الاشياء مالا يوصف بحيث اني رأيت فيها كوز زبد بدرهمين ، واثنتي عشرة دجاجة بدرهم ••• والخبز اربعون رطلاً بدرهم ، واللبن مائة وخمسون رطلاً بدرهم ، والسمك مائة رطل بدرهم وجميع ما فيها بهذه النسبة)[١١] •

وظلت واسط في تقدم وازدهار وهي تتمتع بمركز مرموق في زمن الخلافة الاموية حيث كانت مقراً للحكم الاموي في العراق وعاصمة للولاة الذين يحكمونه • وفي سنة ١٣٢هـ (٧٤٩م) سقطت الدولة الاموية بيد

---

(٩) تاريخ واسط ـ بحشل ـ ص١١ (وهو مخطوط مستنسخ في مكتبة المتحف العراقي) •

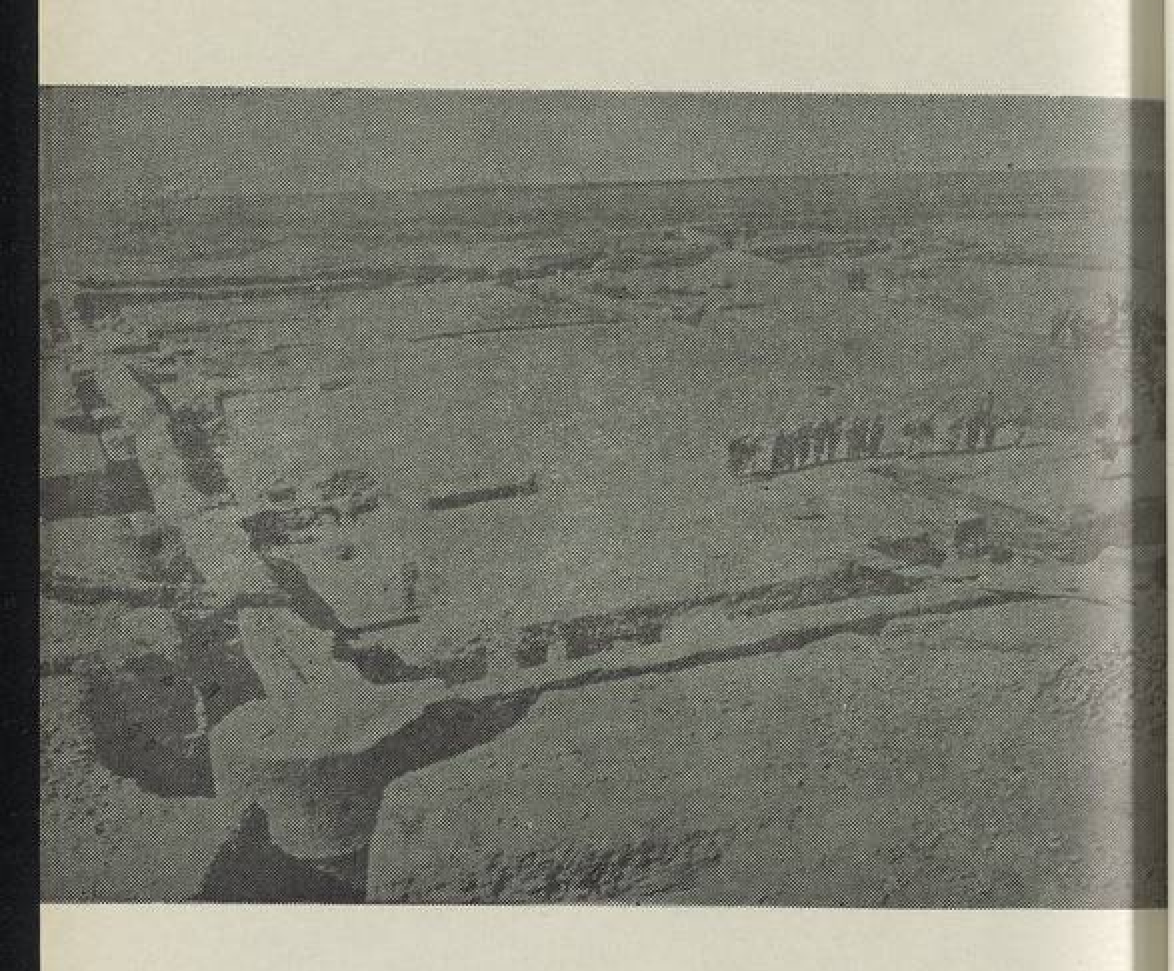
(١٠) واسط ـ فؤاد سفر ـ ص٢ •

(١١) معجم البلدان ـ ج٥ ص٣٤٧ ـ وقد مدح بعض الشعراء واسطا منهم ابو شجاع بن دواس القنا حيث قال :

يا رب يوم مرَّ بي في واسط	جمع المسـرة ليله ونهاره
مع اغيد خنث الدلال مهفهف	قـد كاد يقطع خصـره زناره
وقميص دجلة بالنسيم مفرك	كسـر تجرّ ذيوله اقطاره

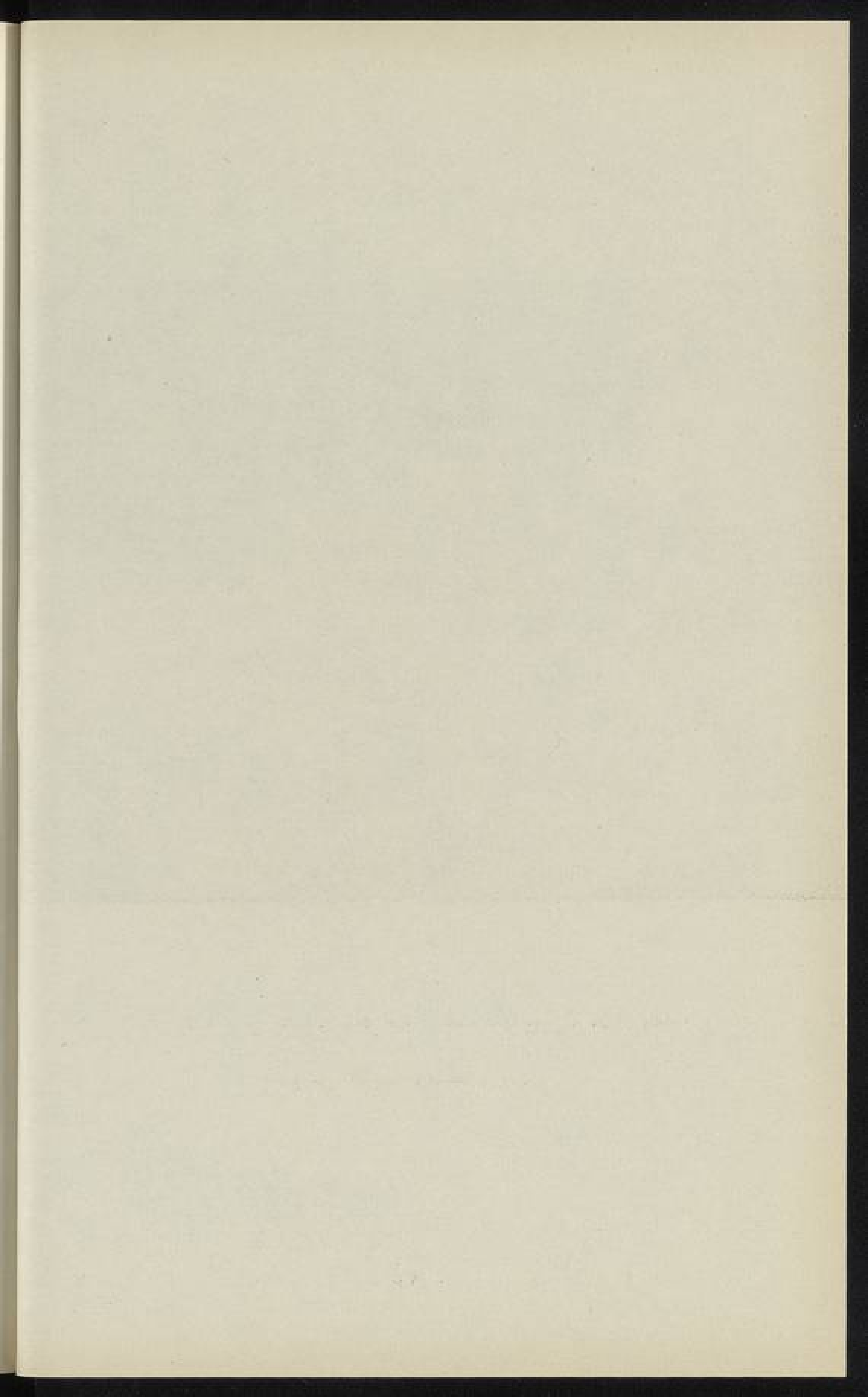
العباسيين الذين استولوا على الحكم وقد قدر لهذه المدينة الجديدة (واسط) ان تلعب دوراً مهماً آنذاك فقد كان يزيد بن هبيرة والياً على القسم الشرقي من الدولة الاموية ومكلفاً باسترداد جنوب العراق من ايدي الثائرين العباسيين . وكان ابو مسلم الخراساني قد زحف بجيشه الكبير على العراق فدارت المعركة بينه وبين الجيش الاموي ، واضطر فيها ابن هبيرة الى الانسحاب بجيشه الى واسط والتحصن فيها . وعندما قتل الخليفة الاموي واستسلمت البلاد للجيش العباسي ، بقيت واسط متحصنة بأسوارها ، متمردة على الدولة الجديدة . وطال أمد الحصار اشهراً ، ونفد صبر الخليفة العباسي السفاح على هذا الحصار . فأرسل أخاه أبا جعفر المنصور لاخضاع المدينة الثائرة ولكن الامر لم ينته الى شيء فقد بقيت المدينة المحصنة صامدة بوجه جيوش الدولة العباسية لمدة تقارب السنة حتى اضطر الخليفة العباسي الى عقد الصلح مع قائد الجيش المحصور ، واعطائه العهد والمواثيق بالامان عند فك الحصار . وعندئذ فقدت واسط مكانتها السياسية غير انها بقيت تحافظ على منزلتها الحضارية والاجتماعية والسوقية بالرغم من انها لم تعد عاصمة للدولة . ولم تلبث ان ظهرت للوجود مدينة عظيمة شمال واسط وعلى مجرى النهر الذي تقع عليه وهي دار السلام او بغداد التي بناها الخليفة العباسي الثاني **أبو جعفر المنصور عام ١٤٥هـ** (٧٦٢م)، فأصبحت لها المكانة الاولى دون منازع ، واحتلت الصدارة بين المدن العربية، وخضعت جميع البلاد والمدن لحكمها ، فكانت عاصمة لامبراطورية عظيمة تمتد بين الشرق والغرب في العالم القديم . وبقيت واسط خاضعة لحكم بغداد طيلة فترة وجودها ما خلا بعض الاحيان التي كانت تخضع فيها لحكم بعض المتمردين .

وكأية مدينة كبيرة كان يلحق بواسط عدد غير قليل من النواحي والقرى والارباض ذات علاقة اقتصادية وتجارية واجتماعية وثيقة معها ، ولعل أهمها كانت (فم الصلح) التي تقع على نهر شمال واسط يدعى بنهر (فم الصلح) . وقد وصف ابن رستة في (الاعلاق النفيسة) فم الصلح بانها



الاسس المتبقية من جامع واسط كما كشفت عنها مديرية الآثار العامة

(عن كتاب « واسط »)



مدينة على شرقي دجلة وبها مسجد جامع واسواق[١٢] • وفي فم الصلح هذه كانت تقع دار الحسن بن سهل وزير المأمون وفيها تزوج المأمون ببوران أبنة الحسن بن سهل ، وكان قد خطبها سنة ٢٠٩هـ (٨٢٤م) ثم انحدر الى فم الصلح بعدئذ حيث ابتنى بها[١٣] •

وفي جنوب واسط كان يقع الدير (عمر كسكر) في قرية تدعى برجوني (او برجونية) وهي قرية نزهة ذات اشجار ونخل كثيرة ، وكان النصارى قد عمروا فيها ديرهم ، وفيه كرسي المطران ، وهو دير كبير حسن البناء محكم الصنعة[١٤] •

ومن نواحي واسط بلدة الهمامية وتقع على نهر يعرف باسمها (همامية) يأخذ من دجلة وهي منسوبة الى همام الدولة منصور بن دبيس بن عفيف الاسدي • وكانت هذه البلدة موجودة في المائة السابعة

---

(١٢) عين مؤلف كتاب (ري سامراء) موضع فم الصلح عند تل ابي غريب الواقع على الضفة الشرقية من شط الدجيلة شمال واسط • اما نهر فم الصلح فقد ذكر بانه النهر القديم الذي يعرف اليوم بنهر الجماليات ويقع فى جوار التل المذكور •

(١٣) تصف المصادر المختلفة يوم الزواج وبذخه بافاضة ، من ذلك ان بوران لما ادخلت على المأمون نثر على القواد والمدعوين بنادق مسك فيها رقع باسماء ضياع وجوار وخيل ، وكل من وقع بيده رقعة اصبح يمتلك ما كتب فيها • ونثرت جدتها على رأسه الف حبة لؤلؤ نفيسة • وقد اوقدت ليلة الزفاف شمعة عنبر وزنها ٤٠ منا في فانوس من ذهب •
(راجع مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء ـ لياسين بن خيرالله العمري ـ ص٢١٢) •

(١٤) راجع كتاب الديارات للشابشتي ص١٧٦ ـ بغداد ١٩٥١ ـ وقد جاء فيه ان ابن الحجاج ذكره بقوله :

بالعمر من واسط والليل ماانبسطت ... فيها النجوم وضوء الصبح لم يلح

كما ان محمد بن حازم (من شعراء الدولة العباسية) عناه بقوله :

بعمر واسط طاب اللهو والطرب ... واليادكارات والادوار والنخب
وفتية بذلوا للكأس أنفسهم ... وأوجبوا لرضيع الكأس ما يجب
وأنفقوا في سبيل القصف ما وجدوا ... وانهبوا مالهم فيها وما اكتسبوا

(واليا دكارات لفظة فارسية بمعنى الذكريات) •

للهجرة حيث جاء في (الحوادث الجامعة) ان الشيخ ابا العباس أحمد بن ثبات الهمامي الواسطي كان احد عدول واسط وتولى قضاء الهمامية مده ثم ترك ذلك وقدم الى بغداد[١٥] .

ومن نواحي واسط أيضاً قرية الهُرْث وقد وصفها ياقوت بأنها (قرية على نهر جعفر من أعمال واسط)[١٦] . وذكر عن نهر جعفر هذا بانه (نهر بين واسط ونهر دقلة ، عليه قرى وهو أحد ذنايب دجلة) . ويقع على هذا النهر أيضاً قرية أخرى تعرف باسم المأمن ذكرها مؤلف الحوادث الجامعة بقوله : (في سنة ٦٧٠هـ أمر صاحب الديوان علاءالدين بعمارة موضع في نهر جعفر من أعمال واسط سماه المأمن وبنى فيه ديواناً وجامعاً وخاناً وحماماً وسوقاً وانتقل اليه خلق كثير . وكان التجار المنحدرون الى البصرة والمصعدون منها يصعدون متاعهم اليه فانتفعوا به وأمنوا على أموالهم[١٧] .

وكان في ناحية نهر جعفر قرية تعرف باسم (شافيا) وصفها ياقوت بقوله انها (من قرى واسط من ناحية نهر جعفر بين واسط والبصرة) .

ومن نواحي واسط أيضاً : الجامدة وهي قرية كبيرة جامعة ينسب اليها أبو يعلي محمد بن علي بن الحسين الجامدي الواسطي ويعرف بابن القاري وكان شيخاً صالحاً توفي سنة ٦٠٣هـ (١٢٠٦م) .

ومن نواحي واسط أيضاً : شلمغان (بفتح اوله وسكون ثانيه) وهي القرية التي ظهر فيها أبو جعفر محمد بن الشلمغاني الذي ادعى حلول الألهية فيه عام ٣٢٢هـ (٩٣٣م) وتبعه كثير من الناس . فقبض عليه الوزير ابن مقلة وسجنه ، وكبس داره فوجد فيها كتباً من اتباعه يخاطبونه

---

(١٥) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة المنسوب الى ابن الفوطي ــ ص٦٣ .

(١٦) وقد قال عنها الشاعر ابو الغنائم محمد بن علي :

قد منعت الهرث دارا في الاذى بالفيافي غير دار الهون رحلي

(١٧) الحوادث الجامعة ــ ص٣٧٢ .

فيها بما لا يخاطب به البشر • فاحضر الفقهاء والقضاة فافتوا باباحة دمه فشنق[18] •

ومنها أيضاً (أبو فريش) وقد ذكرها صاحب مراصد الاطلاع بانها قرية بواسط بينهما فرسخ واحد في طريق المصعد ، ولم يذكرها ياقوت في معجمه مما يدل على انها لم تكن موجودة في وقته • وكذلك قرية الحوز التي جاء ذكرها في مراصد الاطلاع بانها قرية في شرقي واسط قبالتها متصلة بالحزامين (منطقة من مناطق واسط) فهي كالمحلة منها ويقال لها حوز برقة • ومن نواحيها أيضاً قرية فريث التي ينسب اليها رباط الفريثي •

وذكر الطبري قرية أخرى من قرى واسط يقال لها الصافية تقع جنوبها وذلك عندما وجه الخليفة المعتصم جيشاً بقيادة عجيف بن عنبسة لحرب الزط الذين كانوا قد عاثوا في طريق البصرة واحتملوا الغلات من بيادر كسكر ومايليها وقطعوا الطريق بين واسط والبصرة[19] • فلما وصل عجيف الى واسط ، جعل معسكره في قرية جنوبها يقال لها الصافيه ، وصار عجيف الى نهر يتفرع من دجلة يقال له بردودا ، فلم يزل مقيماً عليه حتى سده ، وقيل ان عجيفاً انما جعل معسكره بقرية اسفل واسط يقال لها نجيدا[20] •

وقد كانت واسط تقع في منطقة وافرة الخيرات مزدحمة السكان ، كثيرة القرى حتى لا يكاد يستطاع الالمام بنواحيها وقراها الكثيرة العدد والتي ظهرت في أزمان مختلفة ، فقد جاء ان نهر دجلة فاض في سنة ٣١٠هـ (٩٢٢م) فيضاناً عظيماً فانبثق فيه قرب واسط سبعة عشر بثقاً أكثرها الف ذراع ، واصغرها مائتا ذراع ، وغرق من أمهات القرى الفان وثلاثمائة قرية[21] •

---

(١٨) الكامل في التاريخ لابن الاثير - ج٦ ص٢٤١ •

(١٩) كان رئيس الزط يدعى محمد بن عثمان وقد حاربه الجيش العباسي بقيادة عجيف لمدة تسعة اشهر فقتل منهم ثلاثمائة رجل وأسر خمسمائة ، واخذ الاسرى منهم الى بغداد وكان ذلك عام ٢١٩هـ (٨٣٤م) •

(٢٠) تاريخ الطبري ج٧ ص٢٢٤ •

(٢١) تكملة تاريخ الطبري للهمداني - ج١ ص٣١ •

ولقد كانت واسط دون شك المدينة المهمة في المنطقة كلها طوال فترة مديدة ، غير انه كان هناك كثير من البلدان الاخرى التي تزدحم بها هذه المنطقة التي عنينا بدراستها (والتي سميت فيما بعد باسم لواء الكوت) • وهذه البلدان وان كانت لا تضارع واسط بالاهمية التاريخية الا انها هي الاخرى جديرة بالاهتمام والدراسة نذكر منها : اسكاف بني جنيد وهي أول بلدة تاريخية تقع قرب حدود اللواء الشمالية في الوقت الحاضر • وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى رؤوساء هذه الناحية ، وكانوا ذوي كرم ونباهة فعرف الموضع بهم • وكانت بلدة اسكاف بني جنيد هذه تكون من الاسكاف العليا والاسكاف السفلى وتقعان على النهروان • وقد هجرت هذه البلدة منذ أمد بعيد وتخربت لخراب النهروان على زمن الملوك السلجوقين ، حيث انسد النهر واهمل الملوك اصلاحه فخربت الكورة بأجمعها • وقد نبغ من أهل هذه البلدة وقتئذ كثير من أعيان العلماء والكتاب والمحدثين[٢٢] • ويظن ان الخرائب التي تقع اليوم على مجرى النهروان من الجانبين على مسافة ستة كيلومترات والتي تعرف باسم (سماكة) والتي يبلغ ارتفاع بعضها أكثر من خمسين قدماً ، هي آثار بلدة اسكاف بني جنيد •

وفي الجنوب الغربي من اسكاف بني جنيد كانت تقع بلدة دير العاقول نسبة الى دير للنصارى بهذا الاسم يقع على الضفة الشرقية من دجلة[٢٣] ويقول عنه ياقوت بأنه يقع (بين مدائن كسرى والنعمانية ، بينه

---

(٢٢) معجم البلدان ج١ ص١٨١ ، ومراصد الاطلاع ج١ ص٧٥ •

(٢٣) جاء ذكر دير العاقول في أقوال بعض الشعراء فقال احدهم :

فيك دير العاقول ضيعت أيا ... مي بلهو وحث شرب وطرف
ونداماي كل حرّ كريم ... حسن دلّه بشكل وظرف
بعد ما قد نعمت في دير قنى ... معهم قاصفين أحسن قصف
بين ذين الديرين جنة دنيا ... وصفها زائد على كل وصف

وقال البحتري :

نزلوا ربوة العراق ارتيادا ... اي ارض اشفّ دارا واسنى
بين دير العاقول مرتبع أشـ ... ـرف محتلّه الى دير قنى

وبين بغداد خمسةعشر فرسخاً على شاطيء دجلة كان ، فاما الآن فبينه وبين دجلة مقدار ميل • وكان عنده بلد عامر واسواق أيام كون النهروان عامراً ، فاما الآن فهو بمفرده في وسط البرية)[٢٤] •

وبلدة دير العاقول كانت المركز الرئيسي لطسوج النهروان الاوسط ، فكانت الضرائب والعشور تجبى عندها[٢٥] •

ووصف ابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٨م) في كتابه (مسالك الابصار في ممالك الامصار) دير العاقول بقوله : دير العاقول أسفل من المدائن باثني عشر فرسخاً ، والى جانبه قرية كبيرة أخرجت عدة من الكتاب والوزراء ، وهو حسن البناء ، راكب على دجلة • وذكر ابن رستة في كتاب الاعلاق النفيسة هذه البلدة بقوله (وبدير العاقول مسجد جامع واسواق وما صر[٢٦] ، وبها اصحاب السيارة)[٢٧] • والسيارة هي ضرب من السفن النهرية كانت تستعمل في أيام العباسيين • وذكر ابن رستة كذلك قرية كانت تقع الى جانب دير العاقول اسمها الصيادة ، ووصفها بأنها قرية كبيرة غناء •

وبالقرب من دير العاقول وقعت المعركة الشهيرة بين يعقوب بن الليث الصفار الخارجي ، الذي خرج على الدولة العباسية ، وبين الجيش العباسي في زمن الخليفة المعتمد • وكان يعقوب بن الليث قد دخل واسط عام ٢٦٢هـ (٨٧٦م) فزحف اليه الجيش العباسي بقيادة الموفق ابي أحمد • وقبل وصوله اليه تقدم يعقوب بجيشه نحو دير العاقول ، وكان الجيش العباسي قد وصل موضعاً شمال دير العاقول يقال له سيب بني كوما ، فالتحم الفريقان

---

(٢٤) معجم البلدان ـ ج٢ ص٥٢٠

(٢٥) ري سامراء ـ ج٢ ص٤١٨ •

(٢٦) المآصر حاجز على النهر : وذلك بأن تثبت سفينتان على شاطيء النهر وتثبت سفينتان على الشاطيء المقابل وتربط السفن علي عرض النهر بقلوس (وهو الحبل الضخم المستعمل للسفن) فيقفل النهر بوجه السفن القادمة ليلا للسيطرة على الملاحة في النهر •

(٢٧) الاعلاق النفيسة ـ ابن رسته ـ ص١٨٦ •

هناك بمعركة ضارية اندحر فيها جيش يعقوب بعد ان أصيب هو نفسه بجراح ، وانسحب من المعركة منهزماً[٢٨] • وقد ذكر قدامة بن جعفر في كتاب الخراج ان سيب بني كوما هذه تقع على بعد سبعة فراسخ من المدائن، وعلى بعد أربعة عشر فرسخاً من بغداد •

وبالقرب من بلدة دير العاقـــول يقع دير قُنّى[٢٩] (بضم القـاف وتشديد النون وفتحها) على بعد كيلومترين من دجلة ، ويقال له دير قوني نسبة الى امرأة نبيلة سعت في بنائه اكراماً لمـار ماري الذي شفاها من البرص الذي كانت مصابة به ، ويعرف أيضاً بدير مر ماري السليح • وهو ديـر حسن نزه عامر ، محـكم البناء شبيه بالحصن المنيع ، وفيه مائة قلاية لرهبانه والمتبتلين فيه (والقلاية هي الصومعة التي ينفرد فيها الراهب وجمعها قلايات)، لكل راهب قلاية ، وهم يتبايعون هذه القلالي بينهم من ألف دينار الى مائتي دينار ، وحول كل قلاية بستان فيه من جميع الثمار • وتباع غلـة البستان منها من مائتي دينار الى خمسين ديناراً[٣٠] • وفي وسط هذا الدير نهر ، فضلاً عن انه كان قريباً من نهر دجلة وكان المنحدر في دجلة يرى نوره من بعد[٣١] وكثيراً ما كان يفرش الرهبان الحصر والثياب من الشط

---

(٢٨) يعقوب بن الليث الصفار : وهو الذي انشأ الدولة الصفارية بسجستان سنة ٢٥٣هـ (٨٦٧م) ودامت حتى سنة ٢٩٨هـ (٩١٠م) حيث ذهب امرها بعد ان تعاقب على الحكم منها خمسة من رجال هذه الاسرة • وكانت وفاة يعقوب الصفار سنة ٢٦٥هـ (٨٧٨م) •

(٢٩) يرى بعض الباحثين ومنهم فيلكس جونس ان دير العاقول يقع في تلول الدير الموجودة شمال العزيزية الحالية ، وان دير قنى يقع في تل قماز القريب منه •

(٣٠) معجم البلدان ج٢ ـ ص٥٢٨ ، والديارات للشابشتي ـ ص١٧١

(٣١) للشعراء في هذا الدير أشعار جميلة منها قول ابن جمهور محمد بن الحسن القمي :

يا منزل اللهـــو بدير قنى	قلبي الى تلك الربى قد حنّا
ســـقياً لأيامك لما كنا	نمتار منك لذّة وحســـنا
أيـــام لا أنعم عيش منـــا	اذا انتشـــينا وصحونا عدنا
وان فنى دنّ نزلنـــا دنّـــا	حتى يظن انـــا جننّـــا !

وقال ايضا :

الى الدير عندما ينزل الجاثليق من الشبارة (وهي ضرب من السفن النهرية) لزيارة الدير[٣٢] •

وكان الى جانب هذا الدير قرية كبيرة تعرف أيضاً بدير قنى ، خرج منها عدد من مشاهير الناس منهم علي بن عيسى بن داوود الجراح ، والحسن ابن مخلد ، والوزير بن الفياض ، ومتى بن يونس ، والفضل بن يحيى بن فرخان شاه وغيرهم[٣٣] • وقد ذكر هذه القرية مؤلف مراصد الاطلاع بقوله أنها قرية من قرى النهروان ، وقال انه يقابل هذا الدير قرية يقال لها الحديدة[٣٤] • كما أشار القزويني في كتابه (آثار البلاد) الى قرية باسم بنارق تقع مقابل دير قنى على دجلة بقوله (ان بنارق قرية بين بغداد والنعمانية مقابل دير قنى على دجلة ، وهي الآن خراب) • وبالقرب من دير قنى بلدة يقال لها الصافية يقول عنها ياقوت (انها بليدة كانت قرب دير قنى في أواخر النهروان ، قرب النعمانية ، خرج منها جماعة من الكتاب الاعيان أصحاب الدواوين الجليلة ، كانت مشرفة على دجلة وقد خربت مع خراب النهروان ، وآثار حيطانها باقية الى الآن) وهذا معناه انها تقع على الضفة اليسرى من نهر دجلة ، نظراً الى ان النهروان يقع على هذه الجهة منه ، فعندما خرب النهروان أصابها الجفاف فخربت هي الاخرى • ويوجد في الوقت الحاضر نهر قديم جنوب العزيزية الحالية مباشرة يعرف بين الاهالي باسم نهر الصافي ، ولعل هذه التسمية لها صلة بالصافية القديمة التي كانت تقع في هذه المنطقة •

وكم وقفة في دير قنى وقفتها	اغازل ظبياً فاتن الطرف احورا
وكم فتكة لي فيه لم أنس طيبها	أمت بها حقا وأحييت منكرا
اغازل فيه شادنا او غزالة	واشرب فيه مشرق اللون احمرا

وقال العطوي :

اقول وحالتي تزداد نقصاً	الا يا من ظفرت فلا تهنا
فهذا الدهر صيرنا رذالا	وصار سراتنا من دير قنى

(٣٢) الديارات ـ ص٢٤٩

(٣٣) المصدر السابق ص٢٥٠

(٣٤) مراصد الاطلاع ـ الجزء ٢ ص٥٧١

ومن البلدان الاخرى في تلك المنطقة بلدة همانية وكانت تقع على بعد فرسخين جنوب دير العاقول ودير قنى ، على ضفة نهر دجلة اليمنى • وقد ذكرها مؤلف مراصد الاطلاع باسم همينية وهمانيا ، وقال بانها قرية كبيرة في ضفة دجلة فوق النعمانية[٣٥] ، ووصفها ياقوت في معجمه بأنها قرية كبيرة كالبلدة بين بغداد والنعمانية ، في وسط البرية ليس بقربها شيء من العمارات ، وهي في ضفة دجلة وقد نسب اليها قوم من الكتاب الاعيان[٣٦] • وقد حافظت همانية على اسمها القديم حيث تدعى اطلالها بأسم تلول همينية[٣٧] وهي تقع جنوب العزيزية على الضفة اليسرى من دجلة بعد ان تحول المجرى في هذه المنطقة ، حيث كانت البلدة قبل ذلك على الضفة اليمنى ، وكان مجرى النهر ينحني حول بلدة همانية فيجعلها كشبه جزيرة ، فاتصل طرفا النهر وجفّ انحناؤه بمرور الزمن ولا تزال آثار شبه الجزيرة هذه تشاهد على الضفة اليسرى من نهر دجلة وتدعى حالياً (شط الاعمى) •

وفي جنوب همانية (بينها وبين النعمانية وعلى الضفة اليسرى من النهر) كانت تقع بلدة جرجرايا ، وكانت المدينة الرئيسة في طسوج النهروان الاسفل وقد جاء ذكرها في معجم البلدان ومراصد الاطلاع بأنها بلد من أعمال النهروان الاسفل ، بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي ، كانت مدينة وخربت مع ما خرب من النهروانات وقد خرج منها جماعة من العلماء والشعراء والكتاب والوزراء ، ولها ذكر في الشعر كثير[٣٨] • ويرى فيلكس جونس ان الاطلال الواقعة في جوار (صدر الشاعورة) شمال قرية الدبوني الحالية هي من بقايا مدينة جرجرايا •

---

(٣٥) المصدر السابق ـ الجزء ٣ ص١٤٦٤

(٣٦) معجم البلدان ـ ج٥ ص٤١٠

(٣٧) وصف اطلال همينية الكابتن ميكنن الانكليزي في رحلته عام ١٨٢٧ بانها منطقة اثرية متكونة من تلول بسيطة وقال بانه قد عثر فيها سابقا على سبائك من الفضة وعلى جرة مملوءة بقطع النقود •

(٣٨) من ذلك قول ابزون العماني :

الا يا حبذا يوما جررنا   ذيول اللهو فيه بجرجرايا

وفي الجنوب من جرجرايا ، وعلى الضفة اليمنى من النهر ، كانت تقع بلدة النعمانية التي انشأها في أول الامر النعمان بن المنذر (كما يروى)، ثم أصبحت على زمن العباسيين بلدة مهمة • وقد ذكر ابن رستة ان النعمانية (مما يلي غربي دجلة وهي مدينة بها مسجد جامع واسواق ، وبها تتخذ الطنافس الحيرية)[39] • وقال عنها ياقوت في معجمه بانها بليدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق ، على ضفة دجلة معدودة من أعمال الزاب الاعلى وهي قصبته (وهو زاب النيل) •

وقد كانت النعمانية عامرة في القرن التاسع الهجري حيث ورد ذكرها في حوادث سنة ٨٣٦هـ (١٤٣٢م) ، عندما استولى الامير سپان على الحلة ، وتوجه نحو واسط موهماً انه متوجه الى الجزاير ، فمال خفية من واسط الى النعمانية ومنها رجع الى بغداد فافتتحها[40] •

وفي مدينة النعمانية دير هزقل الذي يعالج فيه المجانين[41] • وبهذا الدير كانت قصة المبرّد مع المجنون[42] • وفي موضع قريب من النعمانية

---

(٣٩) الاعلاق النفيسة ـ ص ١٨٦ ـ طبعة ليدن

(٤٠) تاريخ العراق بين احتلالين ـ ج٣ ص٨٤

(٤١) كتاب البلدان لليعقوبي ـ ص٣٢١

(٤٢) قال المبرد : خرجنا من بغداد نريد واسطا ، فملنا الى دير هزقل ننظر المجانين فاذا بالمجانين كلهم قد رأونا ، ونظرنا الى فتى منهم قد غسل ثوبه ونظفه وجلس ناحية عنهم فوقفنا به فسلمنا عليه ، فلم يرد السلام • فقلنا له : ما تجد ؟ فقال :

الله يعلم أنني كمد ... لا استطيع أبث ما أجد
نفسان لي نفس تضمنها ... بلد وأخرى حازها بلد

قال المبرد : فقلت له أحسنت والله • فأنشأ يقول :

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم ... ورحلوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها ... ترنو الي ودمع العين منهمل
ويلي من البين ، ماذا حل بي وبها ... من نازل البين حل البين وارتحلوا
يا راحل العيس عرّج كي اودعهم ... يا راحل العيس في ترحالك الاجل
اني على العهد لم أنقض مودتهم ... يا ليت شعري بطول العهد ما فعلوا ؟

قال المبرد : فقلت ماتوا • فصاح وقال : انا والله اموت • وتمدد ، فمات • فما برحنا حتى دفناه !! (عن العقد الفريد ـ لابن عبد ربه ـ ج٤ ص٢٠٨) •

(كما في بعض الروايات) قتل المتنبي عام ٣٥٤هـ (٩٦٤م) بعد رجوعه من شيراز حيث مدح عضد الدولة ونال عطاءه ، فخرج عليه فاتك بن ابي جهل الاسدي فقتله وأخذ ماله[٤٣] ٠

وفي جنوب النعمانية ، وعلى بعد خمسة فراسخ منها ، على الضفة الشرقية من دجلة ، كانت تقع بلدة جَبُّل - بفتح الجيم وتشديد الباء وضمها - وقد ذكرها ياقوت في معجمه بقوله (بليدة بين النعمانية وواسط الجانب الشرقي ، كانت مدينة ، واما الآن فاني رأيتها مراراً وهي قرية كبيرة)[٤٤] ٠ وقال عنها ابن رستة بانها مدينة كبيرة وبها مسجد جامع ودار طبيخ للسلطان ، وتسقى زروعها بالزواريق ، وهي مدينة من مدائن ميسان وبها تتخذ الثياب الميسانية ، ويخترقها نهران عظيمان[٤٥] ٠ وميسان

---

(٤٣) في مقتل المتنبي روايات عديدة ، ولم تتفق الآراء على تعيين مكان قتله ، فقد ذكر كل من ابن الاثير (في الكامل) والسمعاني (في الانساب) وابن عماد (في شذرات الذهب) وابي المحاسن (في النجوم الزاهرة) والخطيب البغدادي (في تاريخ بغداد) وابن خلكان وغيرهم انه قتل في الجانب الغربي من دجلة قرب النعمانية ٠ كما ذكر غير هؤلاء انه قتل في الجانب الشرقي قرب دير العاقول ٠ ولذلك قامت متصرفية لواء الكوت في نيسان ١٩٦٧ باتصالات مع بعض الجهات العلميــة والادبية في العراق كجامعة بغداد والمجمع العلمي العراقي ومديرية الآثار العامة للبحث في موضع مصرع المتنبي ، والتحقيق في القبر الواقع جنوب تل النعمان (النعمانيــة القديمة) والذي يقال عنه بانه قبر المتنبي (ويطلق عليه اهل النعمانية اسم قبر أبي سوره) ، بغية احياء ذكرى هذا الشاعر العظيم ٠

والمتنبي هو ابو الطيب احمد بن الحسين بن الحســن بن عبدالصمد الكندي الكوفي حامل لواء الشعر في عصره ٠ ولد سنة ٣٠٣هـ (٩١٥م) وكان يكثر المقام بالبادية لاقتباس اللغة ٠ وقد مدح أشهر ملوك عصره ونال مرتبة سامية لديهم ٠ وهو يعتبر بحق اكبر شعراء العرب ، ومفخرة تاريخهم الادبي ٠

(٤٤) معجم البلدان - ج٢ ص١٠٣ ٠ وجاء في هذا المصدر ان الشاعر البحتري اياها عنى بقوله :

حنانيك من هول البطائح سائرا ... على خطر والريح هــول دبــورها
لئن أوحشــتني جبل وخصاصها ... لما آنستني واســط وقصورها

(٤٥) الاعلاق النفيسة لابن رســتة - المجلد الســابع ص١٨٦ (ط ٠ ليدن) ٠

هذه هي كورة واسعة كثيرة القرى والنخل ، بين البصرة وواسط[٤٦] .
أما القزويني فقد قال عنها بانها (قرية بين النعمانية وواسط ، وكانت في قديم الزمان مدينة يضرب بقاضيها المثل في قلة العقل)[٤٧] .

ولم يبق من بلدة جبّل شيء في الوقت الحاضر ، وقد زالت معالمها نهائياً وطغى على آثارها نهر دجلة حتى لا يكاد يرى منها سوى جزء صغير من بنيانها في وسط النهر ، في موضع بين الكوت وناحية الاحرار مقابل ام البنّي الحالية ، وذلك لتآكل الضفة التي كانت المدينة منشأة عليها . ويطلق الاعراب على هذه الآثار اسم ينبل (ابدلوا بالجيم ياءً على لغة جنوب العراق واقحموا النون فيها) . وقد توهم كثير من السواح الاجانب الذين شاهدوها اثناء رحلاتهم في نهر دجلة ، بانها بقايا جسر قديم على النهر . وقد تمادى بعضهم في أوهامه فذكر تفصيلاً عن عقادات الجسر وعددها وابعادها ..الخ مثل ما فعل الكابتن ميكنن عام ١٨٢٧م[٤٨] .

---

(٤٦) مراصد الاطلاع ـ ج٣ ص١٣٤٣
(٤٧) آثار البلاد واخبار العباد ـ ص٣٤٧ (ط دار صادر ودار بيروت) .

اما أصل المثل الذي يضرب بقلة عقل قاضي جبّل فهو أن الخليفة المأمون اراد الذهاب يوما الى واسط ، فركب سفينة ومعه قاضي القضاة يحيى بن اكثم . وفي اثناء ذلك رأى رجلا على شاطىء دجلة يركض مقابل السفينة وينادي بأعلى صوته (يا أمير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبل) ، فضحك قاضي القضاة منه ، فقال له المأمون : ما يضحكك يا يحيى ؟ قال : يا أمير المؤمنين هذا المنادي هو قاضي جبل يثني على نفسه . فضحك الخليفة وأمر له بشيء وعزله ، ثم قال : لا يجوز أن يلي امور المسلمين من هذا عقله .

(٤٨) ذكر الكابتن ميكنن R. Mignan في رحلته في نهر دجلة بين البصرة وبغداد عام ١٨٢٧ انه غادر الكوت شمالا ، وبعد اربع ساعات وصل الى أطلال جسر قديم كان يمتد بين الجانبين ، لانه استطاع بملاحظة تموجات الماء وارتطامه ان يستبين بوضوح امتداد بقاياه الى الجانب الثاني . وان الجسر يشغل موقعا وسطيا بدعاماته الثلاث القائمة على ابعاد متساوية عن بعضها والمشيدة بأفخر انواع الآجر .... وكان ارتفاع الدعامة التي لم يتطرق اليها الخراب يبلغ ثمانية اقدام فوق مستوى الماء .
كما ان الكولونيل ماكدونالدكينير ذكر في رحلته بين استانبول والبصرة عام ١٨١٣ بان زورقه ارتطم بدعامة جسر حجري قديم لا يعرف شيئا عن بانيه !!

وبالجنوب من ذلك تقع بلدة ماذرايا وسيأتي ذكرها في بحث قادم • وفي اسفل منها وعلى الضفة الغربية من دجلة كانت تقع قرية نهر سابس ، وهي تبعد سبعة فراسخ عن جبّل ، واثني عشر فرسخاً عن النعمانية • وقد ذكرها ياقوت بقوله انها (قرية مشهورة قرب واسط على طريق القاصد لبغداد منها ، على الجانب الغربي) وقال عنها ابن عبدالحق مثل ذلك • وتقع آثارها اليوم على الضفة الغربية من مجرى دجلة القديم (شط الدجيلة) وتعرف باسم تل سابس •

وعلى الضفة الشرقية من النهر ، مقابل قرية نهر سابس ، كانت تقع قرية المبارك التي كان يسلك منها الى طسوجي بادرايا وباكسايا • وبالقرب من قرية المبارك ، وعلى الضفة الشرقية من النهر أيضاً ، كانت تقع قرية قناطر الخيزران وهي التي تعرف آثارها اليوم بتلول الخيزرانة •

والى جانب هذه البلدان والقرى المشهورة كان هناك آلاف من القرى والمزارع تزخر بها هذه المنطقة من أرض السواد ، وهي تنعم بالخصب والخيرات ويأتيها رزقها رغداً • وكان الناس في زمن الدولة العباسية ينحدرون بزوارقهم وسفنهم في دجلة متوجهين من بغداد الى واسط وما والاها من المدن والقرى والأديرة في المواسم والاعياد ، يمضون فيها أوقاتاً طيبة ، ثم لم يلبثوا أن وجدوا أنفسهم وقد زلزلت الارض بهم ، وزحف عليهم الخطر الاسود ، فقد حدثت ثورة الزنج وسار اليهم هؤلاء كالجراد المنتشر ، يقتلون وينهبون ويحرقون القرى والمزارع ، ويسبون النساء والاطفال ، فاكتسحوا البصرة وبلغوا واسطاً فاستباحوها ، وزحفوا شمالاً حتى اجتازوا منطقة الدبوني الحالية وأصبحوا يهددون بغداد نفسها •

وثورة الزنج مظهر من مظاهر اضطراب النظام الاقتصادي والاجتماعي في العهد العباسي • ولكنها في الحقيقة اتخذت شكلاً من أشكال الحقد ضد الفئة الحاكمة واتصفت بالنزعة التخريبية أكثر من أن تكون ثورة منظمة ضد أوضاع فاسدة • كما انها لم تكن ذات عقيدة معينة أو هدف اصلاحي واضح

المعالم[٤٩] • واحتل الزنوج البصرة عام ٢٥٧هـ (٨٧١م) واستباحوها ثلاثة أيام وقتلوا أهلها واعملوا فيها التخريب حتى قال اليعقوبي في تاريخه أنه لم يبق فيها منزل يسكن• وقد أظهر قائدهم على بن محمد[٥٠] من الدهاء ماجعله يلف حوله جموعاً كبيرة من الزنوج ويزحف بهم شمالاً • وكانت أكثر المعارك قد حدثت في السهول الواقعة بين مصب دجلة العوراء وبين واسط ، وهي أراضٍ تكثر فيها مجاري المياه وتزدحم الادغال مما يساعد على الحروب غير المنظمة ويجعل حركة الجيوش أمراً عسيراً ، كما يساعد على اطالة أمد الحرب • وقد استغل الزنوج هذه الاوضاع ولم ينجح الجيش العباسي في محاربتهم واخضاعهم الا بعد اناة طويلة ومعرفة جيدة للمنطقة ، وبعد تقديم خسائر فادحة[٥١] اذ أن كثيراً من الجيوش ارسلها الخليفة العباسي لمحاربة الزنج ولكنها فشلت بعد ان لاقت الاهوال في حروبها معهم لاسيما وان الدولة كانت مشغولة آنذاك بثورة يعقوب بن الليث الصفار مما ساعد علي بن محمد على التوسع حتى استطاع ان يدخل البطيحة وهي مواضع

---

(٤٩) يذكر السيوطي ان صاحب الزنج كان يصعد على المنبر ويسب عثمان وعليا ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة ، وكان ينادي على المرأة العلوية في عسكره بدرهمين وثلاثة ، وكان عند الواحد من الزنج العشر من العلويات يطؤهن ويستخدمهن (تاريخ الخلفاء للسيوطي ـ ص٣٦٤) •

(٥٠) قائد ثورة الزنج واسمه (بهبوذ) وأصله فارسي من قرية (ورزنين) في بلاد فارس • وقد تسمى بعلي بن محمد وزعم انه عربي • ثم ادعى لنفسه النسب العلوي وقدم الى العراق ، ثم رحل الى البحرين عام ٢٤٩هـ (٨٦٣م) حيث دعا الناس الى طاعته فاتبعه اناس وقاومه آخرون مما جر الى فتنة بين الطرفين • فغادرها الى البصرة عام ٢٥٤هـ (٨٦٨م) وكانت مسرحا لفتن مستمرة وخصومات بين قبيلتي البلالية والسعدية • فحاول أن يستغل الخلاف الناشب بينهما فاحس به عامل البصرة ، فهرب هو وأتباعه فقبض عليهم والي البطيحة وارسلهم الى واسط ليسجنوا فيها • ولكن علي بن محمد استطاع ان يهرب الى بغداد واخذ يتحدث عن رؤية آيات تدل على امامته • ثم بلغه خبر عزل والي البصرة وانطلاق المسجونين من سجونهم هناك فعاد الى البصرة ليقود الزنج في ثورته العارمة (راجع : ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد ـ تاليف احمد علبي ـ ص١٢)

(٥١) دراسات في العصور العباسية المتأخرة ـ عبدالعزيز الدوري ـ ص٨٠

تجمع المياه ثم احتل واسط عام ٢٦٤هـ (٨٧٧م) بقيادة أحد قواده وهـو سليمان بن جامع فقتل من أهل واسط خلقاً كثيراً وانتهبت البلدة واحرقت[٥٢] فخرج الناس على وجوههم ، حفاة وخلوا البلد • ثم زحف الزنوج على النعمانية عام ٢٦٥هـ (٨٧٨م) فاحرقوا سوقها واكثر منازلها وسبوا أهلها ، ثم وصلوا جرجرايا ـ الى شمال قرية الدبوني الحالية ـ وأصبحوا يهددون العاصمة بغداد • وترك أهل السواد قراهم وأراضيهم ولجأوا الى بغداد[٥٣] •

وفي اثناء ذلك أخذ وضع الدولة العباسية بالتحسن فقد قضي على ثورة الصفار وتولى قيادة الجيش العباسي أحد الرجال القديرين وهـو الموفق بن المتوكل[٥٤] ، فقد أخذ هذا يعبي الجيش مستفيداً من الاخطاء التي وقع فيها القواد العباسيون اثناء محاربة الزنج • وكان الموفق قد ندب ابنه أبا العباس للشخوص الى ناحية واسط لحرب الزنج واخراجهم منها • كما هيأ لقتالهم سفناً نهرية تحمل الجنود والارزاق في دجلة • فاستعد الزنج لملاقاته وحشدوا كل قواهم في وجهه • ولكن أبا العباس أظهر من المقدرة والبراعة ما مكنه من دخر جيش سليمان بن جامع أحـد قوادهم وتمزيقه •

وركب أبو العباس في اليوم التالي فدخل واسطاً في أحسن زي ، وكان ذلك يوم الجمعة ، فأقام حتى صلى بها صلاة الجمعة واستأمن اليه خلق كثير • ثم انحدر الى العمر[٥٥] وهو على بعد فرسخ من واسط فجعل فيه

---

(٥٢) تاريخ الطبري ج٨ ص٤٠

(٥٣) تاريخ الطبري ـ ج٨ ص٤٤

(٥٤) الموفق ابو أحمد واسمه طلحة بن المتوكل : احد القادة العباسيين المشهورين تولى شؤون الدولة في اثناء خلافة اخيـه المعتمد ، وانصرف الى محاربة الزنج واخماد ثورتهم • وقد توفي ليلة الخميس لثلاث بقين من صفر سنة ٢٧٨هـ (٨٩١م) وعمره تسع واربعون سنة •

(٥٥) وهو عمر كسكر : دير النصارى في اسفل واسط في الجانب الشرقي منها (والعمر : بضم العين وسكون الميم : لفظة سريانية مأخوذة من « عمرا » بمعنى البيت ، والمراد بـه هنا : الدير ، وجمعه اعمار) ـ راجع الديارات للشابشتي ص١٧٦ •

معسكره[٥٦] .

وقد لمّ سليمان شعثه ووافته نجدات أخرى فاصطدم بجيش ابي العباس ولكنه اندحر ثانية وولى هارباً . وأظهر أبو العباس كثيراً من الحنكة والشجاعة ، فكان يتعرف المواقف والممرات والمسالك بنفسه ، وأظهر بعد نظر في معالجة الامور فعندما شتت فرقة من الزنج استبقى رئيسها وضمه الى قواده وهذا أول تطبيق لسياسة جديدة كان لها تأثير كبير في اجتذاب قواد الزنج .

وعندما لاحظ صاحب الزنج (علي بن محمد) قوة ابي العباس وكثرة جيوشه استنجد بجيشه الذي يحارب في الاهواز ليصير مع جيش سليمان بوجه العباسيين . ولما علم الموفق بذلك توجه بجيش كبير نحو واسط ، وتراجع أبو العباس الى مقره بجوار واسط لينتظر والده .

وسار الموفق وابنه لمهاجمة حصن الزنج الشمالي (المدينة المنيعة) الذي بنوه قرب واسط فتم لهما احتلال الحصن وتدميره وانقاذ خمسة آلاف امرأة مسلمة كانت اسيره لديهم[٥٧] . وأخذ الموفق يستعد لضرب حصن الزنج الثاني (المدينة المنصورة) بجوار طهيثا . وكان الزنج قد حصنوها بخمسة خنادق . فادخلها العباسيون وأجلوا الزنج عنها ، وأفلت سليمان بن جامع في نفر من اصحابه . كما استنقذ الموفق من نساء أهل واسط وصبيانهم زهاء عشرة آلاف حملوا الى واسط واعيدوا الى أهلهم . وأمر الموفق بهدم سورها وردم خنادقها . ثم خلف الموفق أبنه أبا العباس في واسط وسار هو بجيشه الى الاهواز ولم يبق آنئذٍ بيد الزنج سوى مدينتهم (المختارة) وكانت عاصمة الزنج ومعقلهم . وعندما سار اليها الموفق وجدها محصنة تحصيناً قوياً ، فحاصرها حصاراً طويلاً وفرض عليها مقاطعة اقتصادية كانت من انجع الوسائل في انهيارها ، فلم يكن للزنج سبيل الى برّ ولا بحر ، فضاقت عليهم السبل وكثر فرار جنودهم وانضمامهم الى

(٥٦) تاريخ الطبري ـ ج٨ ص٥٥
(٥٧) دراسات في العصور العباسية المتاخرة ـ ص٩٤

الجيش العباسي .

وفي عام ٢٦٧هـ (٨٨١م) قام الموفق بهجوم على المختارة الا ان احتلالها استغرق وقتاً طويلاً زاد على السنتين ثم انتهى الحصار باحتلالها والاستيلاء على قصر صاحب الزنج وقتله هو واثنين من قواده . وبذلك انتهت هذه الثورة التي تركت وراءها آثاراً من التخريب والتدمير في جميع مرافق الحياة .

ولم تكن الدولة العباسية بعد ذلك بحال تحسد عليها فقد ضعف أمر الخلافة وكثر تدخل القواد ورجال الحاشية والنساء في شؤونها وأصبح الاتراك والفرس يسيطرون على شؤون الدولة في فترات متتالية فلم يبق للخليفة الا الاسم ، وتوزعت البلاد الى امارات ودويلات متعددة تحكم حكماً فردياً وعشائرياً . ففي عام ٣٢٥هـ (٩٣٦م) أصبحت بلاد فارس في يد علي بن بويه وكرمان في يد ابي علي بن الياس ، والري وأصبهان والجبل في يد ركن الدولة بن بويه ، والموصل وديار ربيعة في يد الحمدانيين ، ومصر والشام في يد محمد بن طغج ، والمغرب وافريقية للمهدي ، والاندلس في يد الامويين ، وخراسان في يد نصر بن أحمد ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم ، واليمامة والبحرين في يد أبي طاهر الجنابي(٥٨) . أما بلاد واسط وما والاها فكانت بيد ابي عبدالله البريدي .

وقد نشأ أبو عبدالله البريدي هذا في أول أمره كمغامر أخذ يستغل الفوضى التي وقعت فيها الدولة من جراء استبدال الخلفاء وقتلهم وتدخل الوزراء والقواد في تعيين حكام الولايات . وكانت واسط قد استبد بها محمد بن رائق وابن ياقوت ، وكان أبو عبدالله البريدي كاتباً لابن ياقوت هذا وضامناً لاعمال الاهواز . فبعد ان قتل ابن ياقوت أصبحت الكلمة العليا لابي عبدالله البريدي واحتل المكانة التي كان يتمتع بها ابن ياقوت وجمع حوله الانصار والرجال وأصبح يتصرف في جنوب العراق كما يشاء . وقد احست الدولة بخطره

---

(٥٨) تكملة تاريخ الطبري ـ محمد بن عبدالملك الهمداني ـ ج١ ص١٠١

منذ البدء في زمن الخليفة الراضي ، فأرسل اليه جيشاً عام ٣٢٥هـ (٩٣٦م) ، ولكن البريدي أعلن خضوعه وولاءه للدولة • ثم سرعان ماتمرد ثانية بعد رجوع الجيش • وعندما قدم القائد التركي بجكم الى بغداد وسيطر على شؤون الدولة عقد صلحاً مع البريدي وضمنه أعمال واسط بستمائة ألف دينار كل سنة • ثم دعي البريدي الى بغداد وكلف بالوزارة للخليفة الراضي ، فبقي فيها سنة واربعة أشهر ثم اقيل منها ، وعادت العلاقات مع البريدي الى أسوء ما كانت عليه حيث تجهز بجكم لاحتلال واسط وسار اليها فلما سمع البريدي بذلك رحل عنها الى البصرة فاحتلها بجكم عام ٣٢٨هـ (٩٣٩م)(٥٩) •

ثم توفي الخليفة الراضي واعقبه المتقي عام ٣٢٩هـ(٩٤٠م) وكان البريدي يعمل على تنظيم صفوفه وتقوية جيشه • وفي هذه الفترة قُتل بجكم في موضع خارج واسط فكانت فرصة مناسبة للبريدي ليحتل واسط ويهدد باحتلال بغداد نفسها • وعندئذ سار المتقي بجيش من الاتراك ، والتقى بجيش البريدي قرب نهر ديالى ، ثم اختلف الاتراك فيما بينهم وانضم قسم منهم الى البريدي ، فوجد المتقي نفسه ضعيفاً أمام جيش البريدي فهرب الى الموصل ودخل البريدي بغداد في الثاني عشر من رمضان من العام المذكور ، فأقام فيها ولكن جنوده ثاروا عليه يطالبونه بالارزاق والرواتب • واذ لم يكن بيده ما يسد طلبهم هجموا عليه واحرقوا داره ونهبوها فلاذ بالفرار الى واسط ، واستولى كورتكين الامير التركي على الامور في بغداد الى ان عاد المتقي اليها من الموصل(٦٠) •

ولما كانت سنة ٣٣٠هـ (٩٤١م) أرسل البريدي أخاه أبا الحسين الى بغداد في لجّ من الاتراك والديلم فخرج اليه الخليفة بجيشه لقتاله ، فكانت الغلبة لجيش البريدي حيث اندحر جيش بغداد وهرب الخليفة الى الموصل• فدخل أصحاب البريدي بغداد واستولوا على دار الخلافة ونهبوها ، وضربت الفوضى اطنابهـــا في بغداد • وصار الناس ينهب بعضهم بعضاً • وأساء

---

(٥٩) الكامل في التاريخ لابن الاثير - ج٦ ص٢٧٣
(٦٠) المصدر نفسه - ٢٨٠

أبو الحسين السيرة بين الناس فنفرت منه قلوبهم وهرب كثير من جنوده الى الموصل للالتحاق بالخليفة المتقي •

وكان المتقي قد انفذ الى ناصر الدولة بن حمدان يستمده في حرب البريديين • وفي الموصل تجهز هو وناصر الدولة لقتالهم وسار نحو بغداد بجيش كثيف • وعندما قارباها هرب ابو الحسين البريدي الى واسط ، فدخل المتقي بغداد ومعه بنو حمدان • ورأى الحمدانيون ان يطاردوا جيش البريدي الى واسط ، فساروا نحوها وأقام ناصر الدولة في المدائن وأرسل أخاه سيف الدولة لاقتفاء أثر البريديين ، فالتقوا بهم جنوب المدائن بفرسخين ، ودارت الحرب بين الطرفين فاندحر الحمدانيون أولاً ، ولكنهم أعادوا الكرة على جيش البريدي فتغلبوا عليه وأسروا جماعة من أعيان أصحابه وانهزم أبو الحسين البريدي ، وزحف سيف الدولة الى واسط فأقام فيها • ولكن اقامته لم تطل اذ شح المال لديه وتذمر جنوده ، وتغير عليه القائدان التركيان توزون وخجخج فهرب منهما راجعاً الى بغداد ، واستولى توزون على واسط ثم زحف الى بغداد وقد أصبح الرجل القوي في الدولة واستبد بالامور ، فاضطر المتقي الى الهرب الى الموصل سنة ٣٣٢هـ (٩٤٣م) مع أهله وحاشيته ليكون بحماية الحمدانيين • ولم تنته الحرب بين توزون وجيشه من الأتراك وبين الحمدانيين والخليفة المتقي فقد ظلت قائمة حتى انتهت بمفاوضة للصلح بين الطرفين على أن يعود المتقي الى بغداد ليقدم له توزون الولاء • ولكن الامور سارت على شكل غير ذلك ، فقد عاد الخليفة الى بغداد سنة ٣٣٣هـ (٩٤٤م) فلم يوف توزون بالعهد الذي قدمه له ، اذ لم يكد يصل الى بغداد حتى قبض عليه وسمل عينيه وخلعه عن الخلافة وبايع بعده المكتفي بالله[٦١] •

أما ابو عبدالله البريدي فلم تطل أيامه ، فقد توفي بالحمى الحادة في الوقت الذي هرب فيه المتقي الى الموصل ، واضمحلت امارته في البصرة

---

(٦١) الكامل في التاريخ لابن الاثير – ج٦ ص٣٠١

وواسط ، وقتل اخوه أبو الحسين البريدي على يد القواد الاتراك واحرقت جثته .

وكانت الخلافة العباسية آنذاك في تدهور مستمر ، وقد سيطر البويهيون على الحكم واستبدوا فيه ولم يبق للخلفاء العباسين سوى الاسم . ويذكر ابن الاثير انه في عام ٤٠٨هـ (١٠١٧م) ضعف أمر الديلم ببغداد وطمع فيهم العامة فانحدروا الى واسط فخرج اليهم أهلها فقاتلوهم وجرت الحرب بين الطرفين وقتل من أهل واسط خلق كثير[٦٢] . وبقيت الاوضاع فيها تتقلب بين يدي غالب ومغلوب ، حتى كان عام ٤٢٠هـ (١٠٢٩م) حيث تغلب الملك ابو كاليجار بن الملك سلطان الدولة بن بهاءالدولة بن عضد الدولة على واسط وكان فيها الملك العزيز بن جلال الدولة ومعه جمع من الاتراك ، ففارقها العزيز وقصد النعمانية . وجمع جلال الدولة جيوشه ، فسار اولاً الى الاهواز واستولى على املاك وأموال ابي كاليجار فيها ، وأسر أمه ونساءه هناك . وعندئذ سار أبو كاليجار لملاقاة جلال الدولة ، فجرت بينهما حرب ضروس انتهت باندحار ابي كاليجار ورجوع جلال الدولة الى واسط . حيث أقام ابنه العزيز فيها ثانية .

هذا ، وكانت الاوضاع نفسها تتكرر عندما سيطر السلجوقيون على الحكم في بغداد وكانت واسط وماجاورها تتأثر بصورة مباشرة باوضاع بغداد وبنوعية الحكم فيها ، وكان يتولاها امراء يحكمون باسم سلطان بغداد . غير ان هذا لا يمنع ان تكون واسط عرضة للاستيلاء من قبل امارات مجاورة أو بعيدة . ففي سنة ٤٩٧هـ (١١٠٤م) زحف سيف الدولة صدقة بن مزيد[٦٣] من الحلة متوجهاً الى واسط بجيش كبير ، وانضم اليه جماعة من الاتراك فيها . واحضر اليه مهذب الدولة بن ابي الجبر صاحب

---

(٦٥) المصدر نفسه ـ ج٧ ص٢٩٩

(٦٣) سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الاسدي امير العرب وهوالذي بني مدينةالحلةالسيفية . وكان عظيمالشأنجليلالقدر ، اتسعت امارته في الحلة وقويت شوكته . وقد قتل عام ٥٠١هـ (١١٠٨م) وعمره آنذاك تسع وخمسون سنة وكانت مدة امارته احدى وعشرين سنة .

البطيحة وضمنه البلد بخمسين الف دينار للمدة المتبقية من تلك السنة ، ثم عاد الى الحلة . غير ان مهذب الدولة أساء التصرف فيها وأمتدت يده الى أموال الناس ينتهبها . فلما انقضت السنة طالبه سيف الدولة بالمال وسجنه وضمن بدلاً منه حماد بن ابي الجبر أعمال واسط .

ولم تلبث ان ساءت العلاقة بين السلطان محمد بن ملكشاه والامير سيف الدولة صدقة فارسل السلطان محمد جيشه الى واسط فانتزعها من يد سيف الدولة صدقة ، وقام الجنود الاتراك بنهب البلدة . ثم اقطع السلطان محمد مدينة واسط لقسيم الدولة البرسقي ، وتوجه بجيشه نحو سيف الدولة صدقة ، فدارت الحرب بينهما وانتهت بقتل الامير سيف الدولة صدقه وأسر ابنه دبيس بن صدقة ، وذلك عام ٥٠١هـ(١١٠٨م)[٦٤] .

وقد أطلق السلطان محمد سراح دبيس بن صدقة وأحسن اليه ، واقطعه اقطاعاً كثيراً ، ثم توفي السلطان محمد عام ٥١١هـ (١١١٧م) ، وخلفه على السلطنة ابنه السلطان محمود ، فالتمس منه دبيس بن صدقة السماح له بالعودة الى الحلة ، فاذن له بذلك .

وفي سنة ٥١٦هـ (١١٢٢م) توترت العلاقات بين السلطان محمود وبين الامير دبيس بن صدقة ، وكان الخليفة العباسي المسترشد بالله قد أبدى استياءه من تصرف الامير دبيس المذكور واتصل بشأنه مع السلطان محمود طالباً منه أرسال جيش للوقوف بوجه اطماعه . فارسل الى البرسقي يأمره بالتوجه بجيشه لمحاربة دبيس . فسار هذا ومعه عمادالدين زنكي ، فلقيه دبيس عند نهر بشير فانهزم جيش البرسقي . ثم كتب دبيس يقدم للخليفة الولاء . وأقام البرسقي ببغداد وترددت الرسل بينه وبين دبيس في الصلح ، فلم يتم ذلك ، فارسل دبيس جيشاً الى واسط ، وارسل البرسقي جيشاً بقيادة الامير التونتاش الابري ومعه عمادالدين زنكي ، فالتقيا بجيش دبيس فتغلبا عليه واسرا أكثر جيشه . واقطع البرسقي عمادالدين بلدة واسط فأقام هذا فيها . وولاه أيضاً أعمال البصرة ، فاظهر في ذلك كفاءة ومقدرة .

---

(٦٤) الكامل في التاريخ لابن الاثير — ج٨ ص٢٤٥

وقد استتب الامن في تلك الربوع بعد أن كانت الفتن والمشاكل قائمة على قدم وساق(٦٥) •

ولم تكد الاحوال تهدأ بهذا الشكل حتى ساءت العلاقة بين الخليفة المسترشد وبين السلطان محمود • فارسل الخليفة عفيفاً الخادم بجيش الى واسط وكان فيها عمادالدين زنكي • فلما وصل عفيف أرسل اليه عماد الدين يحذره القتال ويأمره بالعودة الى بغداد ، فلم يلتفت اليه ، وجاء حتى نزل في الجانب الغربي من واسط ، فعبر اليه جيش عمادالدين وقاتله قتالاً شديداً ، فانهزم جيش عفيف وعاد الى بغداد •

وبقيت امارة واسط معلقة بين حكم الخليفة وسيطرة السلطان واطماع الامراء في الولايات المجاورة ، ولا تستقر على حال لضعف الحكم آنذاك • وكان الحكام الذين يضمنون أعمالها لقاء مبلغ من المال كثيراً ما يسيئون التصرف فيعزلون او يتمردون مستنجدين بغيرهم من أمراء الولايات •

ثم انشغلت الدولة العباسية وولايات الشام والجزيرة ومصر بحروب طويلة الأمد مع الافرنج هي الحروب الصليبية التي جند لها العرب والمسلمون كل طاقاتهم وحشدوا لها جيوشهم ، فخفت حدة المنافسات بين الولايات والامارات بالنسبة الى ما كانت عليه في السابق • وكانت الانتصارات التي حققها الاتابكيون قد بهرت الناس وشغلتهم عن كل شيء •

وفي واسط ثارت فتنة الباطنية عام ٦٠٠هـ (١٢٠٤م) فأدت الى القضاء على اتباعها • وكان أحد رؤوسائها ، والذي يعرف بالركم محمد بن طالب بن عصية وهو من القاروب احدى قرى واسط ، قد قدم الى واسط واستقر فيها وغشيه الناس وكثر اتباعه • وصادف أن استفز أحد أتباعه شخصاً من أهالي واسط فقام اليه وقتله ، وثار أهل واسط على الباطنية فقتلوهم وقتلوا ابن عصية واحرقوا داره • وبلغ الخبر الى بغداد ، وانحدر فخرالدين أبو البدر الواسطي لاصلاح الحال وتسكين الفتنة(٦٦) •

---

(٦٥) التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ـ ابن الاثير ـ ص٢٤
(٦٦) الكامل فى التاريخ ـ ابن الاثير ـ ج٩ ص٩٦٦

وكانت بغداد خلال النصف الأول من القرن السابع للهجرة تتلقى انباء عن زحف المغول على بلاد الشرق ، وما يقومون به من فظائع الاعمال ، وهي ترقب بخوف وجزع زحفهم عليها • حتى كان شهر محرم من ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) حيث وصل هولاكو الى خارج بغداد بجيش كبير ، فاغلقت أبواب السور ، وعندئذ أمر هولاكو بنصب المنجنيقات فهدم السور ودخل جنوده فقتلوا أهلها ، واستباحوا حرماتها ، ودمروا بيوتها ومدارسها ، واتلفوا كتبها ، وفعلوا فيها كل منكر ووسموا جبين التاريخ بلطخة سوداء من العار والخزي لا يمكن أن تمحى • وأمر هولاكو بعقد جسر جنوب بغداد ليمنع من ينحدر الى واسط ، فعقد تحت قرية العقاب ولم يعلم أهل بغداد به ، فعندما كانوا ينحدرون في دجلة بسفنهم هرباً من مجازر المغول كانوا يؤخذون عند ذلك الجسر فيقتلون ، وقد قتل عنده خلق كثير[٦٧] • ثم زحف الأمير المغولي بغاتمر الى واسط بجيشه فقتل أهلها ونهب وسبى ، وانتهى الى قريب البصرة • وهكذا اطفيء مشعل الحضارة في عاصمة الخلافة بعد ان انار العالم مئات السنين ، وطويت صفحة مشرقة من صفحات التاريخ في أرضنا العربية •

(٦٧) الحوادث الجامعة ــ ص٣٢٥

بعد سقوط الدولة العباسية

مرت على العراق بعد سقوط الدولة العباسية حقبة طويلة من الزمن ، كانت تتنازعه فيها شعوب كثيرة فتوغل على عهدها في ظلمات من الجهل والتأخر • وكان الولاة الذين تولوا الحكم فيه طغاة جهلاء لاتهمهم مصلحة البلد ، ولم يكونوا حريصين على النهوض به من كبوته والأخذ به الى معارج الرقي ، بل كان همهم الاول نهب خيراته وانتزاع ثرواته • وكان قد تناوب على حكمه المغول والتركمان والفرس والاتراك العثمانيون ، لا يتخلى منهم شعب عن حكمه مكرهاً الا ويستولي عليه شعب آخر ليحكمه بالاسلوب نفسه •

وكانت منطقة واسط والنعمانية وبدرة ترتبط ادارتها بولاية بغداد في معظم الاحوال فيحكمها حكام او متسلمون يعينون من قبل حكومة بغداد ثم لا يلبثون قليلاً حتى يعزلوا ليعين غيرهم • فكان جهد هؤلاء أرضاء أسيادهم دون ما التفات الى مصلحة ذلك الجزء من الوطن • وكانت قرى واسط ونواحيها تقطع وتهدى حسب أهواء سلاطين بغداد ، مما أدى الى الفوضى واضطراب الحالة الاقتصادية والسياسية •

ومن يتأمل الحوادث التي كانت تجري آنذاك ، تتضح له حقيقة الاوضاع التي كانت تمر بها الدولة ، وما بلغته من اضطراب وفوضى • فان حكام المغول عندما سيطروا على العراق عينوا ولاة ينوبون عنهم في أنحائه • فكان على واسط عام ٦٦٠هـ (١٢٦٢م) مجد الدين صالح بن الهذيل ، وفي العام المذكور قبض الصاحب شمس الدين على ابن الهذيل هذا وطالبه بالاموال ، وشدد عليه ، ثم دوشخ (أي ربط الى آلة التعذيب على الطريقة المغولية) وضرب ، وطيف به في واسط واستوفي منه قدر يسير ساعده به الناس • وقبض على اصحابه ونوابه وطولبوا بالاموال وضربوا • ثم سلمت الأعمال الواسطية الى الملك فخرالدين منوجهر (ابن

ملك همذان) ، فانحدر اليها واستصحب فخرالدين مظفر بن الطراح وجعله نائباً عنه في تدبيرها[1] .

وفي سنة ٦٧٢هـ (١٢٧٣م) انحدر علاءالدين صاحب الديوان الى واسط وقبض على فخرالدين مظفر بن الطراح واصحابه ونوابه وأخذ منهم أموالاً كثيرة ، وعزله ورتب عوضه شمس‌الدين محمد بن البروجردي . وفي عام ٦٧٧هـ (١٢٧٨م) اعيد فخرالدين بن الطراح الى ولاية واسط[2] .

وذكر مؤلف (الحوادث الجامعة) الخبر التالي عن حوادث سنة ٦٩٠هـ (١٢٩١م) يوضح فيه الوضع الذي كان قائماً في انحاء العراق ومنها بلاد واسط آنذاك وهو : « في هذه السنة انحدر مهذب الدولة بن الماشعيري الى واسط وقبض على ملكها نورالدين عبدالرحمن بن تاشان وطوقه بالحديد ونفذه الى بغداد على ان يقتل بها ويحمل رأسه اليه ، وسبب ذلك انه تحدث على السكر : ان سعد الدولة قد قتل ، فلما وصل الى بغداد وكل به في دار النيابة (أي حجز فيها) ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الثالث وصلت الايلجية من اردو بايدو ودخلوا بغداد ليلاً وحضروا عند جمال‌الدين الدستجرداني كاتب العراق ، وعرفوه ان السلطان ارغون توفي ، وان الامراء قتلوا سعد الدولة قبل وفاة السلطان ، وانه قد فوض أمر العراق اليه ... وأحضروا الملك نورالدين عبدالرحمن من السجن وتقدموا اليه بالانحدار الى واسط والقبض على مهذب الدولة وحمله الى بغداد ... ولما وصل مهذب الدولة الى بغداد حبس في دار النيابة ، فسأل من جمال‌الدين ان ينقل الى حجر النبر فنقل . ثم أحضر بعد أيام الى الديوان وسئل عن الاموال فقال : أما مال الديوان ففي الخزانة واما ما يخصني فأنت تعلم اني لم أجمع مالاً . فأمر بضربه فضرب ، ثم أقعد وسئل فلم يعترف بشيء غير الظاهر . فأمروا بقتله فضرب بالسكاكين والسيوف . وكان بالاتفاق في

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ـ ج١ ص٢٤٥
(٢) المصدر نفسه ـ ص٣٧٥

الديوان نجار قد جاء متفرجاً ومعه فاس فضربه عدة ضربات ثم قطع ارباً ارباً ، وتناهبه العوام ، فتعمم نفاط (وهو الموكل بايقاد المشاعل)بمصرانه وطافوا به في شوارع بغداد ودروبها ، ثم أحرق بباب جامع الخليفة (وهو جامع سوق الغزل الحالي) ماعدا رأسه فسلخ وحشي تبناً وطيف به في جانبي بغداد وحمل الى واسط فعلق على جسرها »[٣] .

ومن أجل ان نعطي صورة اوضح لطريقة الحكم آنذاك نذكر خبراً آخر له صلة بما سبق وقد ذكره مؤلف الحوادث الجامعة أيضاً ضمن حوادث عام ٦٩٤هـ (١٢٩٥م) فقال : « ان جمال الدين الدستجرداني تقدم الى نورالدين عبدالرحمن (الذي مر ذكره) نائبه ببغداد بأخذ فخرالدين مظفر بن الطراح صدر واسط وقتله ، فانحدر الى واسط وقبض عليه وعلى اصحابه ثم دوشخ ، وطوّق واسمع كل قبيح ، وأُخذ خطه بأنه وصل اليه شيء كثير من الاموال واشهد عليه بذلك القاضي والعدول ، ثم حمله الى بغداد ووكل به أياماً ، ثم ضرب وعوقب ، وقتل وحمل رأسه الى واسط وعلق على الجسر بعد أن طيف به في شوارعها وسوقها ، وكان جواداً سخياً كريماً ذا ناموس عظيم وسياسة ... خدم في أعمال العراق كلها ... وناب عن الملك فخرالدين منوجهر ابن ملك همذان في واسط . فلما سافر الى بلاده استقل بالحكم فيها واضيف اليه قوسان والبصرة ، ثم عزل ورتب صدراً بالحلة والسيب ، ثم عزل واعيد الى واسط مرة أخرى ، ثم عزل واعيد الى الحلة والسيب ، ثم نقل في هذه السنة الى صدرية واسط وقوسان والبصرة ، وآلت حاله الى القتل ... وكان قد تجاوز في العمر ستين سنة »[٤] .

هكذا كانت الحال خلال الفترة الطويلة التي أعقبت سقوط بغداد بيد هولاكو واندثار الحضارة العربية فيها على أيدي جنوده الغزاة حيث عمت الفوضى جميع مجالات الحياة وتعاقب على الحكم في بغداد حكومات

---

(٣) الحوادث الجامعة ـ ص٤٦٤
(٤) المصدر نفسه ـ ص٤٨٤

ضعيفة . فلما كانت سنة ٧٣٨هـ (١٣٣٧م) استولى الشيخ حسن الجلايري على بغـــداد فقضى على حكومة المغول في العراق وأسس الحكم الجلايري فيه ، نسبة الى قبيلة جلاير وهي من القبائل المغولية الكبيرة . وقد دام حكم السلطان الشيخ حسن الجلايري حتى عام ٧٥٧هـ (١٣٥٦م) حيث توفي وأعقبه ابنه السلطان اويس وكان قد جعل الخواجة مرجان[٥] واليا على بغداد عند ذهابه الى تبريز . فانتهز هذا الفرصة وأعلن العصيان والاستقلال بالحكم في العراق .فلما علم السلطان بالأمر توجه نحو العراق بجيشه لمحاربته، وانحاز قسم من امراء جيش مرجان الى جيش السلطان . وكان مرجـان قد فتح سدود دجلة فأغرق أطراف بغداد لمسافة أربع ساعات ، وقطع الطريق فـلم يتمكن السلطان من الاستيلاء على البلد . ومضت أيام والوضع على ما هو عليه ، حتى أمر السلطان جماعة من أمرائه ان يذهبوا الى النعمانية ويحصلوا على سفن . وتقدم قرا محمد حاكم واسط الى السلطان بسفن كثيرة فتمكن من العبور والاستيلاء على بغداد . أما مرجان فقد سلم نفسه للسلطان ، وتدخل العلماء والمشايخ طالبين العفو عنه والرأفة به فعفى عنه ؛ وكان ذلك عام ٧٦٥هـ (١٣٦٤م)[٦] .

ولعل زحف تيمورلنك على بغداد كان أعظم كارثة مني بها العراق ، بعد الزحف المغولي على يد هولاكو ، ففي عام ٧٩٥هـ (١٣٨٣م) افتتح تيمورلنك بغداد ، فانهزم السلطان أحمد الجلايري . واقترف تيمولنـك أعمالاً منكرة في بغداد فاستصفى الاموال وهتك الاعراض وقتل الكثير من

---

(٥) وهو امين الـدين مرجان بن عبدالله بن عبدالرحمن الاولجايتي (نسبة الى السلطان المغولي اولجايتو محمد خدا بنده وكان من مماليكه) ، وكان قد قام بأعمال عمرانية في بغداد منها بناء المدرسة المرجانية التي تعرف حاليا بجامع مرجان (عام ٧٥٨هـ = ١٣٥٧م) ، ودار الشفاء على نهر دجلة (وقد زال اثرها الآن) . وأوقف على المدرسة ودار الشفاء أوقافا جليلة أهمها خان الاورتمة (ويعرف حاليا بخان مرجان وقداتخذ متحفاللآثار) وكان بناؤه عام ٧٦٠هـ (١٣٥٩م) ، وقد توفي الخواجه مرجان سنة ٧٧٤هـ (١٣٧٢م) .

(٦) تاريخ العراق بين احتلالين – ج٢ ص١٠٩

أهل بغـداد والعراق عامة ، وسار بعض أمرائه الى واسـط والبصرة لاحتلالها .

ثم أعقب ذلك حكم الدولـة البارانية (قراقوينلو) ، فاحتل الشاه محمد بن قرا يوسف بغداد عام ٨١٤هـ (١٤١١م) . أما البصرة وواسط فقد خضعتا لحكم دوندي سلطان بنت حسين بن اويس ، وكانت بارعة الجمال ، ملكت تستر وغيرها من البلدان واستقلت بالمملكة وقوي أمرهـا فاحتلت البصرة وواسط عام ٨٢٠هـ (١٤١٧م) وصار يخطب لهـا على منابرها ، وتضرب السكة باسمها الى ان توفيت سنة ٨٢٢هـ (١٤١٩م)[٧] .

وعندما زالت دولة قراقوينلو اعقبتها دولة تركمانية أخرى هي دولة آق قوينلو التي استلمت الحكم في بغداد عام ٨٧٤هـ (١٤٧٠م) ، الا ان ذلك لم يكن ليمنع قيام دويلات أخرى في انحاء العراق كدولة المشعشعين التي قامت في عربستان والحويزة ، وأمتد حكمها حتى شمل واسط وغيرها ، وكان أول ظهورها عام ٨٤٤هـ (١٤٤٠م) .

والمؤسس لهذه الدولة ويدعى بالمشعشع ، هو محمد بن فلاح بن هبة الله ، وقد ولد في واسط ودرس العلوم المختلفة على الشيخ أحمد بن فهد الحلي ، ويقال بأنه ادعى المهدوية لنفسه ، وقد سمي بالمشعشع لانه كان عندما يطالع العلوم الغريبة التي اقتبسها من اسـتاذه يتشعشع بدنه ويهتز طرباً[٨] . ثم أطلق اسم المشعشعين على اتباعه الذين التفوا حوله وصاروا يشتركون معه في قتال العشائر . وقد قوى نفوذ المشعشعين عام ٨٤٤هـ (١٤٤٠م) فساروا الى ناحية (ابي الشول) من قرى الحويزة ، وعنـد بلوغها وجدوا فيها فتنة وقد قتل بسببها كثير من الناس ، فلم ير المشعشع مصلحة في بقائه هو واصحابه هناك فعادوا الى (الدوب) وبقوا فيها أياماً ، فقلّ عليهم الزاد ، فجاؤا الى (الكحلاء) من أرض واسـط ، وهناك

---

(٧) تاريخ العراق بين احتلالين ــ ج٢ ص٣١٣ ، ج٣ ص٤٣
(٨) تاريخ المشعشعين وتراجم اعلامهم ــ جاسم حسن شبر ــ ص١٣

وقفت بوجههم جماعة من الاعراب ووقعت بين الفئتين معركة انتصر فيها المشعشعيون فنزلوا بيوت الاعراب واستولوا على غلاتهم وأموالهم • غير ان معركة أخرى حدثت في واسط اندحر فيها المشعشعيون وقتل فيها عدد منهم[٩] ، الا انه قوي شأنهم بعد ذلك كثيراً •

وقد دامت حوادث المشعشعين سنين عديدة استولوا خلالها على البصرة وعلى الجزء الجنوبي من العراق حتى وصلوا الى أسوار بغداد • وكان علي بن محمد المشعشع قد حاصر واسط عام ٨٥٧هـ (١٤٥٤م) وقطع نخلها وأهلك أهلها بالجوع حتى أكلوا الجلود من جوعهم فسلموا القلعة والبلدة ، فنصب عليها حاكماً يقال له دراج[١٠] • وكان علي بن محمد المشعشع قد تولى الحكم في حياة أبيه محمد بن فلاح ، وقاد الجيوش بنفسه واحتل بلاداً واسعة واشترك في حرب البصرة وقد قتل سنة ٨٦١هـ (١٤٥٧م) حيث أصابه سهم طائش فقتله •

وقد استمر حكم هذه الدولة فترة طويلة أصابها بعدها الضعف وتدهور الحالة الاقتصادية وتدخل القبائل في شؤونها السياسية والعسكرية حتى غلبت على أمرها وزال حكمها •

وكان الشاه اسماعيل قد احتل العراق عام ٩١٤هـ (١٥٠٨م) حيث قضى على دولة آق قوينلو ، وكان العثمانيون في الوقت نفسه يتحينون الفرص للاستيلاء على بغداد حتى تم لهم ذلك في عام ٩٤١هـ (١٥٣٤م) على يد السلطان سليمان القانوني واخذوا يعينون الولاة على بغداد ليحكموا العراق نيابة عن السلطان العثماني • وكان يغلب على الولاة لقب (وزير) يعاونه (كتخدا)[١١] وهو الذي ينوب عنه في بعض القضايا الادارية • غير ان التوسع الذي بلغته الدولة العثمانية واشتغال السلاطين العثمانيين والولاة في الفترة الاخيرة بالترف والملاذ عمل على تطرق الضعف والانحلال في كيان

---

(٩) المصدر نفسه ـ ص٤٤

(١٠) المصدر نفسه ـ ص٥٠

(١١) ويقال له (كدخدا) و (كخوه) ومعناه باللغة الفارسية الكبير القدر ، المقدم بين الناس •

الدولة ، وبالتالي الى عدم الاستقرار السياسي • فأصبحت الحكومة العثمانية لا تستطيع ان تحافظ على هيبة الحكم في انحائها البعيدة ، ومنها بلاد بدرة وجصان من لواء الكوت الحالي فهي لقربها من بلاد العجم كانت تتعرض للنزاعات المستمرة بين ولاة بغداد وبين حكام كرمنشاه واصفهان • وكثيراً ما كانت تنتزع من يد الحكومة العثمانية لتبقى تحت الحكم الايراني لفترة طويلة قبل أن ينتبه السلطان العثماني الى ذلك ، وقبل ان يتمكن والي بغداد من تهيئة جيش لتحريرها واعادتها الى حظيرة البلاد •

وكانت العشائر العراقية من ناحية ثانية تعيث فساداً في تلك المناطق غير عابئة بحكومة بغداد وذلك لضعف الولاة وانشغالهم عن أمور الدولة • وكثيراً ما كانت هذه العشائر تحتل المدن الكبيرة وتفرض عليها الشروط القاسية وتعقد المعاهدات مع الحكومة ثم لا تلبث أن تنقض هذه المعاهدات لتضع الحكومة في موقف حرج لا تحسد عليه كما حدث عام ١١٠٦هـ (١٦٩٤م) عندما قام رئيس قبائل المنتفك مانع بن مغامس بالهجوم على البصرة فاحتلها وكانت لديه آنذاك من القوة ما يهدد بها بغداد نفسها فلم يسع حكومة بغداد الا ان ترسل جيشاً بقيادة خليل وهو شقيق الوالي أحمد باشا فاصطدمت الحملة مع قوات القبائل ودارت بينهما معركة أسفرت في النهاية عن انتصار قوات القبائل واندحار جيش بغداد ، وعقدت هدنة بين الطرفين • وهكذا اعفي مانع من كل تبعة بتمرده هذا ، على شرط ان يتعهد بالولاء للدولة في المستقبل وأصبح خليل والياً على البصرة •

ثم سرعان ما نقض مانع شروط الهدنة غير ملتزم بها ، فثار مرة أخرى واحتل المنطقة بأكملها وطرد الوالي خليل ، وأصبح والياً في محله • ومضت قواته تحتل المناطق المجاورة فدخلت بدرة وجصان وبقيت مسيطرة عليها حتى تهيأت للوالي فرصة لطرده واعادة تلك المنطقة تحت نفوذ حكومة بغداد[١٢] •

---

(١٢) اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ـ تاليف لونكريك ـ ص١١٩ •

وقد كانت منطقة بدرة وجصان (وهما البلدتان المهمتان من لواء الكوت خلال فترة طويلة من عهد العثمانيين) ملتحقة بمتصرفية بابان وكوي وحرير واربيل التي يحكمها متصرف يرتبط مباشرة بوالي بغداد ويعين من قبله غير ان ذلك لا يمنع من تمرد هؤلاء المتصرفين ومحاولتهم الاستقلال طالبين يد العون من الحكومة الايرانية التي لم تكن على وفاق مع حكومة بغداد ، فيعرضون البلاد لحروب ساحقة وخراب شامل •

وكثيراً ما يشعر ولاة بغداد بعدم اخلاص هؤلاء المتصرفين للحكومة ، وانهم اخذوا يتطلعون الى التمرد والانفصال ، فيستبدلون بهم غيرهم • كما أن كثيراً من الاحيان ما يتركون وشانهم بسبب من الضعف وسوء الادارة فيتفاقم خطرهم ويزداد شرهم كما حدث سنة ١١٧٦هـ (١٧٦٢م) عندما كانت منطقة بدرة وجصان تحت حكم سليمان باشا الذي أخذ يفكر بالخروج على السلطة والتمرد على والي بغداد علي باشا • وعندما علم هذا الوالي بسوء نياته أخذ يعد العدة لتجريد حملة عسكرية لتأديبه • فوصل خبر هذه الحملة الى المتصرف سليمان باشا وأخذ يستعد هو الآخر لملاقاتها • واستطاع ان يجمع حوله مايقارب الاربعة عشر ألف مقاتل، وتوجه بهم لمقابلة الجيش الحكومي • ثم التحم الفريقان في معركة ضارية انتهت بتشتيت جيش سليمان باشا وتمزيقه • ثم فر قائده الى كرمنشاه مخلفاً وراءه الكثير من المعدات والسلاح والذخائر • فعاد جيش بغداد مظفراً الى العاصمة • وانيطت المنطقة هذه بعهدة أحمد باشا الذي تولى حكمها تحت اشراف حكومة بغداد[١٣] •

ونظراً لوقوع منطقة بدرة وجصان على الحدود الايرانية العراقية فانها كانت تتعرض للاعتداء كلما ساءت العلاقات بين حكومة بغداد وحكومة ايران • ففي سنة ١١٨٨هـ (١٧٧٤م) قام الايرانيون بالهجوم على بدرة وبعض القرى المجاورة انتقاماً لاندحارهم في حرب سابقة مع حكومة

---

(١٣) دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ـ الشيخ رسول الكركوكلي ـ ص١٣٥

بغداد ، واستولوا على بدرة ومندلي[١٤] .

وان سوء العلاقات بين ولاية بغداد وايران في زمن الدولة العثمانية كان يؤدي الى عدم الاستقرار في منطقة الحدود كبدرة وجصان وغيرهما ، وبالتالي كان يفضي الى تململ المتصرفين الذين يتعاقبون على حكم هذه المنطقة لشعورهم بأهميتهم في توازن القوى بين الطرفين ، وأن أي خلاف بينهم وبين والي بغداد يدفعهم الى الانحياز الى جهة الايرانيين والاحتماء بهم . وقد حدث مثل ذلك عام ١٢٣٣هـ (١٨١٧م) عندما بدأت العلاقات تسوء بين محمود باشا متصرف مقاطعة بابان وكوي (وهي مقاطعة الحدود العراقية الايرانية) وبين والي بغداد الوزير داوود باشا[١٥] لاسيما بعد اتصال المتصرف المذكور بالحكومة الايرانية سراً . واظهر بعدئذ التمرد وعدم الطاعة لحكومة بغداد . وقد حاول الوزير داوود باشا اللجوء الى الطرق السلمية لاقناعه بالعدول عن تمرده والتحذير من مغبة عمله ، ولكن دون جدوى ، وعند ذلك أصدر أمراً بعزله عن منصبه مع تجريد حملة عسكرية عليه بقيادة عنايةالله أغا .

وعندما علم محمود باشا بالامر استنجد بالحكومة الايرانية في الوقت الذي وصلت فيه حملة عنايةالله اغا الى كويسنجق واحتلتها وعسكرت فيها .

---

(١٤) اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ـ ستيفن هيمسلي لونكريك ـ ص١٨٠

(١٥) الوزير داوود باشا والي بغداد : من أشهر ولاة المماليك في بغداد . ولد في تفليس سنة ١٧٦٧م وجيء به الى بغداد عام١٧٨٠م فبيع فيها وأصبح من مماليك سليمان باشا الكبير . وسرعان ما ظهرت مواهبه فاصبح كاتبا وتدرج في المناصب . ثم أسندت اليه ولاية بغداد وهو في الخمسين من عمره ، فعمل على استقرار الاوضاع وقام بعدة اصلاحات . ولكنه في الاخير حاول الانفصال عن الدولة العثمانية التي ارسلت عندئذ جيشا بقيادة محمد علي رضا باشا فزحف الى بغداد ، وفي اثناء ذلك ظهر الطاعون الذي قضى على جيش بغداد . ثم حدث فيضان عظيم اغرق المدينة فاضطر داوود باشا الى التسليم ، فارسل منفيا الى بروسة بعد أن عفى عنه السلطان ثم رأت الحكومة العثمانية ان تستفيد من مواهبه فعينته واليا على البوسنة ثم انقرة ، ثم عين حاميا للحرم النبوي في المدينة المنورة حيث توفي هناك عام ١٨٥١م .

وقد استجابت الحكومة الايرانية لنداء المتصرف وقررت نجـــدته بحملة قوامها عشرة آلاف مقاتل • وأوعزت الى كلهر علي خان وكلي علي خان ان يتوجها بما لديهما من قوات تقدر باربعة آلاف مقاتل الى بدرة وجصان لاحتلالهما • وعندئذ قام الوزير بجمع قوات كبيرة وارسلها بقيادة الكتخدا خليل اغا الى جهة بدرة وجصان لحمايتهما من الغزو الايراني • واقتربت القوات الايرانية من بدرة وجصان ، وبدأت المناوشات بين الطرفين ، وكانت الغلبة لجيش ولايـة بغـداد حيث اندحرت أمامه القوات الايرانية وردت على أعقابها • وبذلك عادت الأمور الى مجاريها وبقيت هذه المنطقة تحت حكم ولاية بغداد[16] ، ذلك الحكم الذي يكون في أكثر الأحيان صورياً ، فقد بقيت تتعرض للاعتداءات الايرانية والثورات الداخلية حسب ضعف الولاة في بغداد وقوتهم •

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن أرض اللواء في هذه الفترة المتأخرة من الحكم العثماني ان نذكر حدثاً مهماً جرى بصمت وهدوء دون أن يثير الضجة أو يلفت النظر وهو اندثار مدينة مهمة لعبت دوراً رئيساً في تاريخ العراق ، وهي مدينة واسط حيث زالت نهائياً من الوجود بعد ان تحـول مجرى نهر دجلة من مجراه الغربي الى المجرى الشرقي الحالي ، وقد تم ذلك بصورة تدريجية • ففي القرن السابع الهجري أهمل شأن الجـانب الشرقي من المدينة فانتقل الناس الى الجانب الغربي منها وبقيت المدينـة محافظة على كيانها حتى القرن الثامن الهجري • وما حلّ القرن العاشر للهجرة حتى كان نجمها يأفل ، فقد تحول النهـر الى مجـراه الشرقـي • وأخذ أهل واسط ينزحون عنها مخلفين وراءهم مدينتهم العظيمة في بلقع من الارض ، حيث اصبحت مهجورة تماماً في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة (أي القرن السابع عشر للميلاد) • وفي سنة ١١٠٧هـ (١٦٩٥م) لم يبق في هذه المدينة أحد من سكانها • ووصفها المؤرخون آنذاك بانها تقع وسط الصحراء • ثم عمّ الخراب انحاءها فأصبحت مجموعات من انقاض

---

(١٦) دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ـ ص٢٧٩

تلفهاالعواصف وتغمرها رمال الصحراء لتسكنها الاشباح والهوام •

غير أنه في الوقت الذي اندثرت فيه هذه المدينة ، أخذت مدينة أخرى تظهر للوجود في الطرف الثاني من دجلة ، قريباً منها ، لتكون وريثة وبديلة عنها في حضارتها ومركزها الاجتماعي والعمراني وكقاعدة للّواء ، أخذت تظهر في تلك الفترة كقرية صغيرة تتألف في باديء الأمر من بضعة أكواخ من الطين ، ولتنهض بعدئذ كمدينة تحتل الصدارة بين مدن هذه المنطقة وهي التي دعيت فيما بعد باسم الكوت كما سيأتي بيانه في بحث قادم •

وفي ذلك الوقت ، وعندما كانت الاوضاع السياسية والاجتماعية متدهورة الى أقصى حد ، كان الجهل والتأخر يخيمان على تلك الربوع الشاسعة • فلم تكن المنطقة لتتمتع بأي مظهر من مظاهر الحضارة ، بل كانت مهملة اهمالاً شديداً ، لا تجد من الولاة أية التفاتة نحوها ولا رغبة منهم بالاصلاح أو بتحسين الأحوال المعاشية الا ما كان نزراً لا يحسب حسابه ، وهو الاصلاح الذي يكون بتأثير من الدول الأجنبية مثلما حدث عند تسيير البواخر الانكليزية في نهري دجلة والفرات بالاتفاق مع شركة لنج للبواخر عام ١٢٥٧هـ (١٨٤١م) • وكذلك مد الخطوط التلغرافية بين بغداد والكوت وبدرة ، ثم ربطها بالعمارة وكربلاء والنجف وبالخطوط الخارجية التركية والايرانية • وقد بدأ العمل بمد هذه الخطوط التلغرافية في أواخر عام ١٢٧٩هـ (١٨٦٣م) ، بعد ان سمح نامق باشا للمهندسين البريطانيين بمسح الاراضي لمدّ هذه الخطوط التي أصبحت لها أهمية كبرى في مراقبة تحركات العشائر[١٧] • أما غير ذلك فلم يكن هناك أي مظهر من مظاهر الحضارة والتقدم •

ثم انك لو نظرت الى أرض اللواء لوجدت مجموعة قليلة من البلدان الصغيرة متفرقة هنا وهناك ، تعزل بينها صحراء قاحلة أهمها بدرة وجصان والكوت والحي ، ثم انشئت بعد ذلك البغيلة (النعمانية) والصويرة والعزيزية •

---

(١٧) اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ـ ص٣٠١

أما عشرات المدن والقرى الكبيرة التي ازدحمت بهـــا أرض السواد ابتـــداءً من جنوب طيسفون حتى جنوب واســـط مثل ديـــر العاقول وهمانية وجرجرايا والنعمانية وجبل وماذرايا والمبارك وفم الصلح وسابس وواسط وغيرها فقد زالت في عهد مبكر ، ولم يبق الا اسمها في بطون الكتب ويصعب على المرء أن يستدل على موقع أكثرها •

ثم استمرت هذه المدن القليلة المتبقية تزحف وئيداً نحو النمو والتوسع بشكل لا تغبط عليه فكأنما هي تريد أن تحافظ على وجودها فحسب ، لاسيما بدرة وجصان فقد بقيتا منعزلتين وانكمشتا على نفسيهما وسط صحراء مجدبـــة •

ولم يكن للواء الـــكوت آنذاك كيان مستقل ، بل كان في حدود القرنين السادس عشر والسابع عشر جزءاً من لواء واسط الذي كان يشمل لوائي الـــكوت والعمارة الحاليين • وكان لواء واسط تابعاً الى ولاية بغداد التي كانت منقسمة الى ثمانية عشر لواءً ، بينما كان قضاء الحي (وهو أحد أقضية لواء الكوت الحالي) تابعاً الى لواء المنتفك ، ثم فصل عنه عام ١٩١٧م[١٨] • وكانت بدرة وجصان يحكم كلاً منهما حاكم يقال له (ضابط) وهو أقل درجة من (المتسلم) الذي كان يحكم مقاطعات أكبر[١٩] • وقد جرى بعدئذ تعديل كبير على هذه التقسيمات الادارية ، انتهى بالشكل الذي أقره الحكم الوطني كما سيأتي بيانه •

---

(١٨) كان يتبع هذا القضاء ناحيتان هما : واسط وقلعة سكر
(١٩) رحلة المنشي البغدادي ـ ص٩٩

الكوت في التاريخ

لم يذكر أحد من المؤرخين أن في موضع مدينة الكوت الحالية كانت تقوم بلدة ما ، ولم يرد في كتب التاريخ أن حادثة معينة ارتبطت بهذه البقعة من الارض قبل أن تقوم عليها مدينة الكوت ، الا ما كان قد ذكره بعض المؤلفين من أن بلدة ماذرايا القديمة كانت تقع في موضع غير بعيد عن موقع الكوت ، وربما كانت تقع في موضع هذه المدينة نفسها[1] كما ان (غي لسترانج) عين موقع ماذرايا أيضاً في موقع مدينة الكوت الحالية على خريطة العراق بين سنتي ٩٠٠ ـ ١٤٠٠م والتي نشرها بكتابه (بغداد في عهد الخلافة العباسية) .

وبلدة ماذرايا هذه وصفها ابن عبدالحق بانها (قرية فوق واسط ، من عمل فم الصلح مقارب نهر سابس ، وهي من طسوح النهروان الاسفل)[2] . وكان ياقوت قد وصفها قبل ذلك بمثل هذا الوصف وقال بأنها تقع (مقابل نهر سابس ، والآن قد خرب أكثرها ، اخبرني بذلك جماعة من أهل واسط)[3] ، فقد كانت ماذرايا منذ عهده (سنة ٦٢٦هـ = ١٢٢٨م) قد تطرق اليها الخراب ، بينما كانت عام ٣٠١هـ (٩١٣م) عامرة وكانت هي وجند يسابور والسوس تحت حكم علي بن أحمد الراسبي[4] .

وقد عين اليعقوبي موقع بلدة ماذرايا ما بين جبّل والمبارك ، وذكر انها منزل اشراف العجم وانها قديمة[5] . والمبارك هي قرية جنوب ماذرايا ولا تبعد كثيراً عنها . وقد قال عنها ياقوت بأن المبارك نهر وقرية فوق

---

(١) راجع (ري سامراء في عهد الخلافة العباسية) ج٢ ص٤٦٥
(٢) مراصد الاطلاع ـ ج٣ ص١٢١٨
(٣) معجم البلدان ـ ج٥ ص٣٤
(٤) صلة تاريخ الطبري ـ عريب بن سعد القرطبي ـ ص٣١
(٥) البلدان لليعقوبي ـ ص٣٢١ ـ ط . ليدن

واسط[٦] • وقال اليعقوبي ان من قرية المبارك يسلك الى طسوجي بادرايا وباكسايا[٧] •

والموقع الذي شيدت عليه مدينة الكوت يمتاز بأشياء ، منها أنه قريب من نقطة تحول نهر دجلة بين مجريه الشرقي والغربي خلال عصور طويلة من التاريخ ، حيث يكون هذا الموضع جنوب الكوت بقليل ، أي بالقرب من تلول الخيزران الاثرية •

ومنها ان الكوت تقع على عقده مائية ، هي الموضع الذي يتفرع فيه نهر الغراف الحالي[٨] من دجلة فتكون فوهة النهر قبالة المدينة تماماً • كما انها تقع في شبه جزيرة نهرية متجهة الى الشمال لها تأثير كبير على مناخها •

---

(٦) معجم البلدان ـ ج٥ ص٥٠

(٧) وذلك بالنسبة للقادم من واسط فان أقرب طريق له الى بدرة هو الطريق المار بالمبارك بازاء الحافة الغربية من هور الشويجة ، وهذا الطريق يكون جنوب الكوت الحالية فتكون ماذرايا (والتي تقع شمال المبارك) يناسب موقعها موقع مدينة الكوت •

(٨) ذكر ياقوت الحموي نهر الغراف في معجمه بقوله « نهر كبير تحت واسط بينها وبين البصرة كأنه يغترف كثيراً ••• وعلى هذا النهر كورة فيها قرى كثيرة وهي بطائح ، وقد نسب اليها قوم من أهل العلم » ويستبعد أن يكون المقصود به نهر الغراف الحالي لان هذا يتفرع من دجلة في شمال واسط وليس في جنوبها • كما أن نهر الغراف هذا لم يكن له ذكر الا خلال الثلاثمائة سنة الاخيرة بعد أن تحول نهر دجلة الى مجراه الشرقي وجف مجراه الغربي الذي يجري باتجاه واسط ، وذلك أن السواح الاجانب لم يشيروا الى نهر الغراف عند سفرهم في نهر دجلة قبل تحول مجراه (كما في مرآة الممالك) ، غير أنهم كانوا يذكرونه ويسمونه (شط الحي) عندما أخذوا يسافرون بطريق المجرى الشرقي الحالي ويشيرون الى موضع تفرعه • وكان قسم منهم يسافر فيه عن طريق نهر الفرات الى البصرة بعد أن جف المجرى الغربي (نهر واسط) تماما • ولعل الغراف انبثق ليعوض عن ذلك المجرى •

وكان الغراف الحالي يأخذ ماءه من دجلة (قبل بناء سدة الكوت) في موضع يقع جنوب صدره الحالي • غير أنه بعد ان بنيت السدة نقل صدر النهر الى موضع يقع شمالها (على بعد كيلو مترين عن صدر الغراف القديم) وسد صدر المجرى القديم نهائيا •

ان هذا الموقع المائي الممتاز جعل الكوت ذات أهمية زراعية واقتصادية، كما جعلها مرفأً نهرياً ترسو فيه السفن المتوجهة بين البصرة وبغداد ، أو المتجهة ابتداءً منها (أي الكوت) الى نهر الغراف الذي تقع عليه مزارع وقرى كثيرة وهذا مما ساعد على نشوئها في أول الامر كقرية صغيرة أخذت بالتوسع والنمو على مرور الزمن •

ما معنى الكوت ؟

لم يختلف الباحثون في شيء كاختلافهم في نشوء بلدة الكوت رغم حداثة عهدها وقصر تاريخها ، فقد اختلفوا في تاريخ تأسيسها وفي تسميتها ، وحتى الشخص الذي قيل عنه بانه مؤسسها لم يتأيد عند أكثرهم •

وليس لكلمة الكوت معنى باللغة العربية ، اذ لا صلة لها بلغة الضاد • وقد قيل انها كلمة هندية أو برتغالية الأصل ومعناها القلعة • وقد قال الشيخ علي الشرقي في مقال له في جريدة البلاد البغدادية نشر عام ١٩٣٠ ان الكوت لفظة قد تكون فارسية الأصل مشتقة من (الكوه) أي القرية الزراعية ، او أنها لفظة كلدانية بقيت مستعملة في العراق مثل لفظة كربلاء وغيرها[٩] • ويصر الاستاذ عباس العزاوي في كتابه (تاريخ علم الفلك في العراق) على ان الكلمة هندية ومنها جاءت كلمة (قوت) الهندية مثل فالقوت (أي قلعة قال وتسمى الآن كالكوت)[١٠] ، وهو رأي أقرب الى الصواب من غيره نظراً لانتشار هذه الكلمة في الأحساء وحضرموت وأمارات الخليج العربي حيث يكثر المهاجرون الهنود • وقد تكون (الكوت) كلمة من أصل بابلي فهي قديمة جداً ويدل على ذلك وجود مدينة من مدن البابليين تدعى (كوث) ورد اسمها في التوراة (العهد القديم) في ما يلي : « واتى ملك أشور بقوم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفروايم وأسكنهم

---

(٩) جريدة البلاد عدد ١٢٥ في ٧ نيسان ١٩٣٠
(١٠) تاريخ علم الفلك في العراق ـ للعزاوي ـ ص٣٤٦

في مدن السامرة عوضاً عن بني اسرائيل »[١١] • وقال ياقوت في معجمه عند بحثه في كلمة (كوثي) : (قال نصر : كوث الزرع تكويثاً اذا صار اربع ورقات وخمس ورقات وهو الكوث)[١٢] •

ومفهوم كلمة الكوت في العراق هو ما يبنى لجماعة من الفلاحين على حافة نهر أو ساحل بحر ليكون مأوى لهم • وهو يتخذ من القصب والبواري أو من الطين واللبن • وأقرب ما يكون لتعريفه الميناء أو المخزن أو مستودع الذخائر الحربية • وقد أوضح العلامة الأب انستاس ماري الكرملي مفهوم كلمة الكوت في مقال له في مجلة المشرق بقوله « الكوت وهو في لغة أسفل العراق وما داناه من بلاد العرب والعجم البيت المبني بهيئة القلعة او دونه تحصيناً ، يتخذ ملجأ عند الحاجة ، وحوله عدة بيوت راجعة الى البيت الأب، ولا يطلق عليه الاسم الا اذا كان قريباً من الماء سواء كان نهراً أو بحراً أو مستنقعاً أو غيره »[١٣] وقد قال الشيخ كاظم الدجيلي في مجلة المقتطف (عدد ٥٠ عام ١٩١٧) ان بناء البيت الذي يطلق عليه اسم (كوت) يكون مربع الاركان ، وقوامه من الطين والخشب والبواري ، وكذلك البيوت التي حوله ، وقد يختص بعضها بالقصب والبواري فقط والبعض منها بالطين والحجارة والبواري • وقد علّق على قوله هذا الاستاذ محمد الهاشمي في المجلة نفسها بقوله « الكوت عند البصريين هو البيت الكبير الذي يجمعون فيه التمر إبان الصرام ••• وهذا البيت لا يكون الا لكثير الغنى واسع الاجربة »[١٤] •

وكلمة الكوت منتشرة ومعروفة في العراق (في قسمه الجنوبي)

---

(١١) العهد القديم ـ سفر الملوك الثاني ـ الاصحاح١٧ • ولا تزال خرائب هذه المدينة موجودة الآن وتدعى بتل ابراهيم الذي يبعد ١٨ ميلا شمال شرقي بابل •

(١٢) معجم البلدان ـ ج٤ ص٤٨٧

(١٣) مجلة المشرق ـ العدد العاشر من السنة الرابعة ـ ١٥ أيار ١٩٠٤ •

(١٤) راجع مباحث عراقية ـ ج١ ص٢٧٨

وعربستان والاحساء وامارات الخليج العربي • كما ان في جنوب ايـران عدة قلاع يطلقون عليها (أكوات) وواحدها كويت بالتصغير وقد عُرفت في هذه البلاد عدة مواضع باسم الكوت منها كوت الزين وهي قرية جنوبي ابي الخصيب وكوت خليفة وكوت جار الله وكوت محينة وكوت المعمر وكوت الباشا وكوت الافرنجي وكوت العصيمي وكوت ابن نعمة وكوت الجوع وكوت السيد وكوت القوام وكوت سوادي وكوت زعير • كمـــا ان في عربستان يوجد كوت الشيخ وكوت قمنة وكوت ســـيد صالح وكـوت عبدالله[١٥] • وكذلك الكوت وهي وهي الـكوت الصغير الذي نشأ كمرفـأ للسفن الشراعية المستعملة في عمليات الغوص للبحث عن اللؤلؤ •

كوت العمارة ام كوت الامارة ؟

نسبت الكوت في بعض المصادر الى العمارة فسميت (كوت العمارة) ، ونسبت في مصادر أخرى الى الامارة (كوت الأمارة) • والالتباس حاصل بين (العمارة) و (الامارة) لتشابه لفظيهما في اللغات الافرنجية (لعدم وجود ما يقابل حرف العين فيها فتكتب Amara في الحالتين) • وقد كتب كثير من السواح الاجانب عن هذه البلدة ولم يفرقوا بين اللفظين •

كما ان الالتباس حاصل لوجود بلدة العمارة الحالية التي تأسست حديثاً بالقرب منها ، وكذلك لوجود امارة ربيعة بالقرب من الكوت أيضاً •

وقد أورد الاستاذ يعقوب سركيس في كتابه (مباحث عراقية) عدة نصوص قديمة ورد فيها اسم (العمارة)[١٦] منها ما جاء في مرآة الممالك في أخبار سنة ٩٦١هـ (١٥٥٣م) حيث ذكرت (العمارة) ويقصد بها اســم النهر في تلك المنطقة ، وكذلك مخطوط تركي دوّن فيـه صاحبه المعـاصر لذلك الزمن أخباراً عن سفر الباشا عام ١١٦٢هـ (١٧٤٨م) بين بغـداد والبصرة ثم اضاف (أي صاحب المخطوط) قوله : ان شط بغداد ينقسم

---

(١٥) تاريخ الكويت السياسي ـ حسين خلف الشيخ خزعل ـ ص١٩
(١٦) مباحث عراقية ـ ج١ ص٢٦٤

في العمارة الى قسمين فيتصل نصفه بالفرات في القرنة ونصفه الآخر في هذا المنزل) • وكذلك ما جاء في تذكرة شوشتر للسيد عبدالله بن السيد نورالدين ابن السيد نعمة الله الحسيني الششتري المتوفى سنة ١١٧٣هـ (١٧٥٩م) حيث ذكر (العمارة) في الصفحة ٦٨ • وأخيراً ما جاء في مختصر مطالع السعود لابن سند البصري في كلامه عن سليمان باشا المتوفى سنة ١٢١٧هـ (١٨٠٢م) بأنه (عمّر كوت العمارة وسوره) • ففي جميع هذه المصادر يأتي ذكر (العمارة) نصاً ، لاسيما في المصدر الاخير الذي لا يدع مجالاً للشك • الا أن اسم (كوت الامارة) أصبح كثير التداول بين الناس وفي الاوساط الحكومية ، وقد أيد هذه التسمية بعض الباحثين مثل الاستاذ كاظم الدجيلي فقد ذكر في مجلة المقتطف التي سبق ذكرها قوله : « الامارة جمع أمير وهم رؤساء عشائر ربيعة ، وانما نسب اليهم (أي الكوت) لأنهم أول من سكنه وأسسه وقد يتوهم بعضهم فيضيف الكوت الى العمارة ـ البلدة الواقعة في ما بينه وبين البصرة ـ وهو غلط فاضح فليتنبه اليه » اهـ •

غير أنه عند البحث في هذه التسمية يجب ملاحظة أمر مهم وهو ان تسمية كوت العمارة هي أقدم من التسمية الثانية (كوت الامارة) فقد وجدت هكذا في جميع المصادر العربية القديمة بينما لم تعرف التسمية الثانية الا مؤخر في عهد القائممقام علي أفندي ، ترضية لعشيرة الأمارة المقيمة في تلك المنطقة • وأول تغير في الاسم رأيناه هو في سالنامة بغداد لسنة ١٢٩٩هـ (١٨٨١م) حيث يذكر باسم كوت الامارة ويذكر قائمقامه علي أفندي • ويقال ان الذي اطلق هذا الاسم (أي كوت الأمارة) هو القائممقام فتح‌الله بك في عهد الوالي عاكف باشا سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٥م) لنفس الغرض[١٧] • فضلاً عن أن امارة ربيعة لم تكن موجودة في تلك المنطقة عند انشاء الكوت بل كانت تسكن قريباً من الديوانية وكانت عشائر بني لام هي التي تسكن تلك المنطقة آنذاك ، وعليه فلا مجال لتسميتها بكوت الأمارة ، اذ هي كوت العمارة دون شك •

---

(١٧) تاريخ العمارة وعشائرها ـ الندواني ـ ص٢٧

ما هي العمارة ؟

واذا كانت الـكوت هي كوت العمارة كما تأيد لنا ، فما هي العمارة التي نسبت اليها الكوت ؟ •

قبل الاجابة على ذلك أود ان انفي نسبة العـــمارة الى المدينة الـتـي شيدت مؤخراً بهذا الاسم (مدينة العمارة) والتي هي الآن مركز لـواء العمارة وتبعد عن مدينة الكوت بحوالى مائتي كيلو متر جنوباً • فهي (أي العمارة) مدينة حديثة التأسيس انشـــئت عام ١٢٧٥هـ (١٨٥٨م) وأن الكوت أقدم منها بكثير ولا يعقل أن تنسب اليها وهي لم تكن موجـــودة آنذاك •

ثم أقول انه مما يتضح من المصادر التاريخية الموجودة لدينا ان اسم العمارة اطلق سابقاً على موضعين أولهما نهر دجلة اعتباراً من تفرع نهر الغراف منه حتى نهايته ، وثانيهما اسم بلدة كانت موجودة في موقع تفرع نهر الغراف •

أما تسمية نهر دجلة (جنوب تفرع الغراف) بالعمارة فهو شـــائع ومعروف عند السواح الذين سافروا بطريق النهر وكتبوا عن رحلاتهم هذه وكذلك عند الأعراب المجاورين لتلك المنطقة • ومن المصادر التي تؤيـــد ذلك مرآة الممالك (رحلة سيدي علي) والمخطوطة التركية (وقد سبق ذكرهما) • وكذلك ما جاء في ملاحظات المؤلف الفرنسي ريموند عـلى رحلة المستر ريج الى بابل في كتابه المطبوع سنة ١٨١٨م حيث قال (يسمي الاعراب دجلة من الكوت الى القرنة نهر العمارة Amara) • وكذلك ما ذكر في كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاهـــا من البلدان) لمؤلفه مصطفى الصديقي البكري الذي زار العراق فأم البصرة عام ١١٣٩هـ (١٧٢٦م) حيث ذكر بأنه سافر من بغداد الى البصرة في شط العمارة • وجاء في تاريخ العراق بين احتلالين نقلاً عن كتاب (فويم الفرج بعد الشدة) لمؤلفه المولوي المتوفى عام ١١٥٣هـ (١٧٤٠م) ان الوزير حسن

باشا سار بجيوشه نحو آل ازيرك عبر شط العمارة[18] .

وكذلك كتب الكابتن ميكنن R. Mignan في رحلته من البصرة الى بغداد المطبوعة في لندن عام ١٨٢٩م (في الصفحة ٢٧) ما يلي « وبازاء القرية (الكوت) جدول اسمه الحي (شط الحي) ... والآن مجراه خال كل الخلو (من الماء) لكنه يصلح لسير السفن خلال ثمانية اشهر من السنة . ومن هنا الى فوهة نهر Al Hud يسمى هذا النهر عمـــارة Amarah ». اهـ .

ومثل ذلك ما جاء في رحلة جاكسون الرحالة الانكليزي الذي سافر من البصرة الى بغداد عام ١٧٩٧م عن طريق نهر الفرات فالغراف فدجـلة حيث قال (وفي الساعة الثامنة دخلنا قسماً من نهر دجلة يقال له شـــط العمارة)[19] .

أما سبب تسمية دجلة بالعمارة فهناك رأيان اولهما يقول بانها تسمية قديمة ترجع الى أوائـل العهد العباسي نسبة الى عمارة بن الوليد عامل ابي جعفر المنصور الذي أطلق اسمه على هذا الجزء من النهر[20] والرأي الآخر يرجع هذه التسمية الى زمن الحكومة العثمانية التي انشأت عمارة (أي أبنية) في الموضع الذي بنيت فيه بلدة الكوت الحالية لتكون هذه العمارة مركزاً ومرجعاً رسمياً للعشائر الساكنة في تلك المنطقة لبعدها عن مركزي ولايتي بغداد والبصرة فسمي النهر الذي انشئت على أوله هذه العمارة بنهر العمارة .

أما الموضع الثاني الذي أطلق عليه اسم العمارة فهو الابنية التي انشأتها الحكومة لتكون مقراً لها في موقع تفرع نهر الغراف من دجلة ـ كما ذكرنا ـ والتي انشئت حولها بالتدريج دور ومحلات للسكنى فكانت بلدة صغيرة دعيت بالعمارة ، وهي البلدة نفسها التي قيل أن نهر دجلة سمي باسمها كما سبق . وقد ورد ذكر هذه البلدة في عدة مراجع تاريخية منها رحلة الاب

---

(١٨) تاريخ العراق بين احتلالين ـ ج٥ ص١٨٥ .

(١٩) مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧ للرحالة جاكسون ـ ترجمة سليم طه التكريتي ـ ص٦٠ .

(٢٠) تاريخ العمارة وعشائرها ـ ص٢٧

فيشنتسو الكرملي المطبوعة سنة ١٦٧٢م ويصف فيها قدومه الى مدينة اسمها El Amara في أثناء سفره في نهر دجلة بين بغداد والبصرة[٢١] .

وكذلك ما جاء في رحلة الأب فينجنزو الكرملي الواقعة بين عامي ١٦٥٥ - ١٦٦٧م اذ قال أنه بينما كان مسافراً من بغداد الى البصرة بطريق دجلة هجم عليه وعلى المسافرين معه تحت العمارة أعراب بقصد سلبهم[٢٢].

ومثل ذلك ما جاء في رحلة تافرنييه عام ١٦٥٢م حيث توجه من بغداد في سفينة نحو البصرة فقال : (فرأينا نهر دجلة أسفل بغداد ينشطر شطرين احدهما يجري في كلدية القديمة والآخر ينساب في ما بين النهرين ... وقد اتبعنا في سيرنا ذلك الشطر من دجلة الذي يجري وجانب كلدية ... وعند بلوغنا قرية ماكنا نبعث بخدمنا الى الضفة لشراء الطعام الذي نحصل عليه بقيمة زهيدة جداً أما المدن التي مررنا بها فهي العمارة Amurat وفيها قلعة مشيدة باللبن)[٢٣] .

وكذلك ما جاء في رحلة مصطفى الصديقي البكري (وقد سبق ذكرها) فقد سافر من بغداد الى البصرة عام ١١٣٩ (١٧٢٦م) بطريق نهر دجلة وقال فيها (ثم سرنا نحو العمارة وبتنا فيها ليلة الجمعة ثم عدلنا عن شط العمارة سالكين شط السابلة) .

وللاستاذ يعقوب سركيس رأي في العمارة هذه التي كانت موجودة آنذاك قبل انشاء مدينة الكوت وهو أنها لم تكن في موضع الكوت الحالية ، ولم تكن على صدر شط العمارة بل كانت جنوب الكوت ، مستنداً في ذلك على قول تافرنييه الذي ينص على ان النهر كان منقسماً الى قسمين وأنه سار في الفرع الشرقي منها حيث وجد العمارة العمارة على ذلك الفرع من النهر . ورغم أن تافرنييه ذكر العمارة كأول مدينة يمر بها عند سلوكه

---

(٢١) مباحث عراقية - ج١ ص٢٦٥

(٢٢) المصدر السابق - ج٢ ص١٥٠

(٢٣) رحلة تافرنييه - ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ص٩١ .

في الفرع الشرقي ولم يخصص اذا كانت واقعة على موضع التفرع أو جنوبه بمسافة طويلة أو قصيرة ، وأنه لا يستفاد من قوله هذا أن العمارة كانت تقع في غير موقع الكوت الحالي ، أقول رغم وضوح ذلك فسأورد فيما يلي أدلة تنص على ان العمارة القديمة كانت تقع في موقع الكوت نفسه وعند تفرع نهر دجلة تماماً • من ذلك ماجاء في كتاب جغرافية بوشنك المطبوع في سنة ١٧٨٠م (ص ٣٨٦) حيث قال (El Mara, Amara قرية تسكنها الأعراب فيها قلعة وتحت ذلك تنقسم دجلة الى قسمين أحدهما هو الايمن يتصل بالفرات والثاني وهو الأيسر ، مع هذا النهر تتألف منه جزيرة ترب القرنة) •

وكذلك ما جاء في رحلة سستيني سنة ١٧٨١م من بغداد الى البصرة (ص ١٨٢) من الترجمة الفرنسية حيث قال (قدمنا الى Amara التي يقال انها في منتصف الطريق بين بغداد والبصرة ••• واشترينا في Amara دجاجاً ••• وبازاء Amara جدول حفرته يد الانسان ينشىء جزيرة كبيرة اسمها جزائر ، فانه يوصل مياه دجلة بمياه الفرات) وهذا الجدول الذي يوصل مياه دجلة بمياه الفرات هو الفرع الغربي من النهر ويتفرع بازاء الكوت حالياً وبازاء العمارة القديمة آنذاك مما يدل على ان موقعهما واحد •

وعليه فاذا كانت الكوت هي كوت العمارة (كما اتضح لنا) فأي العمارتين تنسب اليها ؟ نهر العمارة أم بلدة العمارة ؟ وهنا أقول أنه لا يوجد مصدر تاريخي ينص على ذلك ويبدو لي ان (العمارة) التي نسبت اليها الكوت هي بلدة العمارة القديمة وليس نهر العمارة لانه لم يسبق ان نسبت بلدة الى نهر بل ينسب النهر الى البلدة عادة فيقال نهر الكوفة وشط الحي ونيل مصر ، ولا يقال عكس ذلك حتى عندالتفريق بين بلدين يحملان الاسم ذاته فلا يقال ، مثلا (اسكندرية الفرات) و (اسكندرية النيل) • وكذلك الكوت وهو البناء الكبير الذي اتخذ كمخزن أو مرفأ للسفن في موقع العمارة القديمة على شط العمارة ، فلتمييزه من غيره من الاكوات

الكثيرة التي كانت منتشرة وقتئذ قبل كوت العمارة نسبة الى الموقع الذي بني فيه ، ولا يعقل ان ينسب الى نهر كبير يبلغ طوله مئات الأميال للتعريف به .

وهكذا فان العمارة القديمة التي كانت بالأصل أبنية حكومية أصبحت تدعى باسم كوت العمارة بعد أن بنيت فيها القلعة وعدة دور حولها. ثم أخذت بالتوسع واتخذ الشيخ مشعل بن جَساس بعد توليه مشيخة بني لام[٢٤] عام ١١٠٥هـ (١٧٢٧م) مقره في هذا الموضع ، واتسع نفوذه فشمل جانب دجلة الايسر حتى مصب ديالى . وعليه فان أول تأسيس لبلدة الكوت يكون قبل التاريخ الذي ذكره بعض المؤلفين كالاستاذ الحسني بمدة طويلة فقد ذكر ان (سبع بن خميّس) أحد شيوخ المياح (وهم بطن من ربيعة) شيد قلعة من الآجر في هذا الموضع سنة ١٢٢٧هـ (١٨١٢م) فكانت قلعته هذه نواة لبلدة انشئت فيما بعد هي الكوت فنسبت اليه فترة من الزمن دعيت خلالها (كوت سبع)[٢٥] . كما انه ذكر مثل ذلك في مجلة لغة العرب (كانون الثاني ١٩٣٠) حيث قال « انشئت الكوت عام ١٢٢٧هـ (١٨١٢م) بطلب من الحكومة العثمانية ، انشأها رجل اسمه سبع بن خميّس رئيس تلك الاطراف من مياح بطن من ربيعة ، وكانت قبل ذلك غابات »[٢٦] .

وكان الشيخ علي الشرقي قد قال قبل ذلك في جريدة البلاد البغدادية (في عددها المرقم ١٢٥ في ٧ نيسان ١٩٣٠) ما يشبه هذا القول وهو : « وكان في موضع الكوت نابه من النابهين في قبيلة طي يقال له الشيخ سبع . وفي سنة ١٢٢٧هـ كانت ولاية بغداد في عهده الاداري نامق باشا للدفعة الاولى التي ولي فيها العراق ، فحاول نقل مركز الحكومة من بادرايا وأسس

---

(٢٤) بنو لام : عشيرة قحطانية عريقة تنتسب الى لام بن عمرو الطائي وكانوا قد نزحوا الى العراق منذ مدة طويلة من بلاد اليمن .

(٢٥) العراق قديما وحديثا ـ الحسني ـ ص١٧٠

(٢٦) كانت عائلة سبع من اقدم العوائل العربية العريقة التي سكنت بلدة الكوت ، ولا يزال أفراد هذه العائلة يتمتعون بمكانة محترمة بين أهالي الكوت .

قلعة على الضفة اليسرى من دجلة اطلق عليها اسم الكوت »[٢٧] •

والشيخ سبع بن خميّس (بتشديد الياء) هذا ، كان صديقاً لجيمس فيلكس جونس البريطاني • وكان قد رافقه في حلّه وترحاله في سنة ١٨٤٨م (١٢٦٥هـ) عندما كان يطوف في تلك الأرجاء لكشف النهروان[٢٨] ، وقد ذكره في تقاريره وذكر بيت سبع ومنهم عمه بزّون • وقد قال الاستاذ الدجيلي في المقتطف (السابق الذكر) ان بزون آل شاوي (عم سبع) كان رئيس أهل الكوت في سنة ١٢٥٢هـ (١٨٣٦م) وكان يتقاضى من الحكومة جرايات سنوية •

ومهما يكن من أمر فان الشيخ سبع بن خميس لم يكن هو المؤسس لبلدة الكوت كما قال المؤلفان السابقان لان اسم الكوت ورد في كثير من المصادر التاريخية في الفترة ما قبل سنة ١٢٢٧هـ (١٨١٢م) السنة التي قيل ان الشيخ سبع بن خميس انشأ الكوت خلالها • فقد أجمعت عدة مصادر على وجود بلدة الكوت في زمن الوالي سليمان باشا الكبير[٢٩] الذي حكم

---

(٢٧) الشيخ سبع ليس من قبيلة طي بل هو من (البو بدر) احدى عشائر المياح • وذكر الاستاذ كاظم الدجيلي في مجلة المقتطف (عدد ٥٠ سنة ١٩١٧) ان بيت سبع يسمى بيت شاوي من فخذ البو برشي من البو بدر •

(٢٨) مباحث عراقية ـ ج١ ص٢٧٠.

(٢٩) سليمان باشا الكبير : من ولاة المماليك المشهورين ، امتاز بمواهبه الكثيرة وقد لمع نجمه في عهد الولاة السابقين حتى عهدت اليه متسلمية البصرة • ثم نقل بعد ذلك بثلاث سنوات واعيد بعدئذ الى منصبه سنة ١١٨٥هـ (١٧٧١م) فرحب البصريون بعودته • وقد حوصرت البصرة على عهده من قبل الايرانيين فدافع عنها دفاع الابطال ، ولكن الجيش الايراني ضيق عليها الخناق حتى اضطر سليمان باشا أن يستسلم وأرسل مخفورا الى شيراز حيث أمضى أسيرا فيها مدة أربع سنوات أطلق سراحه بعدها • ثم قدرت الحكومة العثمانية كفاحه فعينته واليا على العراق عام ١١٩٣هـ (١٧٧٩م) • وقد نال العراق على عهده كثيرا من التقدم والاستقرار حتى توفي عام ١٢١٧هـ (١٨٠٢م) على أثر مرض اشتد عليه مدة طويلة ، بعد أن دام حكمه حوالي ثلاث وعشرين سنة قام خلالها باعمال كثيرة منها أنه شيد السراي في بغداد وعمر أسوار الجانب الثاني منها وبنى المدرسة السليمانية وعمر جامع الامام الاعظم وطلى قمة منارته بالذهب •

العراق بين عامي ١٧٧٩ – ١٨٠٢م منها كتاب مختصر مطالع السعود للشيخ عثمان بن سند البصري فقد ذكر فيه اصلاحات هذا الوالي ومنها انه (عمّر كوت العمارة وسوره)[٣٠] .

وجاء كذلك في (دوحة الوزراء) أن سليمان باشا الكبير قام بعدة أعمال اصلاحية من جملتها انه نصب جسراً على نهر نارين وبنى قلاعاً في الكوت وبدرة ومحلات لحفظ الغلال[٣١] .

وجاء في كتاب (اربعة قرون من تاريخ العراق) ان الوالي سليمان باشا الكبير عزل في سنة ١٢١٥هـ (١٨٠٠م) شيخ بني لام وعين شيخاً آخر بدله ، فكان لذلك وقع سيء في تلك المنطقة أدى الى اشتعال نار الفتنة ، حتى أن الوكيل البريطاني في العراق كتب الى حكومته عن هذا الحادث يقول : « ان الشيخ المعزول هاجم الشيخ الحديث الذي عينه الباشا ، وزجت البلاد في أحضان اضطراب شامل من الكوت الى جصان فما حول الحويزة »[٣٢] .

وهناك ادلة أخرى تنص على وجود بلدة الكوت قبل ولاية سليمان باشا الكبير بمدة طويلة منها ما جاء في دوحة الوزراء أيضاً وهو أن الكوت كانت موجودة في زمن ولاية علي باشا[٣٣] وذلك عام ١١٧٦هـ (١٧٦٢م) عندما جرد حملة عسكرية لاخضاع شيخ قبيلة بني كعب وهو الشيخ سلمان

---

(٣٠) (مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داوود) للشيخ عثمان بن سند البصري ، وقد اختصره الشيخ أمين بن حسن الحلواني – ط القاهرة ١٣٧١هـ – ص٧٧ .

(٣١) (دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء) للشيخ رسول الكركوكلي – ص٢١٨ .

(٣٢) (اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) – ستيفن هيمسلي لونكريك – ص١٩٨ .

(٣٣) علي باشا والي بغداد : تولى الحكم فيها عام ١١٧٦هـ (١٧٦٢م) وكان قبل ذلك واليا على البصرة . وقد سعى الصدر الاعظم راغب باشا لدى الحكومة العثمانية في تعيينه لولاية بغداد . وقد بدأ حكمه بسحق الانكشاريين ولكن مدة حكمه كانت قصيرة ومليئة بالحوادث فقد ثار الاهالي ضده هاجموا سراي الحكومة واحتلوه ، فهرب متخفيا ولكنه قبض عليه واعدم سنة ١١٧٨هـ (١٧٦٤م) .

العثمان حيث ذكر المؤلف في وصف تلك الحملة قوله : « ولما تقلد علي باشا زمام الوزارة وادارة ولايتي بغداد والبصرة بلغه أن الشيخ المذكور قد زاد في عتوه وغروره ، وأظهر تمرداً وعصياناً لم يعد يمكن السكوت عنه ، وقرر معاقبته واعادته الى الطاعة ، وذلك بأن جرد عليه حملة عسكرية قوية تولى هو قيادتها . وسار من بغداد دون ان يُشعر أحداً بالجهة التي يقصدها . حتى حط رحاله في محلة الوردية في الحلة ، وهناك ترك مالا فائدة من نقله من الامتعة ، وواصل سفره وأذاع انه يقصد عشيرة بني لام ، واتجه نحو دجلة ثم عبر جسري الكوت والعمارة . وبعد قطعه مسافة الى الأمام عاد وانتقل الى الجانب الآخر ، الأمر الذي موّه به حتى على جنوده !! فلم يعد يعرف احد اين يقصد »[٣٤] . واذا اخذنا بما جاء في خبر هذه الحادثة[٣٥] فمعنى ذلك ان الكوت كانت موجودة قبل التاريخ الذي قيل أن سبع بن خميس أنشأها فيه (وهو عام ١٢٢٧هـ) بأكثر من خمسين سنة .

واضافة الى ذلك نذكر في ما يلي مصادر أخرى جاء فيها ذكر الكوت قبل العام المذكور بأزمان مختلفة منها رحلة ايليس ايروين Evles Irwin المطبوعة في لندن وقد اجتاز بهذه القصبة منحدراً الى البصرة في ٢٥ نيسان سنة ١٧٨١م (١١٩٦هـ) وجاء في قوله ما تعريبه « وفي الساعة الثامنة مررنا بمدينة كوت العمارة حيث يقيم شيخ بني لام » .

وكذلك ماذكره الاستاذ يعقوب سركيس في كتابه (مباحث عراقية) من أن نعمةالله بن يوسف الخوري عبود ترك مذكراته التي دون فيها

---

(٣٤) (دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء) ـ ص١٣٤

(٣٥) لم يذكر المؤلف سبب سيره الى الحلة وهي على نهر الفرات ، ولماذا ترك امتعته هناك ؟ وما هو المقصود من العبور على جسري الكوت والعمارة فهل هما جسران في موضع واحد عبرتهما قواته في آن واحد اختصارا للوقت ام هما في موضعين متباعدين عبر بقواته على احدهما ورجع على الثاني لغرض التضليل ايضا ؟ واي نوع من التضليل هذا ؟ كما لا يعلم ما هو المقصود بالعمارة هنا هل هي نهر العمارة ام بلدة العمارة

مغادرته البصرة في ٢٥ صفر عام ١٢٢٥هـ (١٨١٠م) متوجهاً الى بغـــداد بطريق شط العرب فالفرات فالغراف ثم اجتيازه الحي ثم الكوت فبغداد .

وكذلك مذكرات أخيه ميخائيل بن يوسف الخوري عبود والتي ذكر فيها سفره من بغداد الى البصرة في ٩ كانون الثاني عام ١٨١١م الموافـق ١٤ ذي الحجة عام ١٢٢٥هـ برفقة محمود أغا شقيق عبدالله أغا متسلم البصرة في سفينة صغيرة حيث وصل بتاريخ ١٦ كانون الثاني الى كوت العمارة .

وعليه فلا مجال للقول بأن الـكوت انشئت عام ١٢٢٧هـ (١٨١٢م) فهي قد انشئت قبل ذلك بزمن طويل قد لا يمكن تحديده على وجـــه التأكيد ، وكانت تنمو نمواً بطيئاً لم يكن يلفت انظار المؤرخين والسواح في بادىء الامر ، فلم يدونوا عنها ما يستحق الذكر آنذاك .

وايجـازاً لما ذكرنا فان الـكوت كانت موجودة في حدود منتصف القرن السابع عشر أي منذ أكثر من ثلاثمائة سنة وكان اســـمها آنذاك العمارة . ثم انشيء (كوت) في تلك العمارة فسمي بكوت العمارة . وبعد أن حل أمراء ربيعة في تلك المنطقة سميت البلدة بكوت الأمارة غـير أنها بعد أن أصبحت بلدة مشهورة سميت بالـكوت ـ دون أية اضافة ـ اقتصاراً .

المدينة الناشـــئة

بنيت الكوت كميناء نهري يقع عند تفرع نهر الغراف من دجلة ، وكانت قبل ذلك أرضاً تكسوها الغابات[١] • وكانت ضفاف نهر دجلة شمال الـكوت وضفاف نهر الغراف مأوى للاسود وغيرها من السباع[٢] • وكان للضرورة حكم في انشائها ، اذ أن موقعها قريب من منتصف المسافة بـين البصرة وبغداد ، وفي موضع تفرع الغراف من دجلة ، فكانت السفن النهرية المتنقلة بين هاتين المدينتين ترسو في ذلك الموضع لتفرغ حمولتها في ســفن صغيرة تسير في نهر الغراف متنقلة بين مدنه وقراه • وكان للملاحة آنذاك أهمية خطيرة في نهر دجلة ، وحتى السفن الكبيرة كانت تشاهد راسية في الـكوت وقد أشار الى ذلك بعض الرحالة[٣] • ومن أجل ذلك كان مرفـأ الـكوت محلاً لاستراحة الملاحين والركاب ، وســـوقاً للتزود بالطعــام والحاجيات ، ومخزناً لحفظ الغلال والبضائع ، فضلاً عن أنه مكان لتبديل السفن • كما أن كثيراً من ركاب هذه السفن المتوجهين من البصرة الـى بغداد كانوا يغادرون سفنهم عندما يصلون كوت العمارة فيأخذون عوضهـا الـدواب لتوصلهـم بطريق البر الى بغـــداد ، فيصلون في مـدة ثلاثـة أيام الى المدائن (وهي قبل بغداد بقليل)[٤] •

وكانت منطقة الغراف(ولاتزال حتى الآن)منطقة زراعية مشهورة بكثرة انتاجها فكانت الغلال تجمع منها عن طريق النهر أو عن طريق البر فتنقل الى مرفأ الـكوت لتكدس هناك في انتظار تحميلها على السفن الذاهبة الى بغـــداد أو البصرة • ولذلك قيل ان كلمة (الكوت) لها علاقة بالملاحـة أو الزراعة أو الخزن (راجع البحث السابق) •

---

(١) مجلة لغة العرب ـ تموز ١٩٣٠

(٢) رحلة جاكسون عام ١٧٩٧م ورحلة ميكنن عام ١٨٢٩م

(٣) رحلة جاكسون عام ١٧٩٧م ـ ترجمة سليم طه التكريتي •

(٤) رحلة المنشيء البغدادي ـ ترجمة عباس العزاوي ـ ص٩٦ •

وكانت السفن النهرية في أول أمرهـا تسير بالشـراع ، ثم صنعت السفن البخارية المزودة بمكائن تتحرك بالوقود فأخذت هذه السفن البخارية تمخر عباب دجلة بين البصرة وبغداد وترسو عند وصولها الكوت لتتزود بالفحم الحجري المستعمل كوقود لها وتأخذه من مذخر في الكوت • وكان في الكوت قبل ذلك مذخر للحطب المستعمل لوقود المراكب قبل فتح قناة السويس وبعده بسنين • ثم صارت تتزود بالنفط والفحم الحجري من مذخر الكوت الذي كان موجوداً حتى قبيل الحرب العالمية الثانية[٥] •

فلما كانت سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م) نالت شركة ستيفن لنج البريطانية امتيازاً بتسيير السفن التجارية بين البصرة وبغداد ، متخذة بلدة الـكوت في عداد الموانى الرئيسية التي ترسو عندها بواخرها • فتهافت عليها باعة العقاقير والاقمشة والصناع والصاغة وتجـار الحبوب وغـيرهم من مختلف انحاء القطر ومن القبائل المجاورة ، فتكاثر عدد سكانها تدريجياً وازدادت أهميتها حتى صار لها شأن يذكر[٦] •

وعندما نشأت الـكوت في أول أمرها كميناء نهري ، كان هناك عامل آخر يساعد على نشوئها ونموها وهو العامل السـيـاسي ، اذ ان مركز الحكومة لشؤون تلك المنطقة كان في زمن العثمانيين في بدرة ، وكانت بدرة كثيرة التعرض لغزوات الايرانيين نظراً لقربها من الحدود الايرانية • وكثيراً ما كان الايرانيون يستولون عليها فتبقى تحت حكمهم مدة من الزمن فكان من الضروري البحث عن بلد آخر ليكون مركزاً للحكومة عوضاً عن بدرة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى موقف العشائر العراقية المعـادي للحكومة فكانت هذه العشائر تتجمع في الداخل للقيام بتحركاتها مما اضطر الحكومة العثمانية الى التفكير بجعل مركز الحكومة قريباً من هذه العشائر ليسهل عليها تسويق الجيوش اليها للقضاء على اضطراباتها وعصيانهـا •

---

(٥) مباحث عراقية ـ ج١ ص٢٨٠ ـ ولم يبق في الكوت مثل هذا المذخر في الوقت الحاضر لان السفن النهرية البخاريـة توقف سيرها في دجلة منذ مدة طويلة •

(٦) العراق قديما وحديثا ـ ص١٧٠

وكانت عشيرة بني لام القوية تتجمع قريباً من دجـــلة ، وعلى الاخص في موقع تفرع الغراف فآثرت الحكومة آنذاك ان يكون مركزها في هـــذا الموضع أي عند الكوت ، الميناء النهري الصغير ، فأنشأت عندئذ عمـــارة حكومية لتكون مركزاً لادارة المنطقة ، ثم توسعت البلدة جنوباً ، وشيدت فيها قلعة من الطين مقابل نهر الغراف ، وقد ذكر ذلك المقيم البريطـــاني ريج[٧] وكتب عنها في كتابه الذي يحتوي على رحلته بتاريخ ١٤ أيار سنة ١٨٢١ م (١٢٣٧ هـ) حيث قـــال : « فقـــدمنا الى Kootalamara في الساعة الثامنة ، وقد شيدت هناك قلعة صغيرة من الطين وقرية جديدة بقربها تحت القديمة بقليل ، وهي بازاء فوهة شط الحي • وهنا خمسة بلوكات من عقيل العرب ، مرابطة تستوفي ضريبة على كل سفينة » اهـ •

ويلاحظ هنا بأنه ذكر القرية القديمة والجديدة التي تقع جنوبها ، واشار الى القلعة وهي الشيء الذي يلفت النظر أكثر من غيره وقتئذ • وقد ذكر هذه القلعة معظم الرحالة الذين سافروا في نهر دجلة • وأول من أشار اليها الرحالة الفرنسي تافرنييه الذي سافر في دجلة عام ١٦٥٢ فقد ذكر العمارة وقلعتها المشيدة باللبن[٨] • ثم ذكرها بعده رجال آخرون •

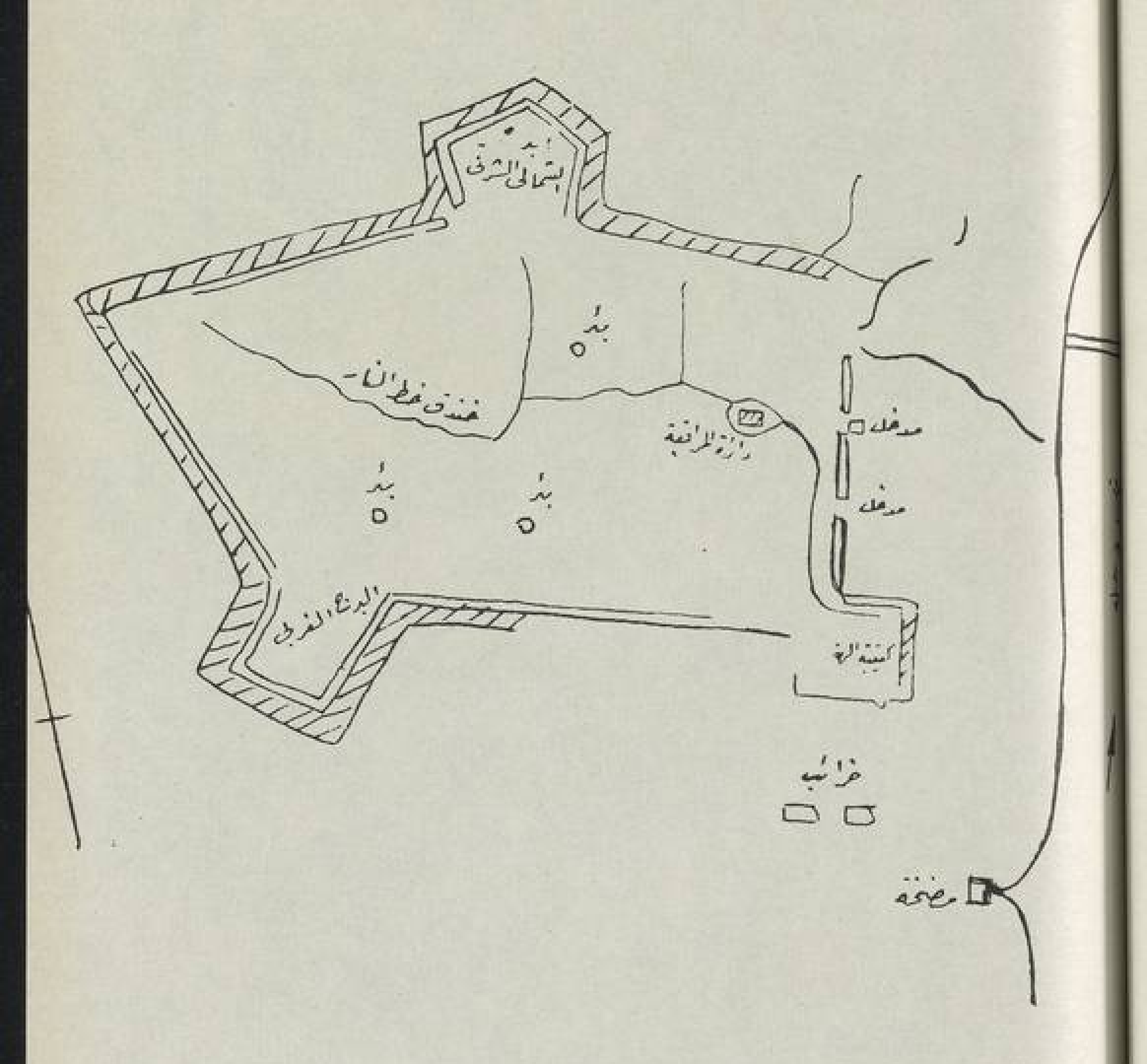
وعندما صار اسم كوت العمارة يتردد في الرحلات ، صرنا نجـــد السواح يذكرون قلعة كوت العمارة وهي ـ على مايبدو ـ غير قلعة العمارة القديمة ، وقد تقع قريباً منها •

أما وأن قلعة الكوت كانت قد انشئت من الطين ، فليس من المتوقع أن تبقى مدة طويلة • فهي لم يبق لها أثر في الوقت الحاضر ، ولا يعـــلم موقعها بالضبط • وربما اعيد بناء هذه القلعة الجديدة أكثر من مرة خلال هذه الحقبة الطويلة من الزمن فيكون هناك أكثر من قلعة ، وربما أكثر من موضع لها • ويبدو انها ـ حسبما يتضح من وصف السواح المسافرين

---

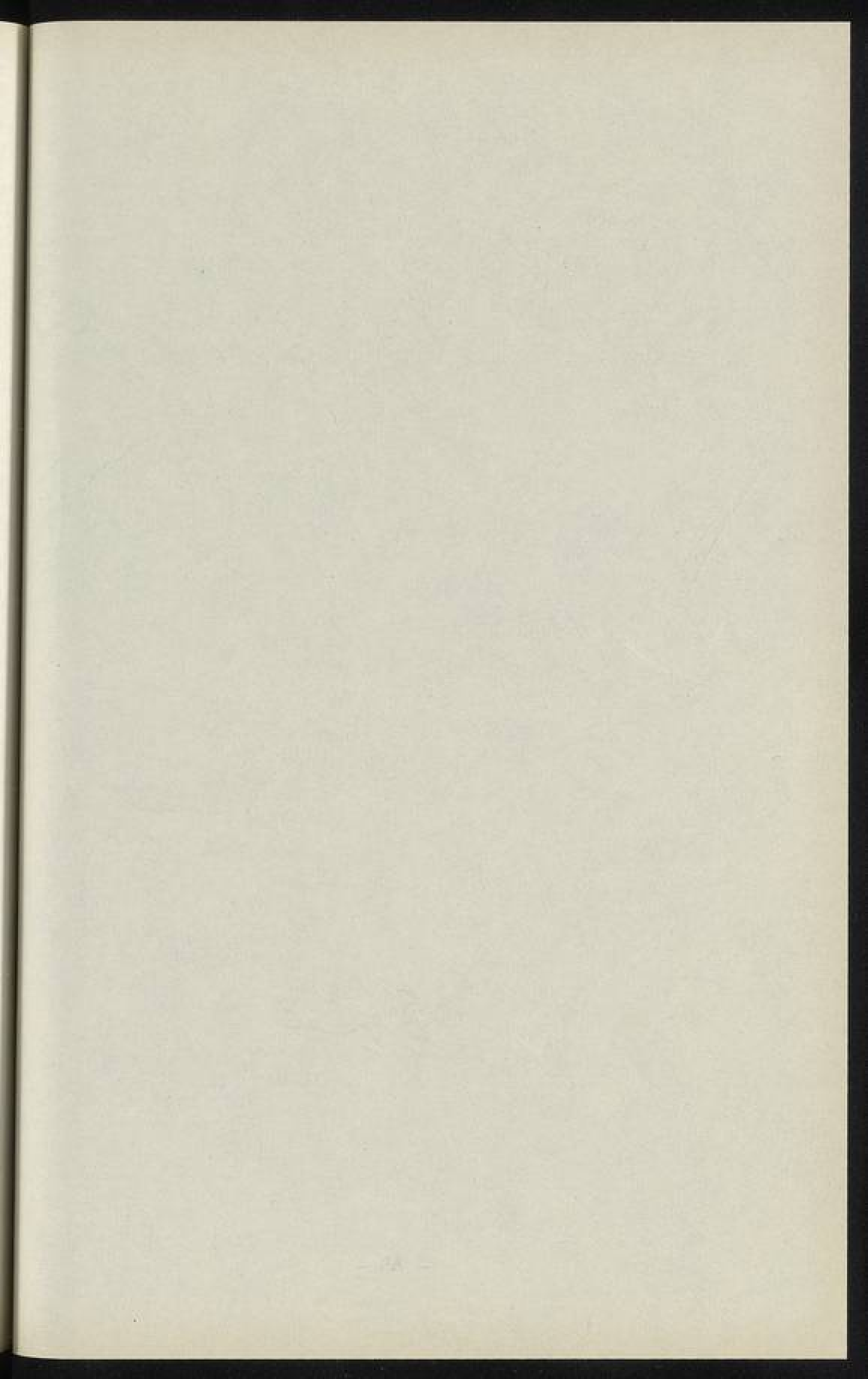
(٧) كلوديوس جيمس ريج : وقد عين مقيما بريطانيا في العراق عام ١٨٠٨ و بقي حتى عام ١٨٢١ ، وطبعت رحلته بعد وفاته •

(٨) رحلة تافرنييه ـ ص٩١



قلعة الكوت

ماخوذة عن Sandes



بطريق دجلة – تقع قرب انحناءة النهر الشمالية الشرقية ، وفي مكان ليس ببعيد عن موقع قلعة الكوت المعروفة في حصار طوتزند (قلعة الخضيري) والتي هي اخر قلعة عرفتها الكوت (وقد تكون هي القلعة التي وصفها الرحالة المتأخرون) ، والتي لم نكن لنعرف شيئاً عنها لو لا الحصار المذكور واهتمام الجنرال طوتزند وقادة جيشه بهذه القلعة ، وذكرهم لها باسهاب عندما كتبوا مذكراتهم عن الحرب العالمية الاولى وحصار الكوت بعدئذٍ .

وتقع هذه القلعة (قلعة الخضيري) عند انحناءه النهر الشمالية الشرقية (بالقرب من مقبرة شهداء الاتراك في الوقت الحاضر) وعلى مسافة ٢٨٠٠ يارد من البلدة القديمة وهي ذات شكل منحرف ذي أضلاع مستقيمة ، ويقع مدخلها الرئيسي على الضلع الشرقي . وقد ذكر هؤلاء الضباط في مذكراتهم ان للقلعة ثلاثة ابراج : برج غربي ، وبرج شمالي شرقي ، وبرج جنوبي شرقي (اتخذ كمقر لكتيبة الهندسة) . وفي داخل القلعة حفرت عدة خطوط للخنادق (في فترة الحرب) وشيد موقع للمراقبة. كما يلاحظ انه كان في القلعة ثلاثة أبار للحصول على الماء اللازم لشرب واستعمال الجيش الانكليزي المرابط فيها وهو اللواء السابع عشر(٩) . ويذكر الجنرال طوتزند في مذكراته ان القلعة المذكورة كانت تستعمل قبل ذلك في مقاتلة الاعراب وهي لا تصلح الا للحروب غير المنتظمة(١٠) . وعليه فان المدافع الثقيلة التي استعملت في قصف المواقع العسكرية اثرت تأثيراً سيئاً في القلعة المذكورة ، مما اضطر الجيش الانكليزي الى تقوية أبراجها وجدرانها بصورة مستمرة باعادة بنائها ووضع أكياس الرمل ازاءها . والظاهر ان الانكليز أعاروا هذه القلعة من الاهمية أكثر مما تستحق ، وأشادوا بذكرها وبدورها الفعال في الحرب العالمية الاولى ، حتى ليتصور المرء انها من القلاع العسكرية الضخمة . وعلى أية حال فان القلعة

---

(٩) خواطر طوتزند (محاربتي في العراق) – للجنرال طوتزند – ص٣٤٥ .

(١٠) المصدر السابق – ص٣٢١

المذكورة تهدمت نهائياً بانتهاء الحرب وزال كل أثر لها في الوقت الحاضر •

وكانت الكوت في بادىء أمرها قرية صغيرة لا تملأ عين الناظر ، لا سيما اذا كان سائحاً اجنبياً يجوب الدنيا ، فقد قال عنها الكابتن ميكنن (ورد ذكره سابقاً) في رحلته بين البصرة وبغداد ما يلي « في ٢٩ تشرين الاول ١٨٢٧ قدمت الى الكوت وهي قرية حقيرة مؤلفة من مجموعة أكواخ مبنية من الطين ، يحيط بها سور كذلك من الطين » وقال عنها كيل G. Keppel في رحلته من البصرة الى بغداد في سنة ١٨٢٤م (١٢٤٠هـ) ما يلي : « الكوت قرية صغيرة حقيرة مبنية من الطين ، يحميها سور ارتفاعه ست أقدام ـ نحو مترين ـ وهي الموقع الوحيد الثابت الذي رأيناه بعد القرنة ، وفيه يقيم شيخ بني لام القوي الذي يمتد نفوذه من القرنة الى بغداد » ا هـ •

وسور الكوت هو الآخر ـ كقلعتها ـ مبني من الطين (وهذا لا يمنع ان يكون قد استعمل في بنائهما الآجر المفخور) ، ومن أجل ذلك قد لا يكون على درجة كبيرة من القوة • وعليه فقد زال ولم يبق له أثر منذ مدة طويلة • كما ان الجزء القديم من المدينة الذي كان السور يحيط به اتسع كثيراً واتصل باطراف بعيدة من العمران فلم يعد يعرف خط مسيره بالضبط ، لا سيما وأنه لم يترك اسماء لابوابه ليستدل بها عليه • وكل مالدينا من معلومات حول سور الكوت الذي ذكره السواح القدماء ترجع الى عام ١٩١٥م عندما احتل الانكليز بلدة الكوت وأقاموا فيها فترة طويلة ، فكتبوا عنها وصوروا أبنيتها وشوارعها ورسموا خرائطها ، وكانوا قد أشاروا في هذه الخرائط الى وجود حائط مرتفع من الطين يحد البلدة شمالاً ابتداء من شاطىء النهر بالقرب من دار المعلمات الحالي ، ويمتد مسافة ثم ينعطف ليحيط بالبلدة شرقاً وجنوباً وينتهي عند شاطىء النهر في جنوب المحلة الشرقية الحالية • ومن هذه الخرائط خريطة الميجر ساندس وقد رسم فيها جزءاً من السور شمال البلدة وجزءاً منه جنوبها أما بقية السور فقد تهدمت بفعل الحرب ثم أزيلت نهائياً بعدئذ •

وفي عام ١٢٣٧هـ (١٨٢٢م) زار الكوت (المنشي البغدادي) - وهو السيد محمد بن السيد أحمد الحسيني - وقال عنها في رحلته التي كتبها باللغة الفارسية أنها تتكون من مائة بيت . وذكرها بعد ذلك فريزر في كتابه (بين النهرين وآشور) المطبوع في ادنبرة سنة ١٨٤٢م بقوله : « وهناك على طول النهر - دجلة - تلال وروابٍ تمثل مساكن الأقدمين ويتخللها مضارب العرب وأكواخهم ، وعدة قرى كبيرة وأعظمها كوت العمارة » فهي كانت أعظم جميع القرى الكبيرة على نهر دجلة في ذلك الوقت .

وفي عام ١٨٨٦م يصف الكوت سائح آخر هو السير وليس بدج العالم الآثاري البريطاني ، فقد زارها وتجول فيها وقال عنها انها بلدة صغيرة كثيرة المساجد ، وسوقها صغيرة . ثم قال « ورأيت في أحد دكاكينها نماذج من المصنوعات الفضية الجميلة التي يصنعها من يسمون نصارى القدس يوحنا »(١١) ويقصد بهم الصابئة .

وكان للكوت جسر قديم جاء ذكره في مصادر تاريخية أقدمها دوحة الوزراء وذلك عند ذكر حملة علي باشا والي بغداد على قبيلة بني كعب عام ١١٧٦هـ (١٧٦٢م) حيث عبر جسر الكوت مع جيشه كما سبق بيانه . وعليه فيكون هذا هو أقدم جسر للكوت ويبدو أنه قد انشيء بعد انشاء البلدة بقليل لانه ذكر في هذا المصدر مع أول ذكر للكوت .

غير أن هذا الجسر انقطع ذكره فلم تعد تذكره المصادر التاريخية مدة طويلة ، حتى ان جريدة الزوراء البغدادية الصادرة عام ١٣١٨هـ ١٩٠٠م) عندما أشارت الى بناء جسر جديد للكوت لم تعترف بوجود جسر للبلد في السابق . وقد جاء خبر بناء هذا الجسر الجديد في الجريدة المذكورة بقولها ان الحكومة قررت في سنة ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) انشاء جسر لبلدة الكوت ولم يكن فيها جسر ، على أن يبعد نحو ربع ساعة جنوب

---

(١١) رحلات الى العراق - السير وليس بدج - ترجمة فؤاد جميل - ص٢٣ .

البلد ، وقد جرى الاحتفال بافتتاحه[١٢] • وقد أشار طونزند في مذكراته التي كتبها عام ١٩١٥م الى هذا الجسر في عدة مواضع ، وسماه (جسر القوارب التركي القديم) وقد زال اثره منذ وقت طويل • وقد انشئت في زمن الحرب العظمى عدة جسور حربية موقتة زالت هي الاخرى بمرور الزمن ، حتى كان عام ١٩٣٤م حيث انشىء جسر سدة الكوت الحديدي فكان أول الجسور الحديثة التي تشيد في هذه البلدة •

وعندما لفتت هذه البلدة الناشئة انظار الحكومة العثمانية بعد منتصف القرن التاسع عشر بتقدمها المستمر وتوسعها ، قررت أن تجعلها قائمقامية • وقد جاء في سالنامة الاستانة لسنة ١٢٧٦هـ (١٨٥٩م) ان اللواء محمد باشا كان محافظاً للواء بدرة وجسّان • ثم تذكر في موضع آخر قضاء كوت العمارة ضمن أقضية اللواء المذكور • وكان الوالي تقي الدين باشا قد قام في سنة ١٢٩٩هـ (١٨٨١م) بجولات تفقدية في أنحاء القضاء المذكور وتعرف على أحوال عشائره مثل ربيعة وبني لام[١٣] •

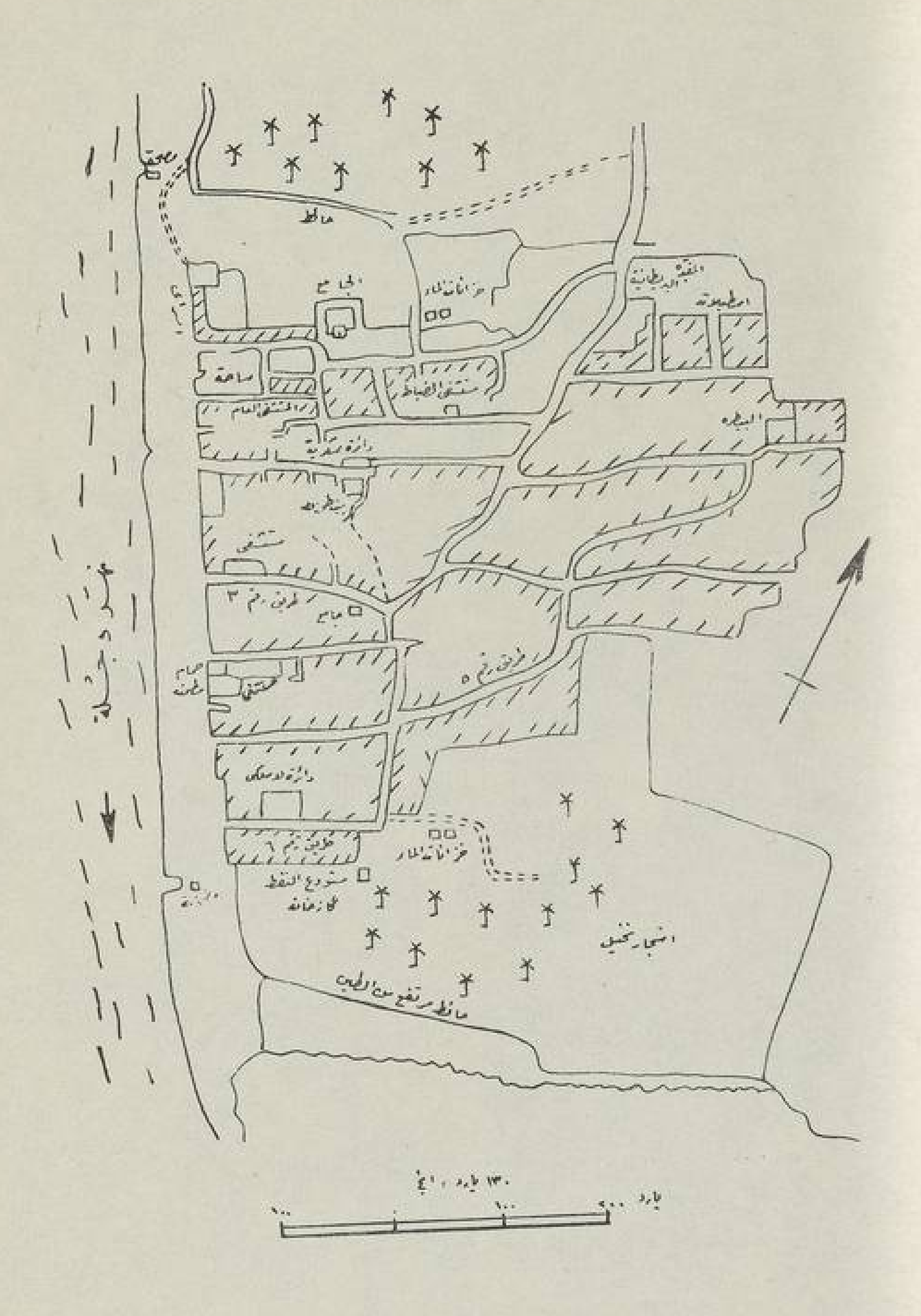
وفي أوائل القرن العشرين كانت الكوت قضاءً عائداً الى سنجق بغداد الذي هو جزء من ولاية بغداد ، اذ كانت كل ولاية آنذاك مقسمة الى عدة سناجق • ولم يكن يرتبط بقضاء الكوت أية ناحية •

وكانت الكوت خلال الفترة الأخيرة من حكم العثمانيين (كسائر البلدان العراقية) خاملة الذكر ويكتنفها الاهمال والنسيان ، فهي بلدة صغيرة تحيط بها بساتين النخيل وقد قبعت في الزاوية الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة النهرية ، لا تشغل سوى الثمن من مساحتها • أما في الجانب الآخر من النهر ، في الجهة المقابلة للبلدة ، فلا يوجد سوى بضعة أكواخ

---

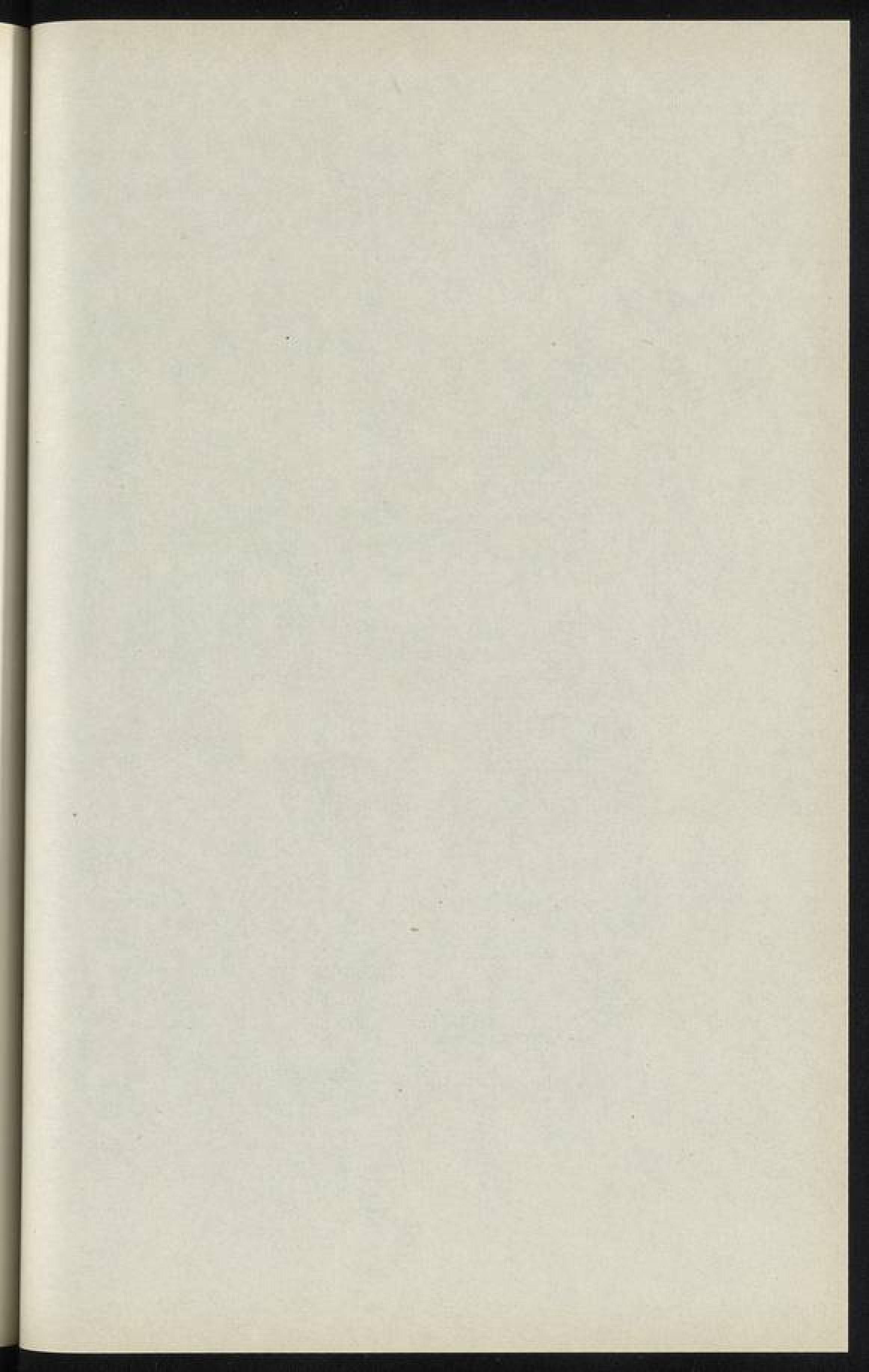
(١٢) جريدة الزوراء ـ عدد ١٨٩٦ ـ في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) •

(١٣) تاريخ العراق بين احتلالين ـ ج٨ ص٩٥



خريطة الكوت عام ١٩١٥

ماخوذة عن Sandes



حول معمل لكبس الصوف ، ومخزن لجمع عرق السوس وتصديره الى الاقطار البعيدة ، ويطلق على هذه المجموعة كلها اسم (صوب الخان) أو قرية السوس كما يسميها طونزند في مذكراته ، وهي تقع قرب موضع السدة الحالية .

وعندما اندلع لهيب الحرب العالمية الاولى واحتل الانكليز بلدة الكوت ، استطعنا ان نطلع على مخطط الكوت آنذاك (عام ١٩١٥) في ما نشره الضباط الانكليز عن هذه البلدة التي حوصروا فيها أشهراً طويلة . وكانت البلدة وقتئذٍ تتكون من مجاميع من الدور المبنية بالآجر ، تفصل بينها أزقة وشوارع ضيقة ملتوية ، ويقع في شمالها السراي المواجه للنهر وفي شرقيه الجامع الكبير ، ثم تليه جنوباً الأسواق التي اتخذت في زمن الحرب كمستشفيات للجيش المحصور . وكان في البلدة جامع آخر مما يلي منطقة الاسواق ، وحمام مطلة على النهر . وكانت خزانات الماء تقع في شمال البلدة (شرقي الجامع) وفي جنوبها بالقرب من مستودع النفط .

أما في شرقي المدينة فكانت المقبرة البريطانية (وهي المقبرة الحالية وكانت تقع في أقصى حدود البلدة شرقاً ، أما الآن فتقع في منتصف البلدة) وكان الانكليز يدفنون قتلاهم فيها اثناء الحصار . وفي جنوب المقبرة كانت تقع اسطبلات الجيش البريطاني ودائرة البيطرة ، وهي موضحة بالخريطة التي رسمها الميجر ساندس في كتابه (في الكوت والاعتقال) المطبوع في لندن عام ١٩٢٠ .

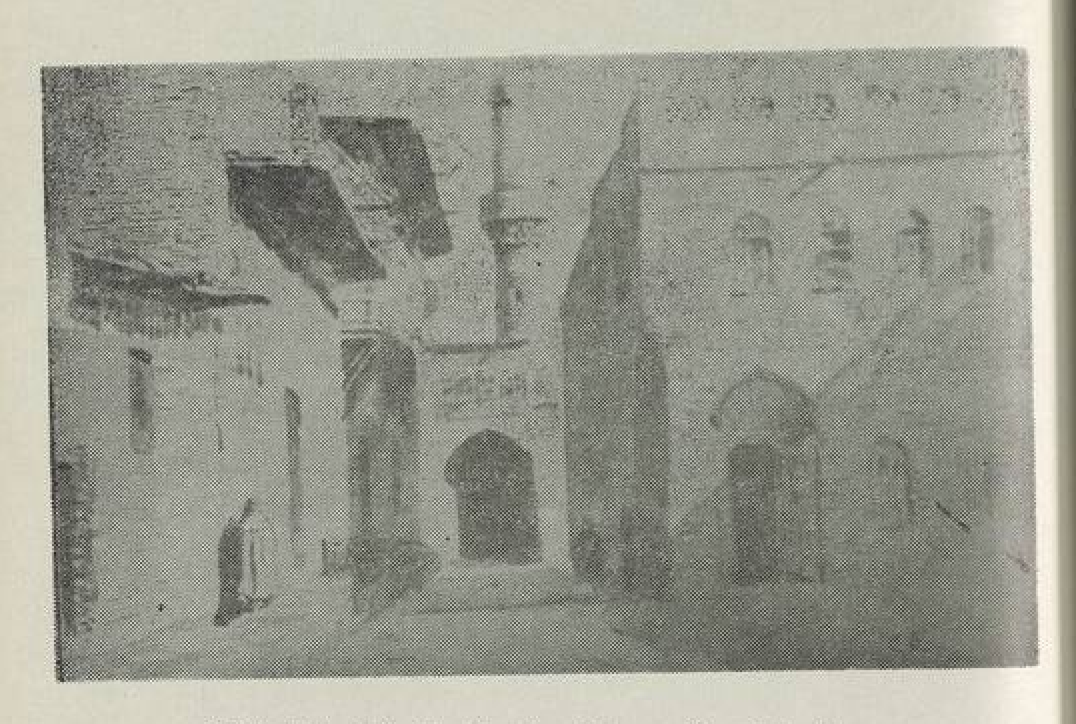
وكانت بساتين النخل كثيرة وتحيط بالبلدة من جميع أطرافها ، حتى أن طونزند قال في مذكراته أن رؤية بلدة الكوت من خارجها كانت صعبة جداً لأنها كانت مستورة بأشجار النخيل ، وكانت مئذنة الجامع ترتفع فوق غابة من النخيل[١٤] غير أن هذه الغابة من النخيل زال معظمها في

---

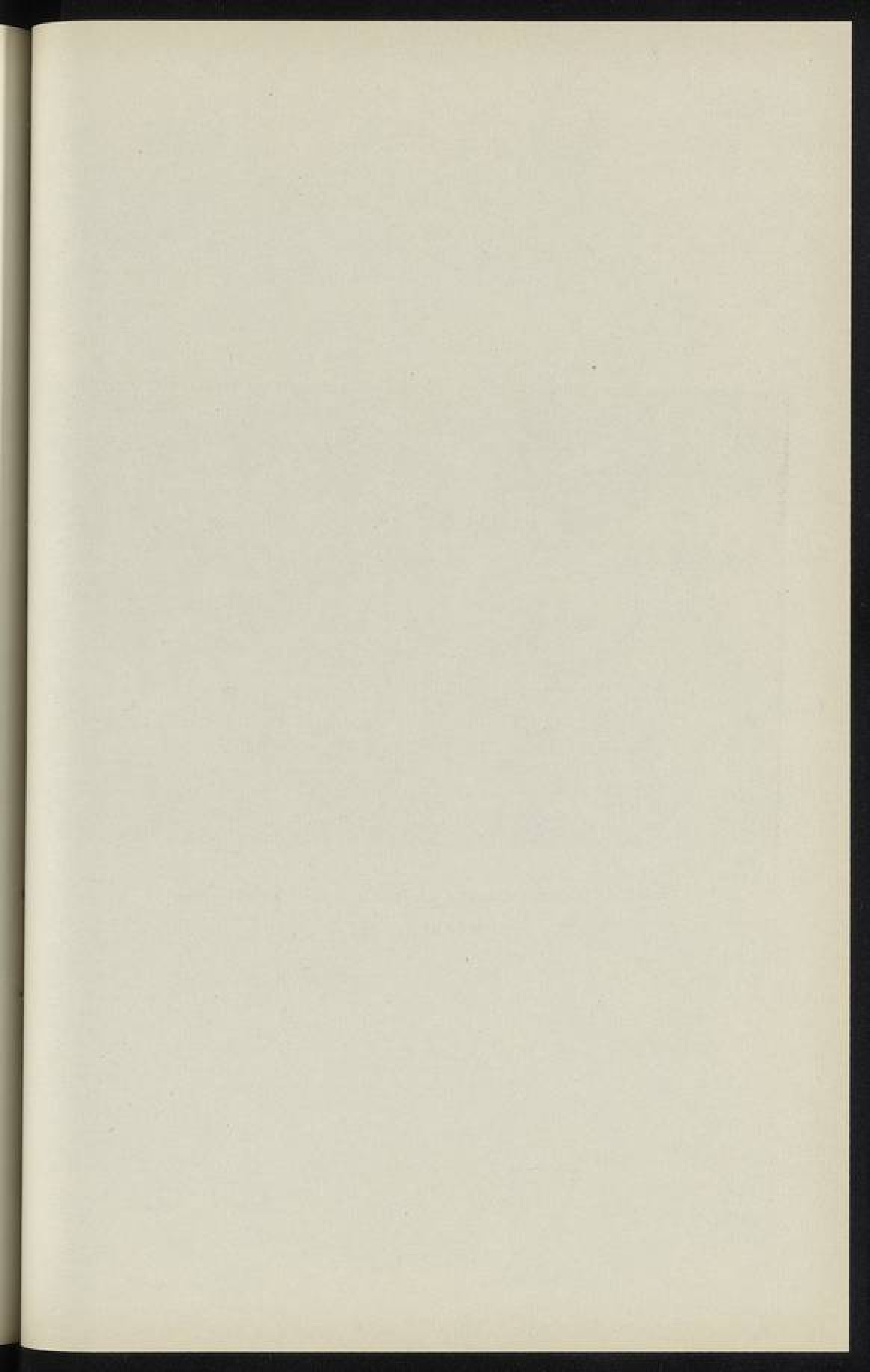
(١٤) خواطر طونزند ـ ص٤٥٢

الوقت الحاضر بفعل قصف المدفعية ونتيجة لتوسع البلدة شمالاً وشرقاً .
أما جنوباً فلا تزال بعض البساتين موجودة كالسابق .

وفي أثناء حرب الكوت وحصارها أصيبت البلدة بالتخريب والتهديم ، وقد اعترف الانكليز بذلك وحاولوا اعادة بنائها . الا ان التوسع والتقدم الكبير فيها حدث بعد ان نال العراق استقلاله فوجهت الحكومة العراقية عنايتها الى هذه البلدة حتى بلغت ما هي عليه الآن .



مدخل الجامع الكبير ومئذنته قبل قصفها بالمدفعية العثمانية
ماخوذة عن BARBER



محنة الكوت

كانت الدولة العثمانية في أواخر أيامها تعاني من أزمات عديدة أهمها تعرض الدول الاوربية لها ومحاولتها انتزاع ممتلكاتها وانهاء حكمها على الولايات الخاضعة لها • وعلى هذا الاساس بدأت انكلترا بالتحرش بالولايات العثمانية فاصدرت الاوامر في تشرين الاول عام ١٩١٤ الى لواء المشاة السادس عشر من الفرقة السادسة بالاقلاع من بومبي بقيادة أمير اللواء ديلامين لاحتلال جزيرة عبادان بحجة حماية آبار النفط هناك •

وعندما أعلنت الحرب العالمية الاولى ، واشتركت انكلترا فيها رسمياً ضد تركية ، ارسلت بقية الفرقة السادسة لاحتلال البصرة ، فتم لها ذلك في ٢٢ تشرين الثاني من العام المذكور • ونظراً لسقوط البصرة بسرعة وسهولة بيد الانكليز فقد ظهرت فكرة الاستيلاء على بغداد لدى ساستهم ، وتبدلت فكرة الدفاع السوقي عن منطقة مصالح بريطانيا في العراق الى الهجوم وابعاد الاتراك عن المنطقة ، والقضاء على النفوذ السياسي الالماني في العراق والشرق الاوسط • فجردت انكلترا من أجل ذلك حملة كبيرة متكونة من فرقتين هما الفرقة السادسة والفرقة الثانية عشر بقيادة الفريق السير جون نكسون الذي كان متحمساً للزحف على بغداد مخالفاً بذلك رأي بعض القادة الانكليز •

وكانت قد انيطت قيادة الفرقة السادسة من هذه الحملة والتي اوكل اليها أمر تحرير نهر دجلة ، والاستيلاء على مدنه ومن جملتها الكوت ، الى قائد بريطاني شهير عرف بالحنكة والدهاء وهو الفريق الثاني السير جارلس طونزند[1] ، فقد أخذ هذا القائد يتهيأ للزحف شمالاً على طول

---

(١) الفريق الثاني السير جارلس • ف• طونزند القائد الانكليزي الشهير : ولد عام ١٨٦١م وخاض حرب الترنسفال والحرب العظمى الاولى فابلى بلاء حسنا ، وساهم في عقد الصلح بين تركيا وانكلترا في نهاية تلك الحرب • وفي سنة ١٩٢٠ انتخب نائبا في مجلس العموم البريطاني • وقد كان واسع الاطلاع في التاريخ العسكري ، وعرف عنه بانه كان يضع في حروبه عدة خطط للقتال تبلغ الخمس خطط في آن واحد • وقد توفي في باريس عام ١٩٢٣ • ولما اذيع نعيه نشرت الصحف المقالات الضافية في سيرته واعماله •

نهر دجلة باتجاه بغداد ، وكان جيشه مزوداً بسفن نهرية لمهاجمة السواحل ونقل الارزاق •

وفي حزيران ١٩١٥ استطاع اللواء السابع عشر من الفرقة المذكورة احتلال بلدة العمارة ، ثم واصل زحفه نحو قرية الشيخ سعد متأهباً لاحتلال الكوت التي كان الجيش الانكليزي يعير لها أهمية كبيرة ، في الوقت الذي كان فيه طونزند يعتقد ان قواته لا تكفي للاستيلاء على بغداد ، وقد عرض هـذا الرأي على القائد العام للحملة السير جون نكسون ، غير ان هذا وعده بمده بقوات كبيرة بمجرد استيلائه على الكوت وقال له « قد رأينا على ان تزحف متقدماً من العمارة وتقاتل جمال الدين باشا وتحتل كوت الامارة ، ولابد من استيلائنا عليها نظراً الى شأنها الخطير من وجهة سوق الجيش »[٢] •

وقد وضع تحت امرة طونزند استعداداً لمعركة الكوت ـ بالاضافة الى الفرقة السادسة التي يقودها ـ القوات التالية : بطريات مدافع متعددة ، وثلاثة مراكب نهرية مسلحة وهي (كومت) و (شيطان) و (سمانة) ، مع طائرتين للاستطلاع ومفارز لاسلكية[٣] •

وزحف جيش طونزند نحو الكوت وبدأ القتال مع الجيش التركي في صباح يوم ٢٧ ايلول ١٩١٥ • وكان الاتراك قد عملوا استحكامات قوية للدفاع عن الكوت • ودارت رحى الحرب حتى فجر اليوم التالي حيث قام الجيش الانكليزي بحركة التفاف حول الاتراك واضطرهم الى مغادرة مواضعهم ، فانسحبوا الى شمال الكوت باتجاه سلمان باك تاركين كثيراً من القتلى والجرحى والمعدات الحربية • وقد قال طونزند عن معركة الكوت هذه في مذكراته ما يلي : « ونستطيع ان نحسب وقعة كوت الامارة من أهم المعارك في تاريخ الجيش البريطاني في الهند ، ولم تجارها وقعة سابقة من

---

(٢) خواطر طونزند ـ ص٧
(٣) المصدر نفسه ـ ص١٢٥

حيث المقدار سواء كان ذلك في الحرب الافغانية أم في الفتنة الهندية »[٤] .

وبعد ان استولى الجيش البريطاني على الكوت زحف نحو العزيزية التي تقع شمال الكوت بمسافة ٩٠ كيلومتراً ، فاحتلها في ٣ تشرين الاول وجرت بين الفريقين مناوشات ومعارك صغيرة واصل خلالها الجيش الانكليزي زحفه باتجاه (سلمان باك) لاحتلالها ولضرب القوة الكبرى للعثمانيين المعسكرة هناك وتقدر بحوالي خمسة عشر ألف جندي مع مدفعيتها الكاملة . واصطدم الجيش الانكليزي بالجيش التركي قرب طيسفون في ٢٢ تشرين الثاني ، وجرت بينهما معركة ضارية بالبنادق والمدافع والحراب. ووقعت الفوضى في صفوف الجيش الانكليزي ، وحدثت فيهم مقتلة عظيمة فانسحبوا قبل ان تصدر الاوامر اليهم ، فطاردهم الجيش التركي بقيادة نورالدين باشا ولحق بهم وكاد يقضي عليهم تماماً . واغرق الاتراك المركب الانكليزي المسمى (شيطان) والمركب (كومت) واغتنموا مركباً آخر[٥] . وكانت خسارة الجيش الانكليزي تزيد على أربعة آلاف قتيل ، واضطر الجنرال طونزند الى الانسحاب الى الكوت والالتجاء فيها في أوائل كانون الاول . ودخل جنوده البلدة وهم على حال يرثى لها من التعب والانهاك .

وتمتاز الكوت بانها من أهم المواقع الحربية من حيث سوق الجيش لانها تسيطر على نهري دجلة والغراف فتمنع مرور السفن الناقلة للمواد الحربية والاعاشة في هذين النهرين . وقد أوضح طونزند ذلك لحكومته ، وطلب منها السماح بالبقاء في الكوت في انتظار النجدة العسكرية التي ستمده بها ، وأضاف يقول في تقريره بأن التخلي عن الكوت معناه تمكين العدو من ارسال قطعاته بطريق الغراف الى الناصرية واحتلالها .

وقد قرر طونزند تحصين الكوت وتعزيز خطوط دفاعها ، وتهيئتها للوقوف بوجه الاتراك عند هجومهم على الجيش الانكليزي المتحصن فيها .

---

(٤) المصدر نفسه ـ ص١٧٢

(٥) تاريخ مقدرات العراق السياسية ـ محمد طاهر العمري ـ ج١ ص١١٣

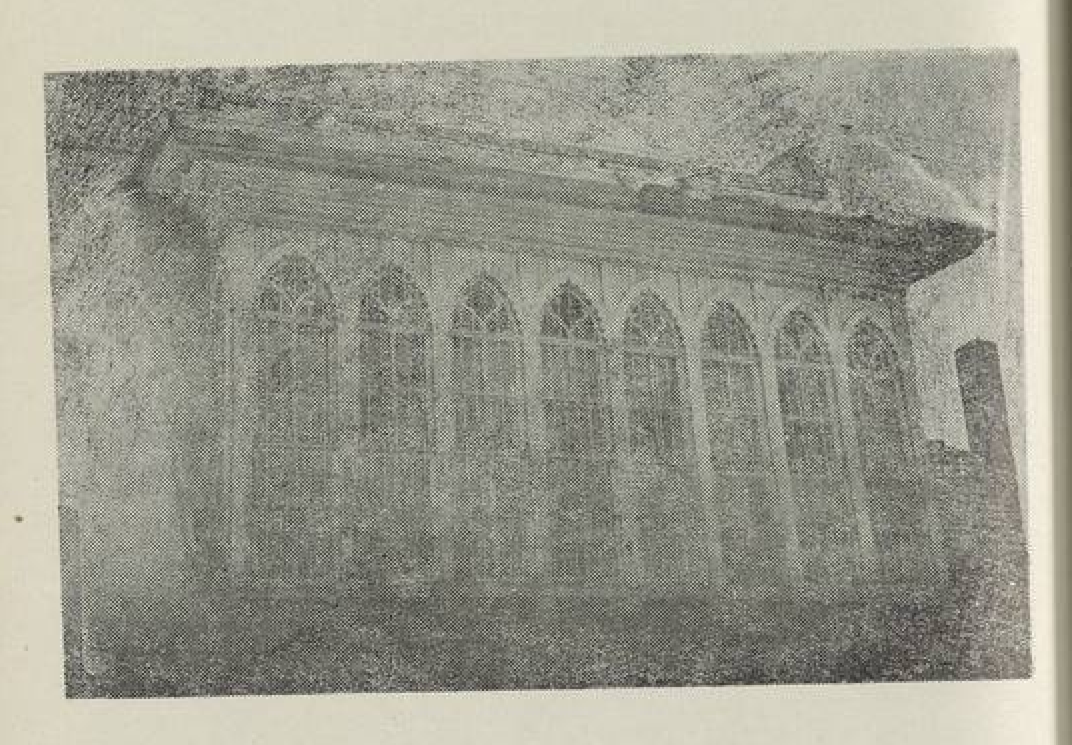
كما قرر عدم التخلي عنها حتى لو اضطره ذلك الى المحاربة في ازقتها وبين دورها • ومن أجل ذلك فقد اصدر عدة قرارات لتنظيم الدفاع عن المدينه وادارتها في حالة الحصار ومواجهة جميع الاحتمالات خلال تلك الازمة • وأول شيء قام به هو تقليل عدد سكان المدينة الى اقصى حد ممكن ليوفر الطعام لجيشه أطول مدة مستطاعة ، فأوعز بطرد الغرباء الذين ليسوا من أهل البلدة والاعراب الذين كانوا يدخلونها يومياً ، وابقى على أهل البلدة فقط الذين كانت لهم دور يسكنونها وقد قدر عددهم حوالي ستة آلاف نسمة وقتئذ • أما الذين طردهم فيبلغ عددهم حوالي ٧٠٠ او ٨٠٠ شخص[٦] • كما ارسل المرضى والجرحى من جيشه بطريق النهر الى البصرة ليتخلص من مشكلة اطعامهم وايوائهم •

وعين طونزند حاكماً عسكرياً للبلدة من ضباطه يتولى شؤونها ، واحتجز عشرين شخصاً من وجهاء البلدة احتفظ بهم كرهائن لديه ليستطيع بذلك السيطرة على الاهالي • واوعز بتاليف انضباط عسكري للمحافظة على النظام ، وبتأليف فرقة اطفاء لمكافحة الحريق الذين قد يحدث اثناء القصف • ثم وضع جميع العجلات (العربات) في رحبة خاصة لاستعمالها عند الحاجة ، واستخدم جميع الحوذية والاشخاص الذين لا عمل لهم من الاهالي لطحن الحبوب بالجواريش (المطاحن اليدوية الصغيرة) • ومن ناحية ثانية قام آمر هندسة الفرقة بفحص سقوف المنازل واعداد سقوف لا تؤثر فيها القنابل • ثم استخدم سكان البلدة في حفر الخنادق وانشاء طرق عسكرية • وتم اختيار بناية كبيرة لتتخذ كمستشفى للجرحى قرب السوق الكبيرة المسقوفة[٧] • وعندما ازداد عدد الجرحى استعمل السوق نفسها كمستشفى • وقد تم انشاء خطوط تلفونية تصل جميع أقسام خطوط الدفاع بمقر الفرقة فاقتضى الامر شق بعض مناطق البلدة لمرور هذه الخطوط تقريباً للمسافات •

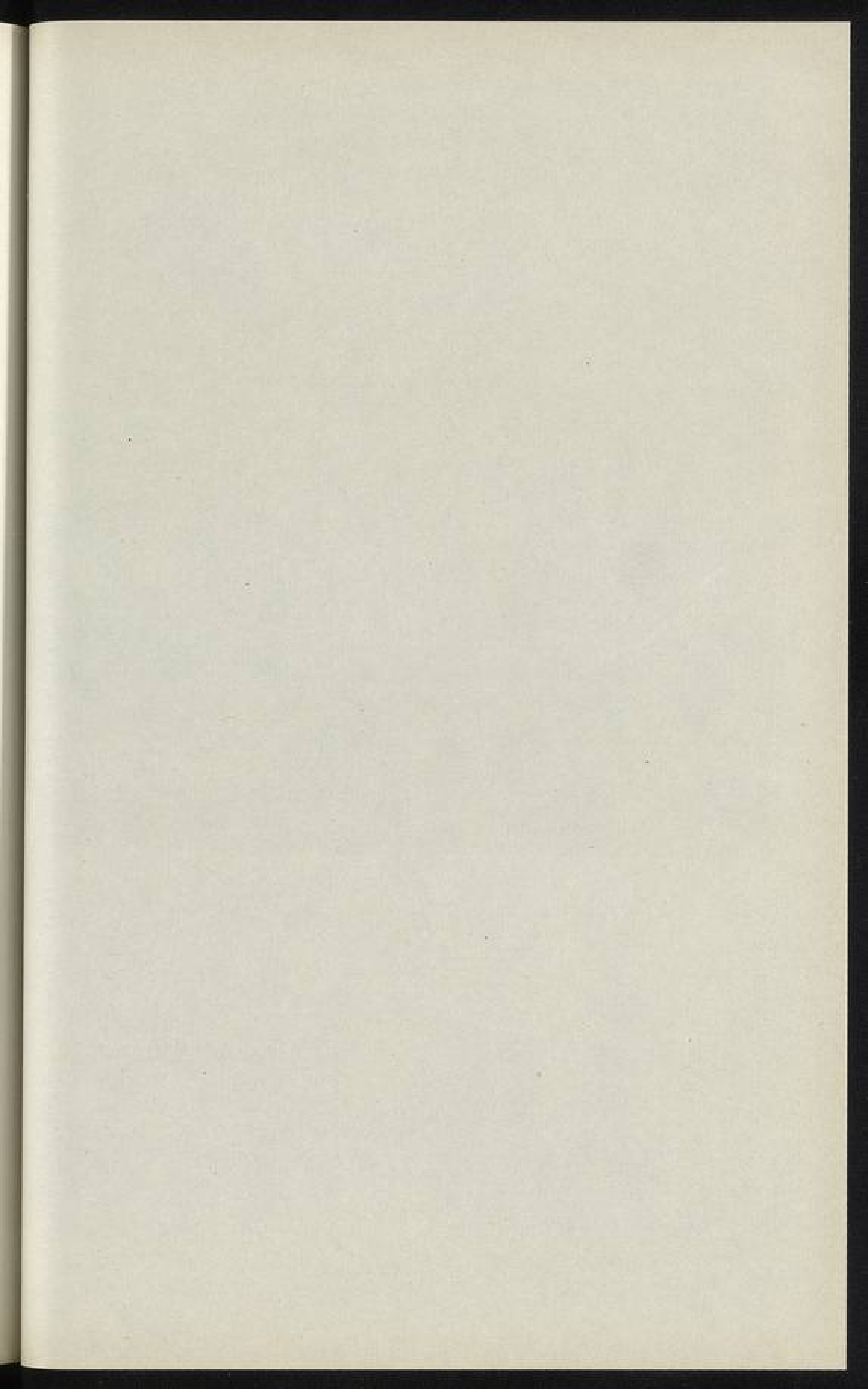
---

(٦) خواطر طونزند ـ ص٣٤٦

(٧) وهي السوق التي تعرف حاليا بسوق الباشا نسبة الى بانيها محمد باشا الداغستاني •



البيت الذي كان قد اتخذه الجنرال طونزند مقرا لقيادته



وفي اثناء ذلك كان الجيش التركي قد لحـــق بالجيش الانكليزي المتجمع في الكوت وأخذ بمحاصرته من الجهة الشـمالية المفتوحـة • أما الجهات الاخرى فهي محاطة بنهر دجلة الذي يشكل شبه جزيرة بانحنائه هـذا •

أما في الضفة الثانية من النهر فقد وضع طونزند فوجـين من الجيش لحماية مكبس الصوف ومذخر السوس والقرية المحيطة بهما • وامر بنقل جسر القوارب التركي القديم الى موضع مناسب جنوب البلدة ليكون ضمن منطقة الحصار وليس خارجاً عنها ، مع انشاء رأس جسر منيع على الضفـة اليمنى من النهر • وكان طونزند يتأسف في مذكراته على عدم استطاعته مد جسر فوق دجلة في القسم الشمالي من البلدة نظراً لوجود الاتراك هناك ، لانه لو تم له ذلك لاستطاع السيطرة على الضفة الاخرى أيضاً • ثم وضع حامية في قلعة الكوت الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية من البلدة وعززها ببعض المدافع •

وقد أمر طونزند بتفتيش البلدة بحثاً عن السلاح عند أهلها • كما أمر بضبط المواد الغذائية فيها ، ومن ذلك انه خول الحاكم العسكري السلطة لشراء جميع الحبوب في البلدة • وكان في الكوت من الطعام ما يكفي سكان البلدة لمدة ثلاثة اشهر • وكانت مشكلة الاعاشة وتوفير الارزاق احدى المشاكل الكبيرة التي عاناها الجيش الانكليزي المحصور في الكوت منذ الساعة الاولى التـي دخل فيها البلدة • وقد قدرت المواد الغذائية المتوفرة آنذاك كما يلي[٨] •

المواد المتوفرة	المدة التي تستهلك خلالها
ارزاق للجنود الانكليز	٦٠ يوماً
ارزاق للجنود الهنود	٦٠ يوماً
حبوب	٣٠ يوماً
دقيق	٥٧ يوماً
وقود	٢١ يوماً
علف للحيوانات	١٨ يوماً

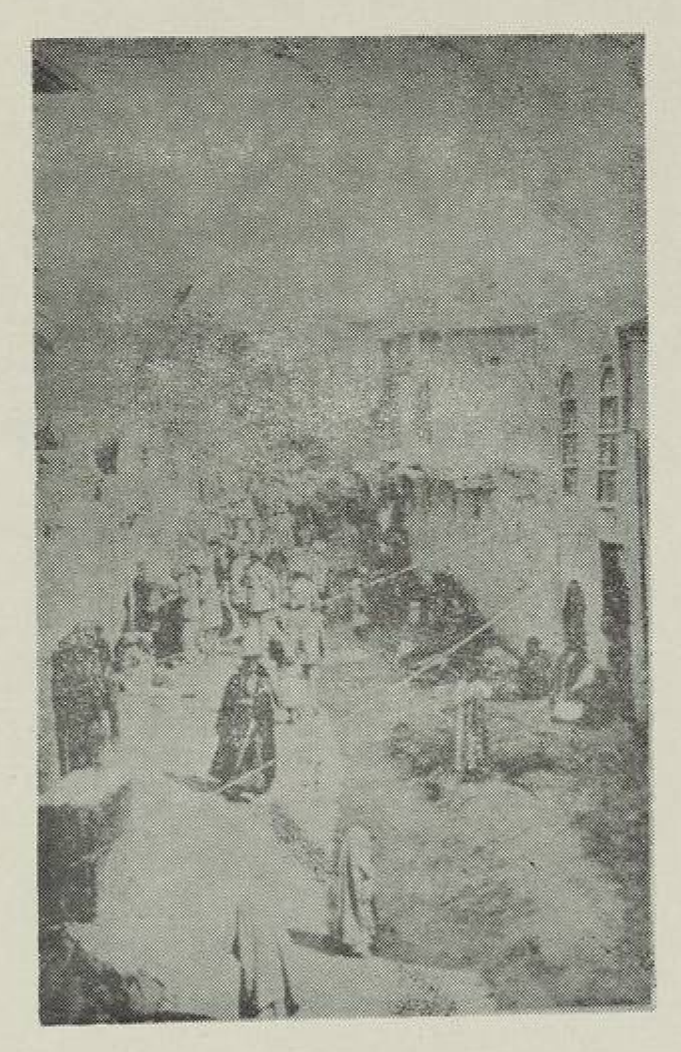
(٨) عن طونزند ـ ص٣٢٨

وفي الفترة التي كان فيها الجيش الانكليزي منهمكاً بالتهيؤ للحصار ، كان الجيش التركي يحفر الخنادق لافراده ويضع الاسلاك الشائكة لسد المنافذ بوجه الجيش الانكليزي المحصور في البلدة ومنعه من الخروج • وكانت المدفعية التركية الى جانب ذلك تقصف خطوط دفاع الانكليز واماكن تجمعاتهم في البلدة • ففي ٧ كانون الاول أطلق الاتراك نيران مدافعهم على (القلعة) فقتلوا ثلاثين جندياً وهدموا جانباً من سورها • وفي ١٠ كانون الاول هجموا هجمة شديدة على الجبهة الشمالية أرعبت الانكليز ، وفي اليوم التالي استأنفوا قصف المدافع على مواقع الانكليز فخسر هؤلاء من جراء ذلك ٢٠٢ من جنودهم بين قتيل وجريح • وتابعوا هجومهم في اليوم الذي يليه وهاجموا الجنود الانكليز الذين في مذخر السوس في الضفة اليمنى من النهر • وبلغت خسارة الانكليز في ١٣ كانون الاول ١٢٢ جندياً حتى ان طونزند قال في مذكراته ان القنابل التركية كانت تنصب على جيشه دون انقطاع طول النهار • وزاد عدد الجرحى في جيشه على الثمانمائة • كما ان عدد المتهربين من أفراد جيشه كان عظيماً لاسيما من الجنود الهنود الذين باتوا خائري العزيمة وكان هذا أعظم باعث على قلق طونزند خلال مدة حصاره •

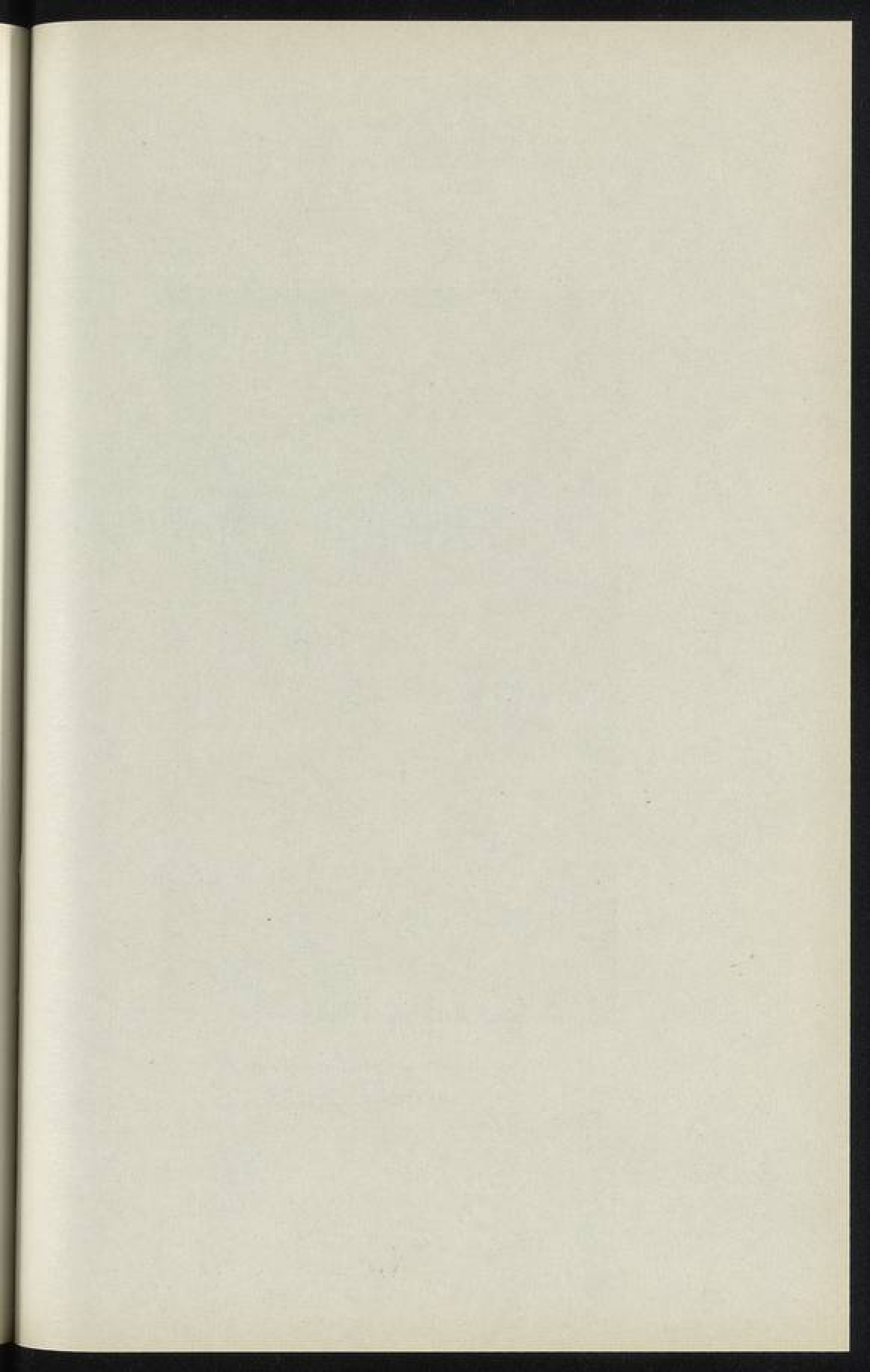
وقد كان طونزند قد قرر في بادىء الامر ان يطرد جميع سكان البلدة الى الصحراء ولكنه (كما يقول في مذكراته) تراجع عن هذه الفكرة بناء على نصيحة السير برسي كوكس الضابط السياسي في الجيش البريطاني الذي اوضح له ان طرد السكان من البلدة يؤدي الى هلاك النساء والاطفال في الصحراء من الجوع والبرد ويعرضهم الى اعتداءات البدو • ثم يمضي طونزند في مذكراته فيقول بانه قد تأسف كثيراً على تراجعه في هذه القضية (أي عدم اصراره على اخراج أهل البلدة) ، فهو لا يهتم بمقدار قلامة ظفر ـ حسب قوله ـ بمن يقتل او يموت في الصحراء من العرب !![٩] •

---

(٩) المصدر السابق ـ ص٣٤٦



طريق السوق في الكوت اثناء الحصار
ماخوذة عن SANDES



وكان الاتراك قد توسعوا في حفر خنادقهم حتى انها اصبحت على بعد خمسين ياردا من خنادق الانكليز وهذا مما أدى الى تدهور الحالة المعنوية عند هؤلاء ولذلك قام العميد (برون) آمر الحامية البريطانية في (القلعة) بالهجوم على الاتراك في ليلة ١٧ و ١٨ من كانون الاول وذلك لابعـادهم عن الخنادق القريبة من (القلعة) • ولم يبق ريب في ان الاتراك اتخذوا قلعة الكوت أهم هدف لتوجيه حملاتهم • فلم تنقطع مدافعهم عن صب حممها عليها ، وقد ثغرتها ثغرات كبيرة وهدمت بعض جدرانها فكان أفراد الحامية يسدون الثغرات بأكياس الرمل • وقد شبه طونزند هذه القلعة بقلعة فردون الفرنسية التي لم تصبح قوية الا بعد ان طفقت قنابل العدو تهدمها!![١٠] • ومن ذلك ما حدث في يوم ٢٤ كانون الاول حيث صبت المدافع التركية نارا شديدة على (القلعة) في عدة مواضع مما أجبر الحامية ازاء ذلـك على الانسحاب من خط الدفاع الاول ، واحتل الاتراك القلعة ولكن الجيش الانكليزي لم يلبث ان استرجعها منهم وانسحبوا تاركين مائة قتيل في البرج الشمالي الشرقي منها ، وتم تعزيز الحامية بفوج آخر • وفي الصباح شاهد الانكليز نحو مائتي جثة من جثث القتلى الاتراك خارج ذلك الموقع •

اما في البلدة نفسها فكان البيت الذي يسكنه طونزند هو الآخر هدفاً مهماً لقصف المدفعية التركية • ففي اليوم ذاته (٢٤ كانون الاول) اصابت قنبلة بيت طونزند الذي كان قد اتخذه مقراً للفرقة ، فقتل من جراء ذلك النقيب (بغ) وهو من ضباط المدفعية وجرح العقيد (كرتني) وهو من ضباط مدفعية القلاع ووكيل آمر المدفعية ، وقتل كذلك ضابط ركنه النقيب (غارنت) وقد مات كلاهما متأثرين من جروحهما •

وفي صبيحة عيد الميلاد حمل الاتراك على الانكليز حملة قوية وقاتلوهم قتال المستميت وتمكنوا من دخول البرج الشـمالي الشرقي من الثغرات

---

(١٠) المصدر السابق ـ ص٣٤٨

الموجودة فيه ، ولكنهم ارغموا على الانسحاب الى خنادقهم بعد ان تكبدوا خسارة فادحة • وكانت حملتهم هذه تقدر بتسعة افواج • أما خسارة الانكليز فكانت ٣٨٢ من أفراد جيشهم •

وفي أثناء ذلك وصلت الحالة المعنوية في الجيش الانكليزي الى اسوء ما يكون فقد كثر فرار الجنود لاسيما المسلمين منهم الذين كانوا يلتحقون بالجيش التركي سراً تستميلهم اليهم رابطة الدين ، فاذا شعرت السلطات الانكليزية بهم اطلقت عليهم النار في أثناء فرارهم أو عند القاء القبض عليهم • ورغم هذه الاجراءات المشددة فقد كان فرار أفراد الجيش البريطاني مستمراً خلال فترة الحصار • وقد ازداد في الفترة الاخيرة باعتراف طونزند نفسه •

ومما زاد الحالة سوءاً ظهور منشورات تحرض على التمرد في صفوف الجيش البريطاني وكانت تكتب باللغة الهندية لتذكير الجنود الهنود بأنهم يقاتلون جيشاً مسلماً مثلهم ، وتحث على عصيان الضباط الانكليز وقتلهم • وقد عثر طونزند على مثل هذه الاوراق وكانت موضوعة على الاسلاك الشائكة بين الخنادق • وقد لاحظ طونزند ان جنود أحد الافواج الهندية كانوا يشوهون ابدانهم للتملص من الاشتراك في القتال وذلك بان يطلقوا نار بنادقهم على أصابع السبابة من أياديهم فيقطعوها ليكون ذلك عذراً في عدم لياقتهم للقتال ، متظاهرين بأنهم قد أصيبوا بذلك خلال المعارك[١١] • ثم ظهرت عدة حوادث للتمرد في صفوف الجنود الهنود فمن ذلك ان جندياً هندياً كان يقوم بواجبات الخفارة اطلق النار على أحد الضباط الانكليز ولاذ بالفرار ولكنه سرعان ما قبض عليه فحوكم وأعدم •

وكان الاتراك لا يكفون عن قصف البلدة بنيران مدافعهم ، ففي اليوم الثاني من كانون الثاني ١٩١٦ قصفوا بلدة الكوت بنيران ثمانية عشر

---

(١١) المصدر السابق ـ ص٣٥٧

مدفعاً من المدافع الثقيلة والمدافع السريعة ، وقد اتخذوا مئذنة الجامع الكبير في البلدة (هدف المدى) الذي يسددون نحوه اتجاه نيرانهم .

وطوال هذه المدة كانت القيادة العامة للجيش البريطاني تحاول فك الحصار عن جيشها في الكوت ، وقد وضعت من أجل ذلك خطة لينفذها الفريق ايلمر الذي كان يقود قوة من فرقتين ولواء خيالة ، على ان تتحرك هذه القوة من (علي الغربي) وتصل الكوت في الرابع من كانون الثاني أو بعد ذلك بأيام قليلة . وقد شعر الاتراك بهذه الحركة فأخذوا يتهيأون لعرقلة جيش ايلمر ومنعه من الوصول الى الكوت ، وانسحبت على أثر ذلك قوات تركية كبيرة . كما أخذ المهندسون الاتراك بتقوية خطوط الحصار حول الكوت وكانوا يجدّون في حفر الخنادق على الضفة اليمنى قبالة البلدة وانضمت الى قواتهم نجدات أخرى .

وسار ايلمر بجيشه نحو الكوت في حركة التفافية على ضفة النهر اليمنى غير ان الجيش التركي اضطره الى الاشتباك معه في معركتين كانت الخسارة فيهما كبيرة بالنسبة للطرفين ، توقف على أثرهما جيش ايلمر ولم يستطع التقدم للنقص الذي مني به جيشه فبقي ينتظر نجدات أخرى من القيادة البريطانية ليستطيع بعد ذلك ان يعيد الكرة في الزحف على الكوت .

وكان الجيش البريطاني المحصور ينتظر اقتراب جيش ايلمر بفارغ الصبر ، في الوقت الذي كان يعاني فيه أزمة اقتصادية شديدة لنقص الكميات المخزونة من ارزاقه . وقد دوّن طوتزند في مذكراته العبارة التالية التي تدل على متاعبه التي لا نهاية لها وهي « في ٨ كانون الثاني علمت انه قد سرق منا ألف كيس طحين فعزوت هذه السرقة الى الجنود ... ولا اعتقد على الاطلاق بأن هذه هي السرقة الاولى التي وقعت في اثناء حصار الكوت . وظهر ان السرقة كانت متواصلة مع شدة الحيطة التي اتخذناها لمنع ذلك . وكان الفرق عظيماً بين الكميات التي كنا نعتقد بوجودها عندنا من مواد الاعاشة وبين المقدار الحقيقي الذي كان موجوداً عندنا منها »[١٢] .

---

(١٢) المصدر السابق ـ ص٣٦٦

ومن يطلع على مذكرات طونزند يجد كم كان متذمراً من جنوده .
وكانت سرقة الارزاق أحد أسباب تذمره الشديد . وكانت مواد الاعاشة
في ٢١ كانون الثاني قد نقصت نقصاً كبيراً بحيث لا تكفي أكثر من أربعة
عشر يوماً . ولهذا قرر طونزند اعطاء جنوده نصف استحقاقهم من الارزاق
اليومية . كما لجأ الى مصادرة جميع المواد الغذائية الموجودة في البلدة ،
وقد عثر على كميات كبيرة من الحبوب في منازل الاهالي التي صار يفتشها
جنوده بيتاً بيتاً . وقد وضع مكافأة للذين كانوا ينبئونه عن مخابيء الحبوب
والمواد الغذائية في البلدة والتي كان بعض الاهالي يدخرونها في بعض
الاماكن .

وقد اقتضت السياسة التركية والانكليزية ان تجري بعض التغييرات
في كل من القيادتين التركية والبريطانية في الجبهة العراقية ، وبذلك فقد
اصبح خليل باشا قائداً عاماً للقوات التركية في العراق بدلاً من نورالدين
باشا . كما ان السير جون نكسون قائد القوات البريطانية في العراق اعتزل
الخدمة لاسباب صحية (او ربما أقيل لفشله في احتلال بغداد ولزج الجيش
البريطاني في مشكلة حصار الكوت) وعين بدله السير برسي لايك ليأخذ
على عاتقه مهمة فك الحصار عن جيش طونزند .

وظهرت مشكلة أخرى بوجه الجيش المحصور في الكوت وهي مشكلة
الطقس والفيضان ، فمناخ الكوت في هذا الفصل من السنة بارد كثير الامطار
وشديد الرياح ، وكان الجيش البريطاني يعيش في الخنادق خارج البلدة
في المنطقة المحصورة بين انحنائي النهر (وتدعى حالياً منطقة ١٤ تموز)
فكانت مياه الامطار تغمر هذه الخنادق وهي شديدة البرودة تكاد تتجمد لها
أجساد الجنود . ولم ينته ذلك عند هذا الحد بل ازداد فيضان دجلة حتى
طغى على المنطقة كلها وغمر الخنادق تماماً حتى كادت المياه تجرف أفراد الجيش ،
وقد تشكلت من ذلك بحيرات كبيرة وارغمت الجنود على الخروج من
الخنادق والبقاء وقوفاً في الماء ، وتخلى الجيش البريطاني عن خط دفاعه
الاول . وكانت المياه قد عزلت القلعة عن باقي خطوط الدفاع حتى ان طونزند

فكر في التخلي عنها نهائياً ولكنه عدل عن ذلك وعـزم على الثبات فيهـا لتكون قاعدة له عند خروجه شرقاً اذا ارغم على ذلك •

وازداد عدد المرضى في الجيش البريطاني بسبب من هذه الظروف الجوية القاسية كما ازداد عـــدد المتمارضين كما يقول طونزند وازدحم مستشفاه بهم ، وكان ذلك من دواعي القلق والهمّ عنده وعند أركان حربه •

وكان القصف بالمدفعية مستمرا على الجيش المحصور وعلى البـلدة معاً ، والى جانب ذلك ظهرت الطائرات الالمانية في جو البلدة (وكانت المانية حليفة للدولة العثمانية آنذاك) ، فأخذت تقوم بغارات جوية ابتداءً من تاريخ ١٣ شباط • وقد سقطت احدى قنابلها في احد الايام على المستشفى فخرقت سقفه وقتلت ستة مرضى وجرحت ٢٦ مريضاً من أفراد الجيش ، مات منهم ١٤ مريضاً بعدئذ ، وبلغت خسائر ذلك اليوم حوالي ٥٢ شخصاً •• وتفاقم الذعر والرعب بين الناس من جراء هذه الغارات •

وفي ٢١ شباط فرّ عدد من الجنود الهنود المسلمين الى صفوف الاتراك وكان الحصار قد أخذ يثبط عزيمة الجنود المحصورين ويؤدي بهم الـى الانهيار العصبي • وفي اليوم ذاته أطلق جندي النار على ضابط في الجيش البريطاني فارداه قتيلاً • فحوكم الجندي وحكم عليه بالاعدام ثم نفذ فيه الحكم في القلعة عند غروب الشمس •

ونظراً للفشل الذي مني به ايلمر في فك الحصـــار عن القوات البريطانية فقد عزلته وزارة الحربية البريطانية وعينت بدله الفريق الثاني غورنج الذي أخذ على عاتقه مهمة فك الحصار وذلك بوضع خطة محكمة وتهيئة قواته لهذه المهمة • ثم قام في الخامس من نيسان بالهجوم على مواقع الاتراك وهو يسير بقواته على جانبي النهر باتجاه الحكومة •

ومع مرور الوقت كانت الازمة الاقتصادية تشتد وتتجسم أمام طونزند واركان حربه وقد أخذت بتلابيبهم لتقودهم الى كارثة مجاعة وخيمة • وقـد اضطر طونزند الى اعـادة تفتيش المنازل بحثاً عن المـواد الغـذائية •

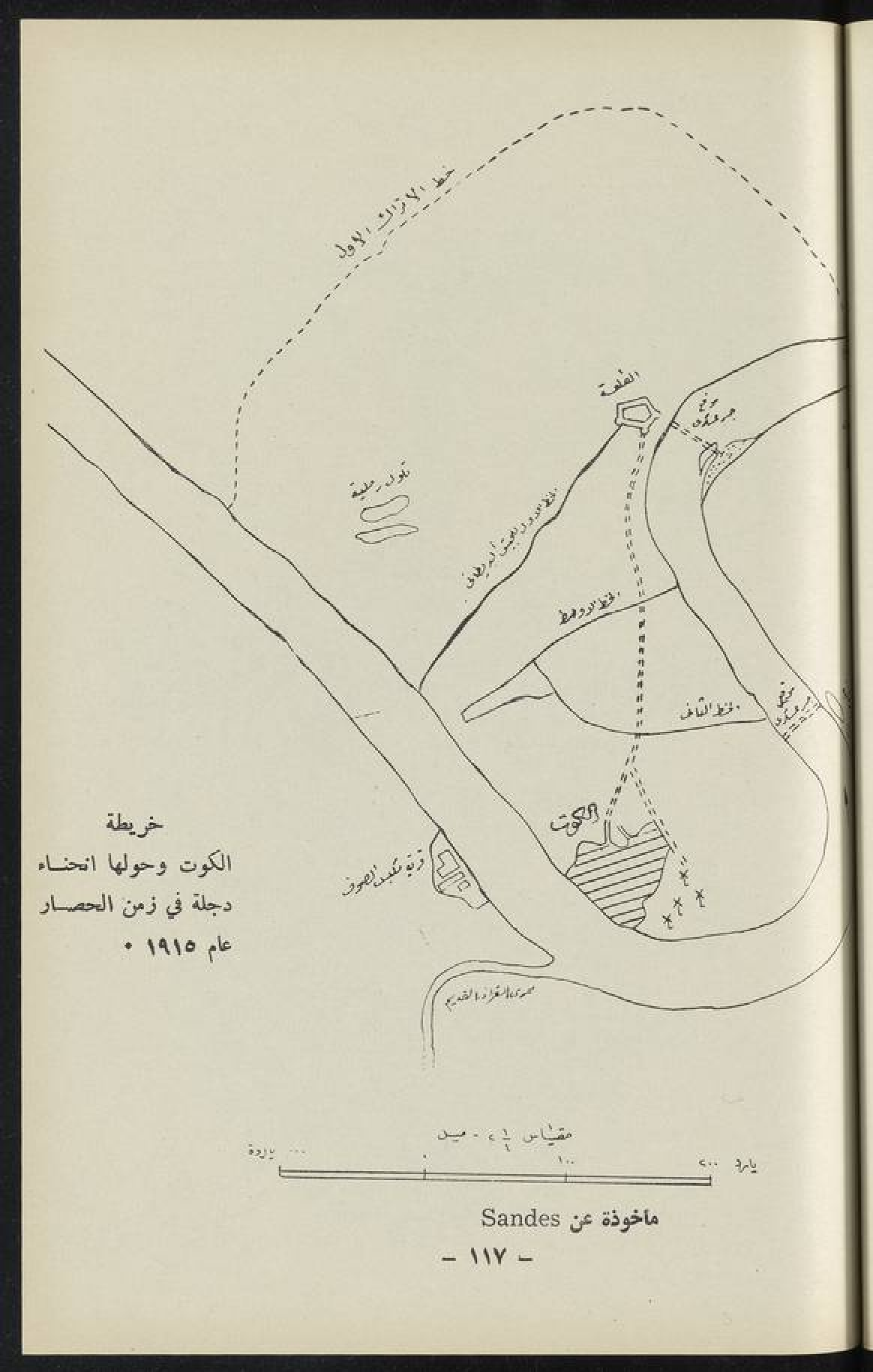
ووضع عقوبات صارمة جداً على الذين يخفون الاطعمـــة • ثم اضطر في الاخير الى ذبح الخيل والبغال الفائضة عن الحاجة لديه لاستعمال لحومها كطعام لجنوده • كما ان أمراض سوء التغذية وامراضاً أخرى لاسيما الزحار قد انتشرت بين جنوده وضباطه حتى ان احد ضباطه الكبار وهو أمير اللواء هوتن توفي لاصابته بمرض الزحار (كما جاء في التقرير) • وقد أصبح لا مفر لطونزند من ان يخفض الارزاق اليومية لجنوده مرة أخرى فجعل حصة الفرد الواحد من أفراد جيشه خمسة اونسات فقط من دقيق الشعير • وقد عمل حسابه على ان الارزاق هذه ستمكنه من الثبات في حصاره الى ٢١ نيسان • غير ان مشكلة أخرى جابهته وهي امتناع قسم كبير من جنوده عن أكل لحم الخيل ولذلك لجأ الى الاتصال بالرؤساء الروحانيين للطوائف التي تنتمي اليها فرقته ، عن طريق وزارة الحربية البريطـــانية ، ليحللوا لجنوده أكل هذه اللحوم • وفي ١٢ نيسان اصدر بياناً انذر فيه جميع الضباط وضباط الصف الذين يمتنعون عن أكل لحوم الخيل بالعزل ليعين بدلهم اولئك الذين يأكلون هذه اللحوم[١٣] •

أما أهل البلدة فكان طعامهم اثناء الحصار من الحبوب المخزونة ، وقد ترك لهم طونزند مقدار ثمانية اونسات ونصف من دقيق الشعير الوسخ للفرد الواحد كل يوم وقد اقتات بعضهم من المعـــدمين بالحشائش البرية كالخباز ، واكلوا بعدئذ لحم الخيل والحمير أيضاً • وفي ١٤ نيسان نفدت الحبوب المتبقية في المخازن فوجد الحاكم العسكري ان حمير البلدة تكفي لاطعامهم لمدة ثمانية أيام أخرى[١٤] •

وقد صرح مدير الامور الطبية في جيش طونزند ان الجنود اخذوا يموتون من قلة الطعام ، ومن الهم واليأس أيضاً ، واذا لم تصل سفن الطعام في وقت قريب مات خمسون بالمائة منهم او اصابتهم العلل • وقد حـــاول

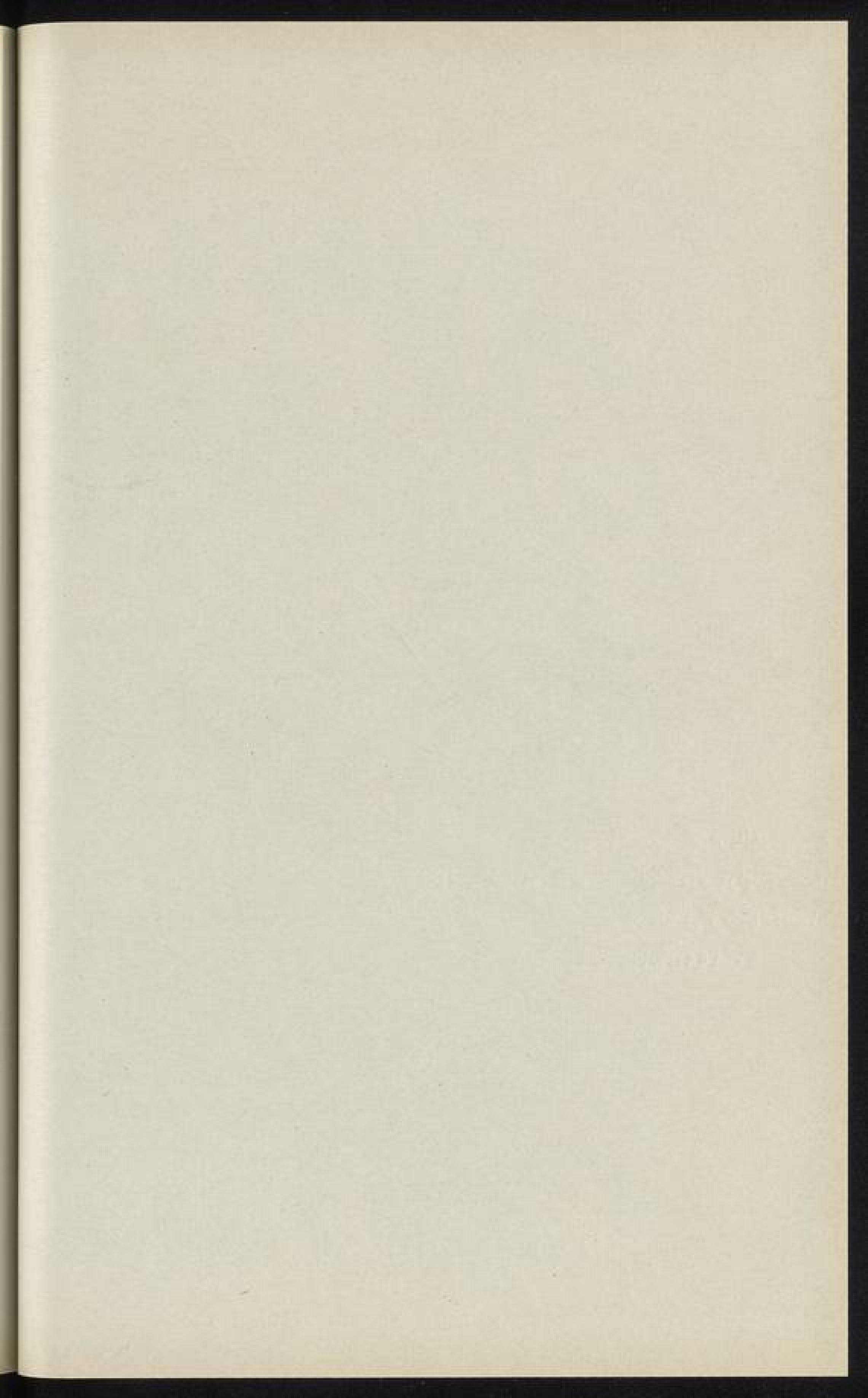
---

(١٣) خواطر طونزند ــ ص٤٨٣
(١٤) المصدر نفسه ــ ص٤٨٦



خريطة
الكوت وحولها انحناء
دجلة في زمن الحصار
عام ١٩١٥ .

ماخوذة عن Sandes



طونزند الاستنجاد بالطيارات لنقل الطعام الى جيشه المحصور ولكن الطيارات فشلت في مهمتها هذه لرداءة الطقس ولان الكميات من الاطعمه المرسلة بالطيارات كانت قليلة وكان قسم كبير منها يسقط في النهر بعد انزاله جوا فلا يستفاد منه •

وقد ارتفعت اسعار المواد الغذائية والمواد الاخرى بين أفراد الجيش المحصور وسكان البلدة ارتفاعاً فاحشاً • ويذكر طونزند في مذكراته انه اقيمت في أحد الايام مزايدة علنية لبيع امتعة ضابط كان قد توفي ، فبيعت علبة سكاير واحدة بمائة روبية ، وبلغ ثمن صفيحة نفط اعتيادية ثلاثين روبية •

لقد بلغ اليأس ذروته عند الجنرال طونزند واركان حربه ، حتى انه اخذ يفكر جدياً بالمفاوضة مع الاتراك لتسليم الكوت • ثم ظهرت لديه فكرة الخروج بقسم من قواته بباخرة يعبر بها نهر دجلة اسفل البلدة لينقذ بذلك الجنود الانكليز والفنيين والمهندسين من ضباطه ، ويترك الجنود الهنود والمرضى في الكوت • وقد عرض هذه الفكرة على قائد الحملة البريطانية فأوصاه هذا بالتكتم في الامر لان اطلاع الجنود الهنود على هذه الفكرة يؤثر فيهم تأثيراً سيئاً كما قال هذا الجنرال في مذكراته •

وفي يوم ٢٢ نيسان حدثت المعجزة التي كانت ينتظرها جيش طونزند بفارغ الصبر فقد سمعت أصوات قصف شديد للمدفعية الانكليزية في جنوب البلدة ، اذ أصبح الجيش البريطاني القادم لفك الحصار عن طونزند قاب قوسين أو أدنى من الكوت ، وأعلنت البشائر في البلدة التي ضاق أهلها والجيش المحصور فيها ذرعاً بهذا الحصار وبلغت القلوب الحناجر لما كابدوه من مشاق ومحن ، وخرج الناس الى مشارف البلدة وسطوح المنازل ينتظرون وصول الجيش المنقذ • واستمر قصف المدفعية الى ما قبل الظهر من ذلك اليوم ثم توقف ولم يعد أحد يسمع أصوات المدافع ، الامر الذي ازعج قادة الجيش المحصور وصاروا ينتظرون خبراً عن وصول جيش غورنج • ولم تلبث ان وصلت برقية اليهم من المقر البريطاني العام جاء فيها « يسوءني

جداً ان انبئكم بأن الترك صدوا الهجوم الذي قمنا به في صباح اليوم على موقع الصناعيات » • وعند ذلك بات طونزند قانطاً من جدوى استمرار الحصار وصار جنوده على حالة يرثى لها من الضعف والهزال ، حتى ان الخفراء كان يغمى عليهم اثناء قيامهم بواجبات الحراسة • وأصبح معدل الوفيات بينهم خمسة عشر شخصاً كل يوم ثم ازداد العدد بعدئذ فأصبح عشرين شخصاً كل يوم من جيشه يموتون جوعاً • كما ان طونزند نفسه أصيب بالملاريا فلم يستطع القيام باعباء مهامه • وعند ذلك اضطر الى ارسال برقية الى المقر العام يعرض فيها فكرة المفاوضة مع الاتراك والتسليم لهم •

حقاً لقد كان ثبات طونزند في الكوت ودفاعه الطويل المدى يدعوان الى الاعجاب فهو قد ابدى من الحنكة والبطولة ما جعل حصاره هذا في عداد الحصارات الحربية الشهيرة في العالم ، وهو لم يستسلم لعدو يفوقه في العدة والعدد ، ولم يفشل عسكرياً أمام اعدائه ، وانما استسلم أمام الجوع وركع أمام سوء التغذية والامراض ووفيات جنوده • وكان في اثناء حصار يصرح بانه يريد ان يجعل حصار الكوت شبيهاً بحصار بلاونه وهو الحصار الشهير في التاريخ العسكري الذي وقف فيه الجيش العثماني بوجه الجيش الروسي في بلدة بلاونه(١٥) •وقد ذكر ذلك في عدة مواضع من مذكراته

---

(١٥) حصار بلاونه (بلافنا) : عندما نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا عام ١٨٧٧ دخلت قوة عثمانية يبلغ عددها ١٢ الفا الى بلدة بلافنا البلغارية لحمايتها • وعند ذلك زحف اليها الجيش الروسي لينتزعها من ايدي العثمانيين الذين تحصنوا فيها وانشؤا حولها الاستحكامات • وهجم الروس على البلدة من جهتها الشمالية فاندحر العثمانيون امامهم ، ثم لم يلبثوا ان رجعوا بهجوم صاعق على الروس فقتلوا كبار قادتهم وارغموهم على الفرار ، واخذ عثمان باشا القائد التركي يحصن مواقعه وينظم خطوط دفاعه فقد كان يتوقع هجوما معاكسا عن قريب • وقد اضطرب الروس لهذه الخسارة ، فدعا القيصر القادة العسكريين الى اجتماع حربي اتفق فيه المجتمعون على اعادة الهجوم على بلافنا ثانية • وقام الجيش الروسي فورا بزحف كبير على هذه البلدة وبدأ بقصفها بالمدافع ثم هجم افراده واخترقوا خطوط العثمانيين الامامية ، ولكن ذلك كلفهم غاليا ومع

فقال في الصفحة العاشرة منها « انني وقفت في الكوت وقفة عثمان باشا في بلاونة » وقال في موضع آخر « أفضل منهج اسير عليه واسماه هو المنهج الذي سار عليه عثمان باشا في حصار بلاونه » • وفي الحقيقة كان هناك تشابه بين حصار الكوت وحصار بلاونة • كما كان هناك تشابه بين طونزند في حصار الكوت وبين عثمان باشا[١٦] في حصار بلاونة من حيث الصمود أمام العدو المتفوق عدة وعدداً ، والشجاعة والصبر في تحمل الشدائد عند

هذا استمروا بالهجوم غير مبالين بالضحايا التي كانت تتساقط من جيشهم • وعند ذلك هاجمهم العثمانيون برؤوس الحراب فدحروهم بصورة قطيعة • ولما سمع امبراطور روسيا بذلك عقد مجلسا حربيا حضره كبار قادته وقرروا فيه اعادة الهجوم على بلافنا للمرة الثالثة بسبعين الف مقاتل ، كما قرر القيصر حضور المعركة بنفسه • اما عثمان باشا فقد تلقى بعض النجدات فعزز بها جيشه ومضى يحصن خطوط دفاعه • ثم اخذت المدفعية الروسية تقصف بلافنا تمهيدا لاحتلالها • وهجم الجيش الروسي من ثلاث جهات ، واستمرت المعركة يومين انتهت باندحار الروس وتمزق جيشهم • وكان القيصر يراقب المعركة فبكى بمرارة ، ثم قرر مع كبار قواده عدم استئناف الهجوم على بلافنا والاكتفاء بمحاصرتها والاستيلاء على طرق تموينها مع قصفها يوميا • وقد صمد عثمان باشا بشجاعة رغم حلول الشتاء ، ولكن نفد الطعام والوقود عنده حتى اضطر جنوده الى تحطيم اخامص بنادقهم لاشعالها للتدفئة • وقرر عثمان باشا الخروج من بلافنا بالقوة ، فاخترق خطوط الروس والتحم معهم بمعركة هائلة جرح فيها وتشتت شمل جيشه • وقد لقي عند استسلامه كل تقدير واحترام من امبراطور روسيا وقواده ، وعاملوه معاملة كريمة ، وكان العالم اجمع قد اعجب بثباته وشجاعته في هذا الحصار • (راجع : عصر السلطان عبدالحميد واثره في الاقطار العربية ـ ج١٢ ص٣٦٢) •

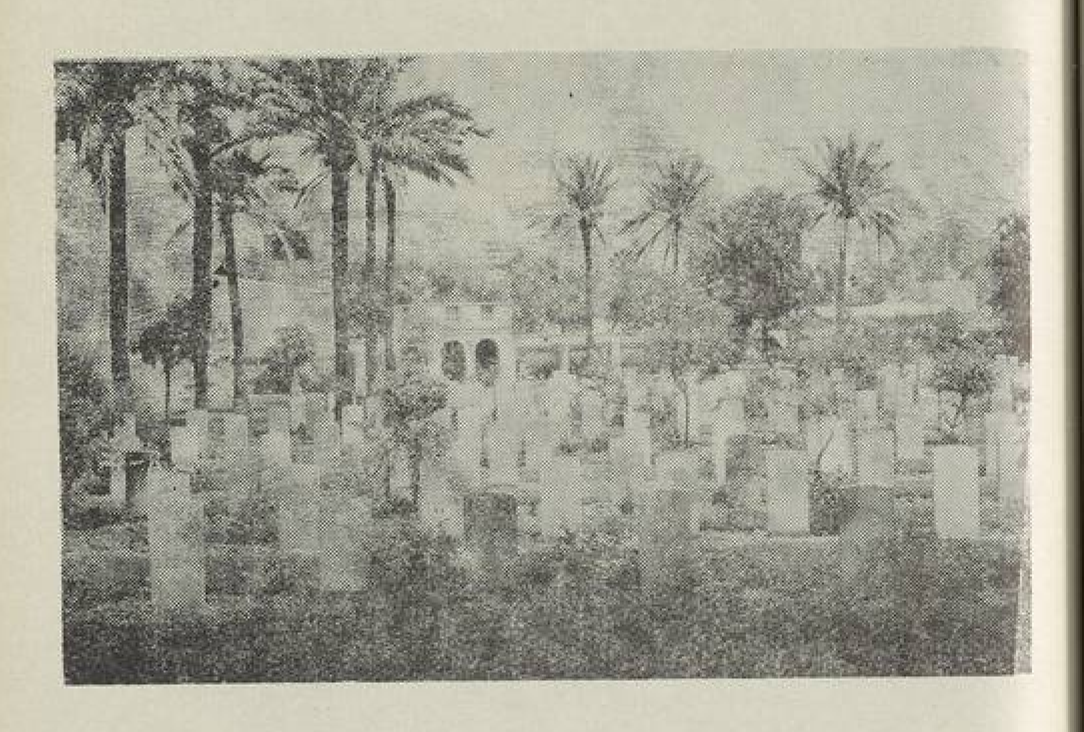
(١٦) المشير عثمان نوري باشا : بطل بلاونه (بلافنا) واحد قواد العالم المشهورين وقد أثار اهتمام الرأي العام العالمي في حصاره المشهور • ولد في مدينة توقات من اعمال الاناضول عام ١٨٣٢ وتلقى علومه العسكرية في المدرسة الحربية في استانبول واشترك في عدة معارك حربية وبرز اسمه في الحملة الموجهة الى لبنان سنة ١٨٦٠ • ثم عين سنة ١٨٧٦ قائدا لجيش (ويدين) في حرب الصرب • واظهر بطولة نادرة في حصار بلافنا ، ولقب بالغازي تكريما له • وبعد رجوعه من الاسر عينه السلطان عبدالحميد مشيرا للمابين وقائدا للحرس الشاهاني • وقد قربه اليه وكان يجلس امامه في المركبة الملكية اثناء المراسم • وفي سنة ١٨٧٨ عين وزيرا للحربية وبقي في هذا المنصب الى سنة ١٨٨٥ • وقد توفي في استانبول في نيسان ١٩٠٠ •

كل منهما ، والحياة السياسية التي اعقبت أعمالهما الحربية ، وكذلك التقدير والاحترام الذي لقيه كل منهما لدى العدو الذي استسلم له • وقد كانت البطولة التي ابدياها اثناء الحصار مثار اعجاب العالم آنذاك • كما كانت ظروف الحصار متشابهة أيضاً : فالكوت بلدة صغيرة كبلدة بلافنا وذات موقع عسكري مهم مثلها وقد خضعت كل منهما للحصار لمدة خمسة اشهر تقريباً ، وكان عدد الجيش المحصور متساوياً في الحالتين على وجه التقريب وهو يواجه جيشاً ضخماً كان عاجزاً عن فتح البلدة المحصورة عسكريا ، بل كان سبب الاستسلام نقص المواد الغذائية وقسوة الشتاء •

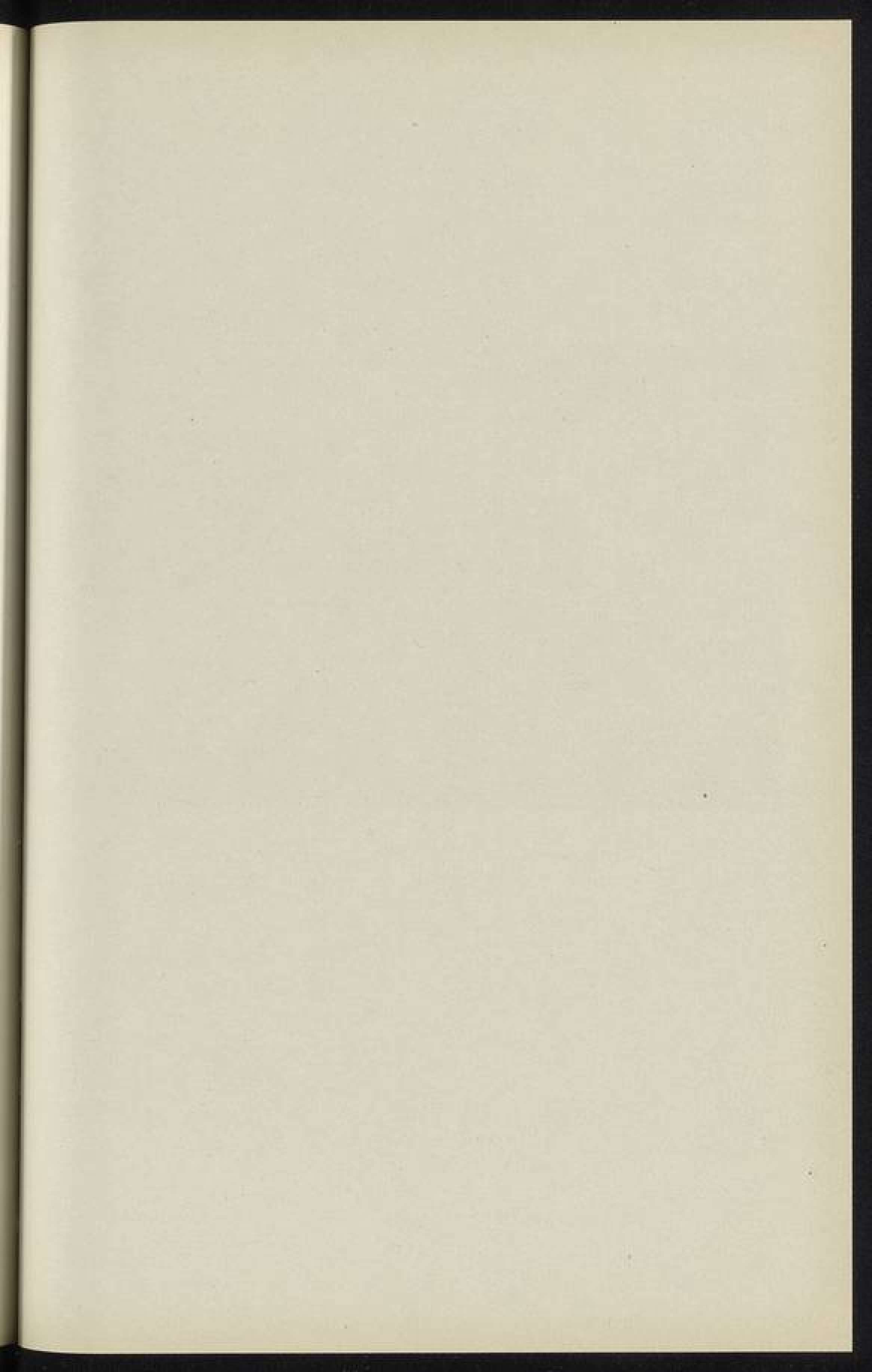
ولا ينكر ان طونزند اتبع كثيراً من خطوات عثمان باشا وقلده فيها تقليداً كبيراً غير ان نهاية كم من هذين الحصارين تختلف عن الاخرى ، فان طونزند أهمل فكرة الخروج بالقوة من حصاره ولجأ الى مفاوضة الاتراك بتخويل من القيادة العامة للجيش البريطاني بينما انتهى حصار بلافنا بمحاولة لفك الحصار بالقوة ، الشيء الذى كان من المحتمل ان ينجح به طونزند لو حاول ذلك لا سيما وان جيشاً بريطانياً ثانيا كان قريباً منه يحاول مساعدته في فك الحصار عنه •

وعندما اجتمع طونزند بالقائد التركي خليل باشا لاول مرة في ٢٦ نيسان للمفاوضة امتدح هذا دفاعه واثنى عليه ، ولكنه طلب منه التسليم دون قيد او شرط • وفي اثناء المفاوضة بينهما عرض على طونزند ان يطلق سراحه مقابل عدم اتلاف المدافع والذخيرة الموجودة لديه فرفض طونزند ذلك •

وفي يوم ٢٩ نيسان ١٩١٦ (وهو يوم الاستسلام) نسف طونزند جميع مدافعه واسلحته واتلف العتاد والذخائر الحربية ومعدات التلغراف واللاسلكي والتجهيزات الاخرى • وفي اللحظة الاخيرة أمر برمي ترباسات بندقيات جنوده في النهر • وجاء خليل باشا لمقابلة طونزند ، فقدم اليه هذا سيفه ومسدسه فرفض القائد التركي اخذهما وقال له : « ليبقيا معك لانك



مقبرة الانكليز في الكوت



تستحق حملهما »[١٧] •

وقبل كل شيء وقبل ان يسمح الاتراك بدخول المواد الغذائية الى الكوت خرج الجيش البريطاني مستسلماً فأقتيد الى المعسكر التركي وكان عدد أفراده يبلغ ٢٩٧٠ بريطانياً و ٦٠٠٠ هندياً[١٨] سيقوا بعد ذلك الى معقلهم في اسكيشهر في بلاد الاناضول • ثم دخل فوج تركي الى بلدة الكوت فاحتلها وتولى حراستها • أما طونزند فقد خصص له زورق بخاري مع مرافق تركي يرافقه في سفره الى بغداد ومنها الى استانبول ليقيم فيها ، ثم ليلعب دوراً مهماً بعدئذ لانهاء الحرب العالمية الناشبة آنذاك[١٩] •

هكذا انتهى حصار الكوت الذي استمر ما يقارب الخمسة اشهر (١٤٣ يوماً) وهو الحصار الذي قال عنه طونزند انه كان أطول حصار في التاريخ العسكري البريطاني منذ حروب وليم الهولندي ومارلبرو •

وعندما دخل الاتراك بلدة الكوت جرت احتفالات في البلاد العثمانية بهذه المناسبة، وكانت الكوت في غاية التخريب،وكانت طرقها مملوءة بالاوحال ومسدودة بالاستحكامات والحواجز التي أقيمت في اثناء الحرب ، وقد

---

(١٧) خواطر طونزند ـ ص٤٩٦

(١٨) هذا كما جاء في مذكرات طونزند نفسه • اما في المراجع التاريخية المختلفة فقد جاء ان عدد الاسرى من الجيش البريطاني بلغ ١٣٫٠٠٠ شخص على الاقل •

(١٩) اقام طونزند في معقله في جزيرة (هكبه‌لي) القريبة من استانبول في منزل خاص به وقد لقي كل تكريم من السلطات التركية • ثم هيأت الظروف السيئة التي وصلت اليها تركية من جراء الحرب وتدخل الضباط الالمان في شؤونها الداخلية الفرصة له بالتدخل لعقد الصلح بين بريطانية وتركية ، فقد رأت الحكومة العثمانية ضرورة الاستفادة من وجود طونزند في استانبول لمفاوضة انكلترا بصورة سرية وعقد هدنة بينهما ، واشترط طونزند مقابل ذلك ان يطلقوا سراحه وسراح الاسرى البريطانيين وان يفتحوا المضايق التركية بوجه الاسطول الانكليزي • وأوفد طونزند الى ازمير في قطار خاص ومنها بطريق البحر الى قطع الاسطول الانكليزي في البحر الابيض المتوسط حيث تمت المفاوضة مع وفد تركي في تشرين الاول ١٩١٨ •

هدمت دورها وثقبت جدرانها بالقذائف وحفرت أرضها وازقتها بالخنادق[٢٠] • وكانت بساتين النخيل حولها قد عانت من قصف المدفعية الشيء الكثير • و لم تسلم المساجد فيها من هذه المحنة فقد قصفت وملئت بالانقاض وبقيت منارة الجامع قائمة برغم انقلاع قمتها • وكان شارع النهر مليئاً بخطوط الخنادق ، وتهدمت بناية السراي بكاملها ، وانهدم سوقها الكبير[٢١] •

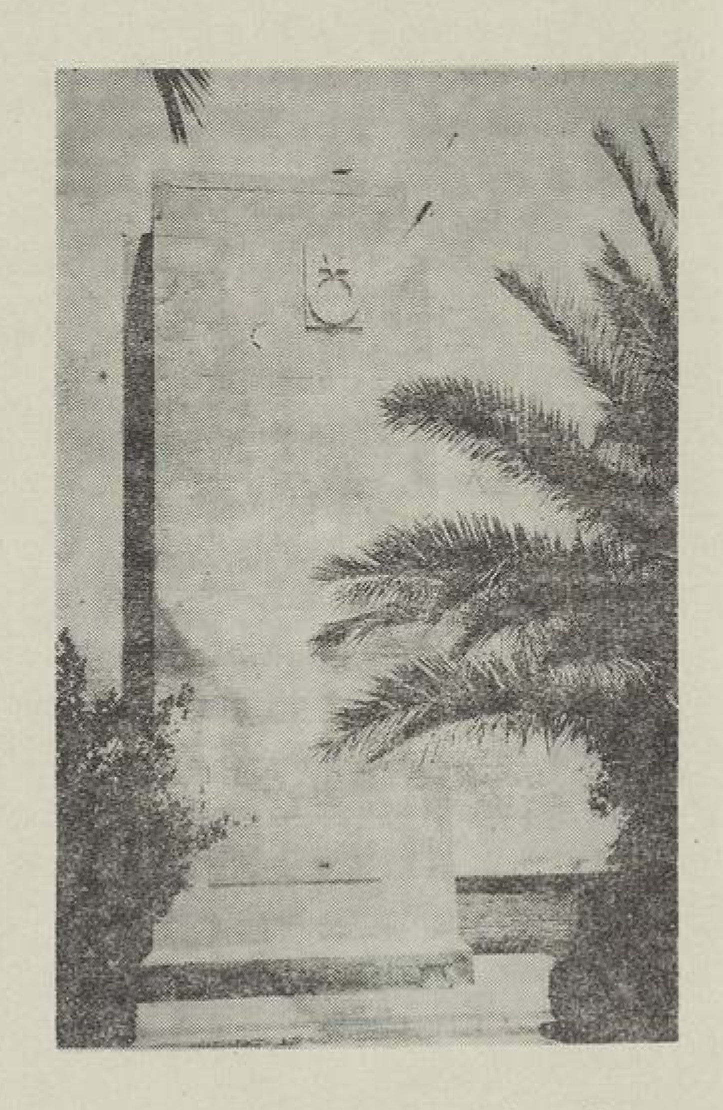
ورغم المصيبة التي حلت بهذه البلدة خلال مدة حصارها ، فان الاتراك سرعان ما لجأوا الى العنف فنصبوا أعواد المشانق وحكموا على عدد من أهلها بالاعدام بتهمة معاونة الانكليز ، ونفذوا فيهم الحكم فوراً في وجبتين ، نذكر من أسمائهم الحاج عباس العلي وولديه علي وسعد (وقيل محسن) ، ورئيس بلدية الكوت (محمد نجيب ابو شويلية) و ناموس شيخ جصان وعباس ظاهر الجميعي الجبيلي وياسين الجعيفري وعلي زمام المكصوصي وخماس جبارة الطائي وحسوني رطية الملطاشي وعلي دروش الملقب علوخ وعلي عبود سليمان السيفاوي وداوود عبود سليمان السيفاوي وكاظم عيسى الموسى وعبدالرزاق الصحاف وموسى عيسى العسكر اللامي (وقد اعدم في النعمانية) وعبداً من عبيد الحاج عباس العلي وغيرهم • كما ان آخرين اعتقلوا وسيقوا أسرى ثم قتلوا في الطريق أو فقدوا ومن هؤلاء الحاج عليوي بزون السبع ورشيد اليعقوب وخضير عباس دشنة وغضبان زمزير المكصوصي وسيد علي سيد مهدي ابو هاون •

ولم يطل حكم الاتراك على هذه البلدة فان الانكليز حشدوا قواهم وزحفوا بجيش كبير بقيادة الجنرال مود في أواخر عام ١٩١٦ ، وكانوا قد أعاروا أهمية كبيرة لانتزاع الكوت ثانية من أيدي الاتراك • وفي ٩ كانون

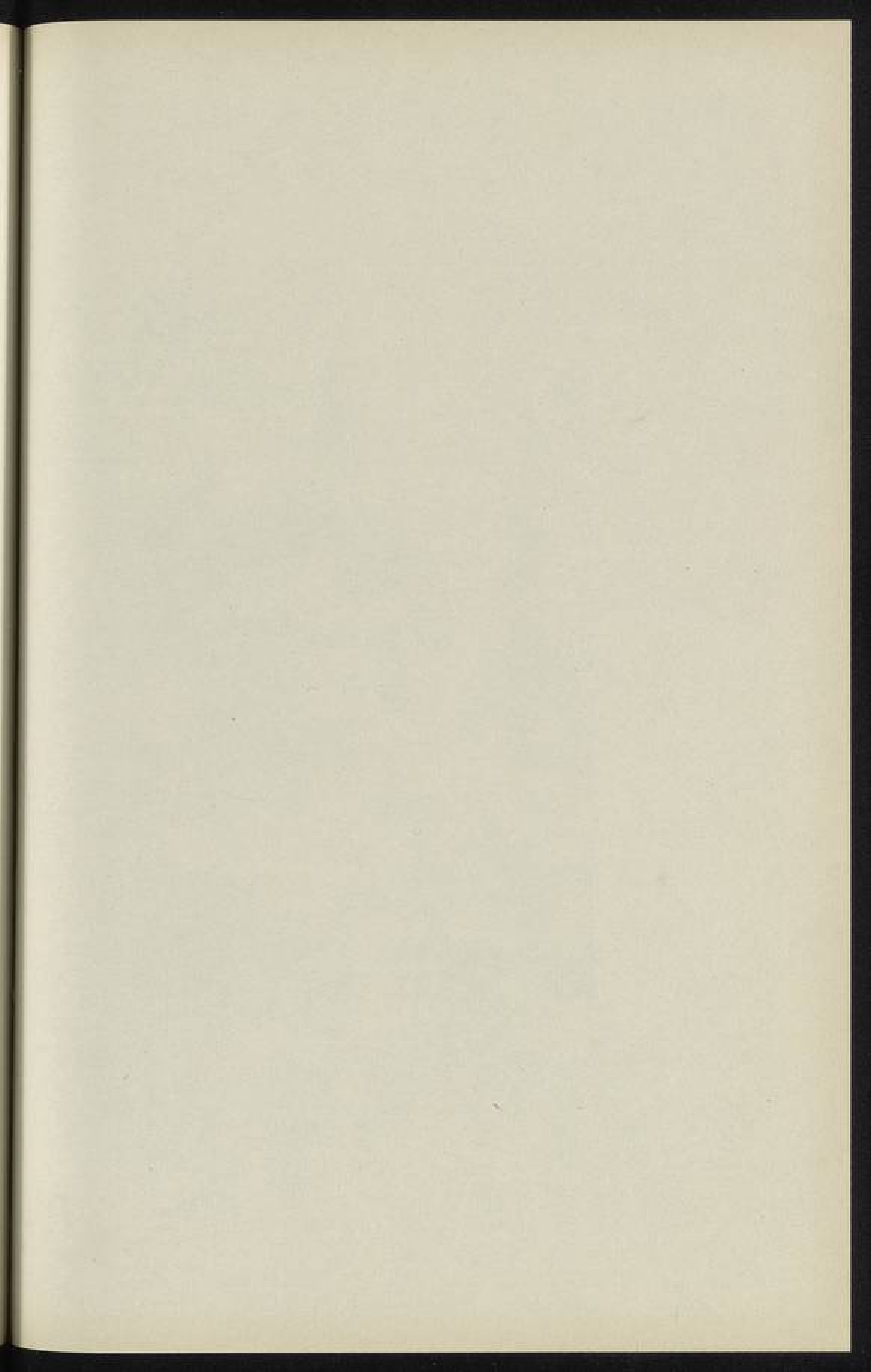
---

(٢٠) تكوين الحكم الوطني في العراق (مذكرات السير برسي كوكس) ـ ص٢٣

(٢١) فصول من تاريخ العراق القريب ـ تأليف المس غيرترود بيل ـ ترجمة جعفر خياط ـ ص٤٠ •



النصب التذكاري في مقبرة الاتراك في الكوت



الثاني ١٩١٧ هجموا على مواضع بقرب الامام محمد أبي الحسن بثلاث فرق هندية ، ولم يمض على ذلك بضعة أيام الا وسقطت هذه المواضع • وشرع الجنرال مود يهاجم ضفاف نهر الغراف ، وأمطر وابل قنابله على مواضع الترك ، ثم عبر النهر واضطرت القطعات التركية الى الانسحاب • ثم هاجم جبهة الفلاحية وتمكن من ضبط المواضع الأمامية في ٢٢ شباط[٢٢] • وأعقب ذلك احتلال الكوت ثم واصل الجيش البريطاني زحفه نحو بغداد حتى احتلها •

وعندما دخل الانكليز ثانية بلدة الكوت شعروا بلذة النصر ، وكانت لهم فيها ذكرى حصار قائدهم طونزند ، فأوعزوا الى الحاكم السياسي الميجر ويلسن باعادة تعميرها هادفين من ذلك الى كسب عطف الأهالي عليهم • وكانت الكوت آنذاك بحالة يرثى لها من التعاسة والتخريب ،وكان بعض من الأهلين قد بدأوا يعودون اليها حيث بلغ عدد نفوسها في منتصف شهر مايس الفي نسمة[٢٣] •

وقد بدأت حملة شاملة لتنظيف البلدة وتعميرها : نظفت البيوت من الانقاض والاوساخ وعقمت ، ونظفت ساحة الحرب ودفنت جثث الموتى ، وفتحت سوق صغيرة في البلدة وصارت القبائل المجاورة تقصدها لبيع حاصلاتها • وكان الانكليز قد خصصوا مقبرة في الكوت لقتلى جيشهم • وقد فعل الأتراك مثل ذلك فأسسوا مقبرة خارج البلدة لقتلاهم • وتركت هاتان المقبرتان دون أن يتعرض لهما أحد ، بل انهما سوّرتا وشجرتا •

وقد قدم الانكليز مساعدات مالية لاعادة بناء عدد من الدور العائدة الى اقارب الذين اعدمهم الاتراك • وقدمت مساعدات أخرى الى غير هؤلاء فبلغ مجموع ما صرف ٥٠،٠٠٠ ربية[٢٤] • وقد استغل انهدام كثير من

---

(٢٢) تاريخ مقدرات العراق السياسية ـ محمد طاهر العمري ـ ج١ ص١٢٠ •

(٢٣) فصول من تاريخ العراق القريب ـ ص٤٠

(٢٤) المصدر السابق •

الدور لتوسيع الشوارع ، كما انشئت سوق مسقوفة على طول جبهة النهر قبالة سوق الباشا وفرغ من بنائها في منتصف شهر تموز ولكن بناءها كان ضعيفاً فتهدم منذ زمن بعيد • وقد اسكن الاهالي المشردون الذين لا مأوى لهم وأصبحت البلدة أكثر ازدهاراً مما كانت عليه قبل تخريبها[٢٥] • وظلت بلدة الكوت في تقدم حتى بلغت ما هي عليه ابان الحكم الوطني •

حقاً لقد كانت معركة الكوت ذات شأن كبير في تاريخ العراق الحديث وكانت أهم واخطر أحداث هذه البلدة الصغيرة التي لمع اسمها آنذاك وتداولته وكالات الانباء العالمية ، واتجهت الانظار في جميع انحاء العالم نحوها تبحث اين هي على الخريطة • ولا عجب في ذلك فقد كان الحصار حدثاً تاريخياً هاماً لا يمكن ان ينساه ابناء هذه المدينة على مرور الاجيال •

(٢٥) المصدر السابق •

ما يرتبط بالكوت اداريا

كان العراق يحكم خلال القرون الطويلة الماضية بموجب انظمة خاصة تختلف بين عهد وآخر • وكانت جميع هذه العهود تتصف بفوضى الحكم واضطراب الانظمة ، حتى كانت سنة ١٥٣٤م عندما احتل بغداد السلطان سليمان القانوني فاحدث تقسيمات ادارية جديدة منها انه قسم أيالة بغداد الى سناجق والحق بها مقاطعات الموصل والبصرة[١] •

وفي عهد مدحة باشا انقسمت ولاية العراق الى متصرفيات (سناجق) وانقسمت المتصرفيات الى أقضية والى نواحٍ ، وكان يحكم المتصرفية متصرف، ويحكم القضاء قائمقام ، ويحكم الناحية مدير •

وفي سنة ١٨٨٠ قسمت ولاية بغداد الى سبعة سناجق هي : بغداد والحلة وكربلاء والعمارة والمنتفك والبصرة ونجد • وفي سنة ١٨٨٤ أصبح سنجق البصرة ولاية • ثم استقلت ولاية البصرة هذه عن ولاية بغداد وقسمت الى اربعة سناجق هي البصرة والعمارة والمنتفك ونجد • وكان سنجق البصرة مكوناً من الاقضية التالية :

البصرة والقرنة والكوت ، وكان قضاء الحي مرتبطاً بسنجق المنتفك •

أما في الفترة التي كانت تسبق الحرب العالمية الاولى فان متصرفية بغداد كان يرتبط بها الاقضية التالية وهي بغداد والكاظمية وخراسان وبعقوبة وخانقين والكوت ومندلي وسامراء وبدرة والعزيزية وعانة والدليم ، وعليه ففي هذه الفترة كانت الكوت وبدرة والعزيزية أقضية ترتبط بمتصرفية بغداد ، وكان الحي قضاءً يرتبط بمتصرفية المنتفك[٢] •

---

(١) الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦ — ص٥٠

(٢) المصدر السابق •

وبعد الحرب العالمية الاولى قسم العراق الى اربعة عشر لواء ، يرتبط بكل لواء عدد من الاقضية ، كان الكوت أحد هذه الالوية وقد الحقت به أقضية الصويرة وبدرة والحي اضافة الى قضاء مركز الكوت . وفي عام ١٩٦١ اضيف الى هذه الاقضية قضاء خامس هو قضاء النعمانية الذي صار قضاءً مستقلاً بعد ان كان ناحية مرتبطة بقضاء الكوت ، وذلك بموجب المرسوم الجمهوري المرقم ٤٢١ بتاريخ ١٩٦١/٨/١٩ والذي ادرجت فيه مبررات أحداث مثل هذا القضاء في تلك المنطقة . وعليه فقد أصبحت التقسيمات الادارية للواء الكوت كالآتي :

الكوت هي مركز اللواء وفي الوقت نفسه مركز قضاء الكوت الذي ترتبط به ناحيتان هما الفلاحية وواسط . ويرتبط بمركز اللواء - اضافة الى قضاء مركز الكوت - الاقضية التالية :

(١) قضاء الصويرة وتلحق به ناحيتان هما العزيزية والزبيدية .

(٢) قضاء بدرة وتلحق به ناحيتان أيضا هما جصان وزرباطية .

(٣) قضاء الحي وتلحق به ناحية واحدة هي الموفقية .

(٤) قضاء النعمانية وتلحق به ناحية واحدا أيضا هي ناحية الاحرار .

ناحية الفلاحية :

وقد انشئت عام ١٩٦١ بموجب المرسوم الجمهوري المرقم ٣٧ بتاريخ ١٩٦١/٩/٢ في المقاطعة المرقمة (٤٥ - أم حلانة) ، ومركزها قرية قائمة على ضفة دجلة اليمنى مقابل بلدة الكوت تدعى قرية أم حلانة . وعندما أقيم الجسر الحديدي الجديد على دجلة بين الكوت ومركز الناحية عمرت تلك المنطقة ، ثم انشئت بجانب القرية منطقة سكنية حديثة عام ١٩٦٥ دعيت بمدينة الانوار . وسيزداد عمران تلك الناحية بعد الانتهاء من تبليط الطريق الموصل بين الكوت والناصرية المار بقضاء الحي والذي سيكون أوله ابتداءً من الفلاحية . ويفكر المسؤولون الآن بنقل مركز الناحية الى مدينة الانوار

لانها أكثر ملاءمة لذلك لا سيما بعد اكمال منشآتها وتبليط شوارعها •
ويبلغ نفوس الناحية حوالي ١٣٩٧ نسمة[٣] •

ناحية واسط :

وكان اسمها سابقاً ناحية الدجيلة وقد ابدل الى (ناحية واسط) احياء لاسم مدينة واسط القديمة التي تقع آثارها غير بعيد عنها ، بموجب كتاب وزارة الداخلية المرقم ٩٨٣٢ بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٨ • أما تشكيل هذه الناحية فكان بموجب ارادة ملكية صادرة تحت رقم ٣٦٦ بتاريخ ١٩٥٢/٧/٥ • والغرض من ذلك ادارة المقاطعات الزراعية التي يتألف منها مشروع الدجيلة ، وهو أحد المشاريع الاروائية المهمة في لواء الكوت والذي أصبح منطقة مزدحمة بالفلاحين المنتفعين بالمشروع ، مما اضطر الحكومة الى تشكيل تلك الناحية لرعاية مصالحهم وحل مشاكلهم • وقد الحقت هذه الناحية بقضاء مركز الكوت ، وكان مقرها في بادىء الامر في منطقة (كيلو ٢٩) ثم لوحظ ان تلك المنطقة لا تصلح لان تكون مقراً للناحية ، ومن الأوفق ان تنقل الى منطقة أخرى فنقلت الى منطقة (شاخة ١١) من أراضي الدجيلة وهي منطقة مزدحمة بالفلاحين وسميت بناحية واسط كما ذكرنا وقد انشئت فيها بعض الابنية الحكومية ويبلغ عدد نوسها ٨٠٥ نسمة •

قضاء الصويرة

ومركزه بلدة الصويرة وهي احدى البلدان الحديثة التي انشئت مؤخرا في لواء الكوت وقد قال الحسني عنها بأن الصويرة (تصغير صيرة) احدى القصبات التي بنيت بعيد عهد مدحة باشا ، بناها رجل يدعى السيد

---

(٣) ان عدد نفوس البلدان الوارد ذكرها في هذا البحث ماخوذ من المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٥ والتى اصدرتها دائرة الاحصاء المركزية فى وزارة التخطيط •

(عليوي بهية) متأثرا بالروح التي ابتها مدحة باشا (والي بغـــداد ١٢٨٦هـ = ١٨٦٩م) في نفوس الاهلين • فقد كانت في اطـراف الصويرة الحالية مقاطعة حـكومية تسمى الصيرة (أي الحضيرة) فبنى السيد عليوي نزلاً لمأمور الحكومة في هذه المقاطعة • ثم صار الاعراب المجاورون يبنون مساكن لهم على هيأة مسكن المأمور فتقدمت الحركة العمرانية حتى غدت المقاطعة قصبة مهمة • ولكن مياه دجلة تسلطت على هذه المساكن فهدمتها فاضطر اصحابها لتشييد بدلها في موضع الصويرة الحالي على مسافة كيلو مترين من محلها السابق[٤] •

غير ان الاستاذ يعقوب سركيس لا يوافق الاستاذ الحسني على قوله هذا حول تأسيس الصويرة ، فقد قال في كتابه (مباحث عراقية) ان تلـك المنطقة كانت تسمى الجزيرة ، ثم لم يلبث ان تشكل في موضع القصبة سوق من صغار الباعة فدعي الموضع بالجزيرة من باب تسمية الجزء بالكل، ومنهم من كان يسميها الصيرة او الصويرة (بالتصغير) • وبعـد ذلـك اتخذت الحكومة العثمانية القصبة مركزاً لقضاء باسم الجزيرة في سـنة ١٢٩٩هـ (١٨٨٢م) • وان أول ذكر جاء عنها في سالنامة بغداد هو في سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) • وكانت الحكومة العثمانية تذكر هذا القضاء في سالناماتها باسم (الجزيرة) حتى في سنتها الاخيرة • وكان نقل القصبة بسبب انهيار شطها فصارت في موقعها الحالي • ولذلك فان أمر انشاء الصيرة يعود الـى ما قبل سنة ١٣١٤هـ التي قيل ان السيد عليوي انشأ فيها الصويرة ، بل قد تكون سنة النقل والتحويل الى موضعها الجديدة[٥] •

والصيرة معناها حظيرة الغنم والبقر • والصيرة في كثير من انحـــاء العراق هي الساحة المحاطة بنبت شائك أو غيره ، تدخلها المواشي للمبيت فيهـا • وتطلق أيضاً على ما يحيط بالبيت من نبت درءاً للرياح كالسياج

(٤) العراق قديما وحديثا ـ الحسني ـ ص١٧٨ •
(٥) مباحث عراقية ـ ج١ ص٣٠٤ •

ونحو ذلك ، وتأتي مجازاً عند الاعراب بمعنى البيت مطلقاً[٦] • وقد رأت الحكومة ان تسمى بصيغة التصغير دفعاً للالتباس الذي قد يحدث بين كلمتي (الصيرة) و (البصرة) فدعيت بالصويرة •

أما قضاء الجزيرة الذي ذكرناه آنفاً فقد كان مركزه قرية الحميدية ، وتقع على ضفة دجلة اليمنى جنوب بغداد بمسافة ٥٤ كيلو متراً • وسمي بالجزيرة نسبة للجزيرة بين دجلة والفرات •

والصويرة الحالية بلدة لطيفة كثيرة البساتين ، فيها من المنشآت المهمة دار الاستراحة والمدرسة الثانوية الحديثة البناء ، ويبلغ نفوس هذه البلدة ٩١٠٨ نسمة • ومن أهم مشاريعها في الوقت الحاضر انشاء جسر حديدي يربطها بضفة دجلة اليسرى عوضاً عن العبّارة الموجودة حالياً • ويلحق بهذا القضاء ناحيتان •

ناحية العزيزية :

سميت بالعزيزية نسبة الى الخليفة العثماني السلطان عبدالعزيز • ويقال انها انشئت في عهد فتح الله بك من رؤساء العمادية يوم كان قائمقاماً فيها سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م) ، فقد انشئت منذ أول أمرها كمركز قضاء • وقد ذكرتها سالنامة بغداد في سنة ١٢٩٤هـ (١٨٧٧م) •

وكان قضاء العزيزية مرتبطاً بمتصرفية بغداد وكانت تلحق به ناحية واحدة هي سلمان باك • ثم جعلت العزيزية ناحية مرتبطة بقضاء الصويرة

---

(٦) جاء في اساس البلاغة للزمخشري : المصاير (جمع مصير) وهي مواضع الكلأ والماء • ويقال للرجل ما صنعت في حاجتك ؟ فيقول : انا على صير من قضائها اي على شرف منه • ويقال نظر من صير الباب : اي من شقه وهو حيث يلتقي الرتاج والعضادة •

وجاء في المنجد لمعلوف : الصير هو الناحية من الشـيء او طرفه • والصيرة : حظيرة الغنم والبقر والجمع صير • والصائرة الكلأ اليابس •

وجاء في معجم البلدان (ج٣ ـ ص٤٣٨) : الصيرة واحدة الصير وهي حظيرة تعمل للغنم من حجارة ، وهو موضع •

(بعد ان فصلت عنها ناحية سلمان باك عام ١٩٢٧ والحقت بلواء بغداد مباشرة) •

والعزيزية من النواحي الكبيرة وتقع على ضفة دجلة اليسرى في منتصف المسافة بين الكوت وبغداد ، وتمتاز بشارعها الرئيسي ذي الممرين ، وفيها بعض المنشآت الحكومية المهمة كمدرسة الزراعة الثانوية ومحلج القطن الحكومي • ويبلغ عدد سكانها زهاء ٧٤٥٠ نسمة •

وهناك فكرة تهدف الى جعل العزيزية قضاء كما كانت من قبل نظراً الى أهميتها على ان تكون قرية الحفرية القريبة منها ناحية تلحق بهذا القضاء • والحفرية هي أكبر قرية في تلك المنطقة وتقع شمال العزيزية ، وفيها منشآت حكومية كمركز الشرطة والمستوصف والمدرسة[٧] •

ناحية الزبيدية :

وتقع على ضفة دجلة اليمنى ، وكانت قرية بسيطة فاتخذت مركزاً للناحية ودعيت بالزبيدية نسبة الى عرب الزبيد الذين سكنوها • ويقال بأنها قد استعيض بها عن ناحية الاعوج التي الغيت كناحية عام ١٩٠٧ • ولم يرد ذكر الزبيدية في السالنامات التركية للعراق مما يدل على انها قد انشئت حديثاً ، غير انه يذكر بأن بلدة أخرى باسم الزبيدية كانت موجودة في غير هذا الموضوع من لواء الكوت وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان بقوله « الزبيدية قرب واسط بينهما نحو فرسخين أو ثلاثة »[٨] • وذكرها ابن عبدالحق في مراصده بقول لا يختلف عن هذا • كما ان ابن الاثير ذكرها في حوادث عام ٤٩٤هـ (١١٠١م) عندما توجه السلطان

---

(٧) سميت الحفرية بهذا الاسم نسبة الى نهر حفر هناك ليأخذ الماء من دجلة لارواء الاراضي • وكانت الحكومة العثمانية قد سعت الى شق هذا النهر وبناء قرية عليه تشجيعا لعشائر شمر بالاستيطان هناك واتخاذ الزراعة مهنة لافرادها وكان ذلك بعد بناء ناحية العزيزية التي اتخذت مركزا لتلك العشائر •

(٨) معجم البلدان ـ ج٣ ص١٣٢ •

بركيارق لاحتلال واسط في العام المذكور فرحل أهلها الى الزبيدية[٩] ، فهي كانت على نهر دجلة نفسه جنوب الزبيدية الحالية •

والزبيدية الآن بلدة صغيرة آخذة بالتوسع ويبلغ عدد نفوسها حوالي ٢٠٨١ نسمة • وقد انشئت فيها بعض الأبنية الحكومية الضخمة كالمدرسة الثانوية ذات التصميم الحديث •

قضاء بدرة

تقوم بدرة على انقاض مدينة بادرايا القديمة التي لعبت دوراً مهماً منذ أول عصور الحضارة الانسانية والتي لا يزال يضم خرائبها تل العقر قرب بدرة الحالية وهو تل واسع يبلغ ارتفاعه ٢٠ متراً وطوله نحو نصف كيلومتر والذي يعد من المواقع الاثرية المهمة في العراق •

وتذكر بادرايا مع بلدة أخرى قديمة تبعد عنها بمسافة مائة كيلو متر وهي باكسايا فيقال (بادرايا وباكسايا)[١٠] •

وأصبحت بدرة ذات أهمية كبيرة ابان الحكم العثماني حيث كانت مركز لواء دعي باسمها وكانت الكوت احدى أقضية هذا اللواء (راجع سالنامة الاستانة سنة ١٢٧٦هـ = ١٨٥٩م) أما الآن فقد فقدت كثيراً من أهميتها نظراً لنقص المياه فيها مما ادى الى تأخر الزراعة فأمست بلدة صغيرة منعزلة •

وتشتهر بدرة بالتمور ، ومن أهم أنواعها الابراهيمي والبنفشة

---

(٩) الكامل في التاريخ ـ ج٨ ص٢٠٦ •

(١٠) جاء في معجم البلدان (ج١ص٣١٦) ان بادرايا طسوج بالنهروان وهي بليدة بقرب باكسايا بين البندنيجين ونواحي واسط ، منها يكون التمر القسب الغاية في الجودة واليبس ويقال انها أول قرية جمع منها الحطب لنار ابراهيم (ع) • وجاء في المصدر نفسه (ص٣٢٧) ان باكسايا بلدة قرب البندنيجين وبادرايا ، بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي في اقصى النهروان ، قالوا لما عمر قباذ بلاده نقل الناس ، وكان ممن نقله الى بادرايا وباكسايا الحاكة والحجامون •

والبيدراية والدكل والقيطان وغير ذلك • وتحيط البساتين بالبلدة من أطرافها ، وفيها مرقد الشيخ عبدالله الصالح من ذرية علي بن ابي طالب (رض)[١١] •

والشيخ عبدالله الصالح هو ابن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الامام الحسن بن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، وقد لقب بالرضا[١٢] • وكان المأمون قد وضع عيوناً عليه فخرج على وجهه هارباً من بني العباس الى البادية ومات بها ، وله شعر وقد روى الحديث[١٣] •

والمرقد المذكور قديم وقد جرت عليه بعض الترميمات في المدة الاخيرة ، ويتكون من غرفة داخلية أقيمت عليها القبة وتضم الضريح ، وهي غرفة مربعة طول ضلعها أكثر من ثلاثة أمتار ، وارتفاع القبة أربعة أمتار • أما الضريح فيبلغ ارتفاعه أكثر من متر وهو ذو بناء بسيط مغطى بالخشب • وتفضي غرفة الضريح الى فناء مكشوف •

وبدرة الآن بلدة جميلة تقع في الجهة الشمالية الشرقية من الكوت ويخترقها نهر الكلال الآتي من ايران وهو ينقطع عن الجريان في بعض فصول السنة • وتقع البلدة القديمة على جانبه الايسر ، الا ان العمران امتد الى الجانب الايمن حيث انشئت دور حديثة ومدارس ومستشفى وابنية حكومية أخرى ، وجُعِل مقر القائمقامية في هذا الجانب أيضاً فكان هذا القسم هو بدرة الحديثة •

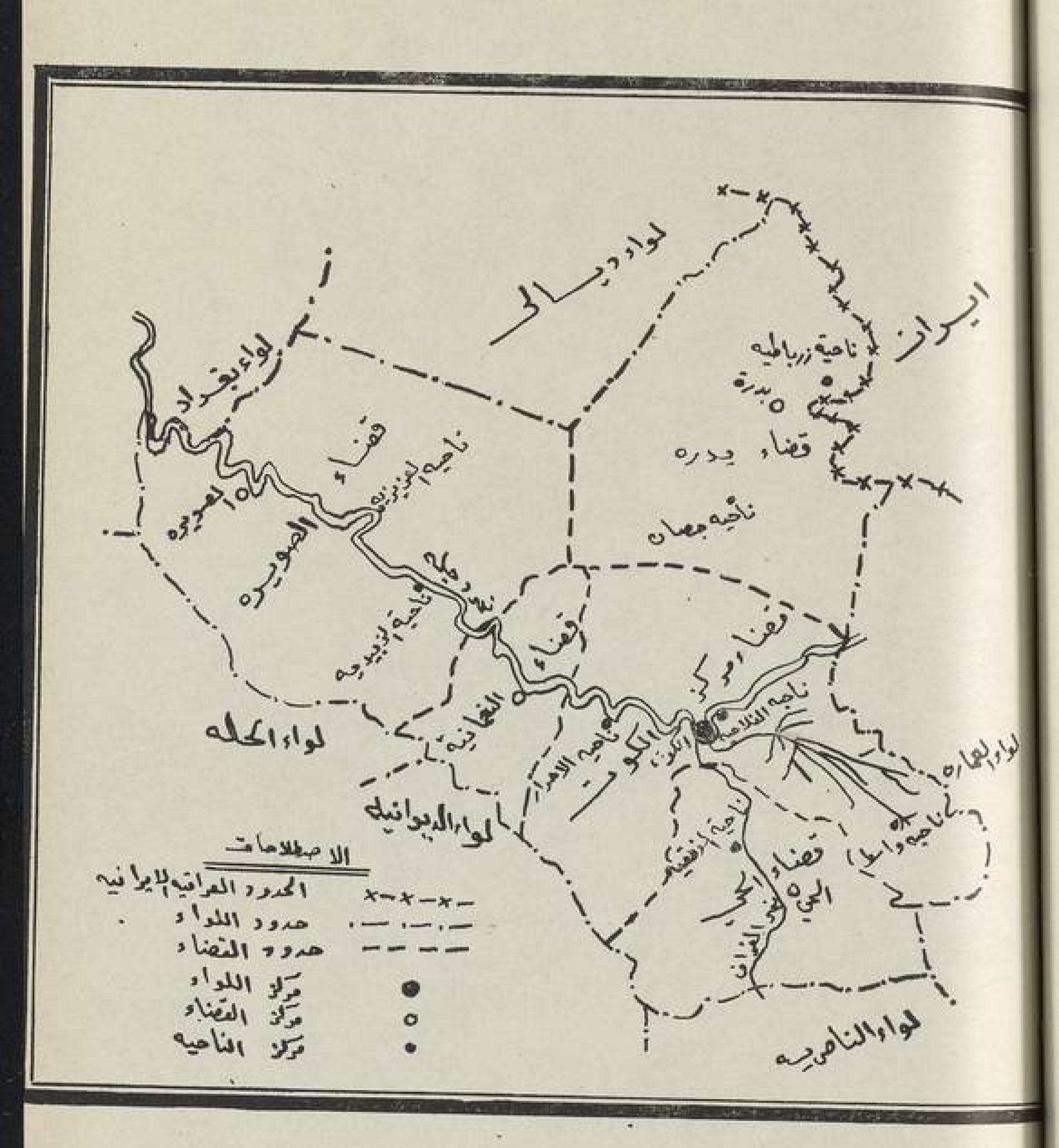
والمناخ في بدرة لطيف لقربها من جبال بشتكوه • ولكن الماء فيها رديء

---

(١١) لقد أكد سماحة العلامة السيد محمد صادق الحكيم نسبة المرقد المذكور الى الشيخ عبدالله الصالح •

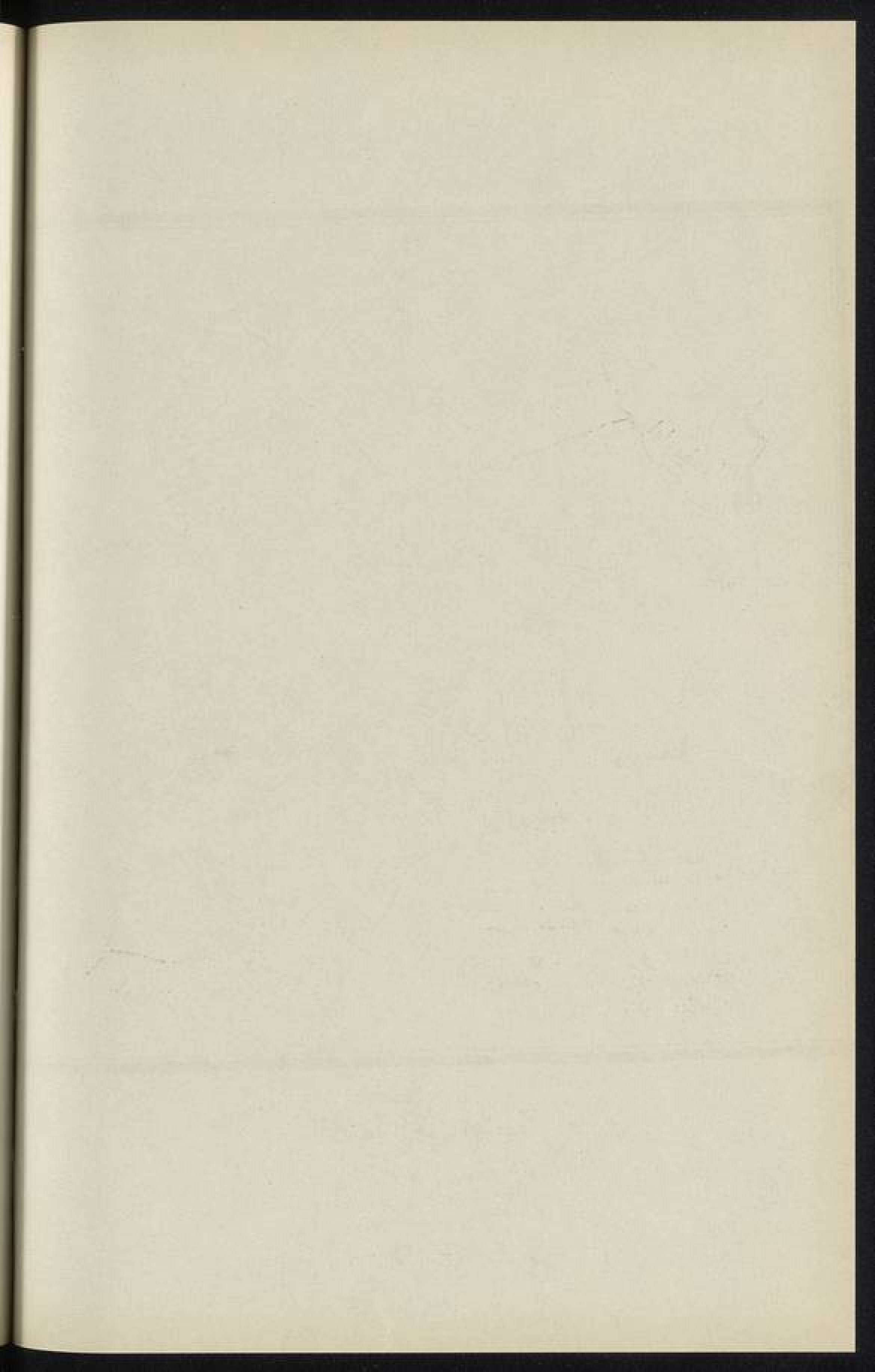
(١٢) وامه هي ام سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبدالله بن عبدالرحمن بن ابي بكر • وطلحة بن عبدالله هذا هو ابن عائشة بنت طلحة بن عبيدالله ، وامها ام كلثوم بنت ابي بكر الصديق (رض) ـ راجع عمدة الطالب ص١١٣ •

(١٣) عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ـ لجمال الدين الحسيني المعروف بابن عنبه ـ ص١١٢ •



خارطة لواء الكوت الادارية

(قبل الحاق ناحية الاحرار بقضاء النعمانية)



وغير مستساغ ولذلك تفكر الحكومة جديا الان بمد المياه الى بدرة في آنابيب خاصة من نهر دجلة • ويبلغ نفوس بدرة **٣٥٦٤** نسمة ويلحق بها ناحيتان •

ناحية جصان :

جصان هي احدى البلدان القديمة في لواء الكوت ولكن لا يعلم تاريخ تأسيسها على وجه الدقة • وقد ورد ذكرها في حوادث سنه **٨٢٨**هـ (**١٤٢٥**م) عندما استولى الامير سپان على مقاطعة الدجيل في زمن شاه محمد (من ملوك التركمان)، ثم مضى الى انحاء الخالص واستولى على طريق خراسان ومهروذ وتصرف بأموالها ثم سار الى جصان بعد ذلك(١٤) • غير انها بالرغم من قدمها لم تنل من الشهرة الا في الوقت الذي كانت فيه هي وبدرة تشكلان لواءً يدعى لواء (بدرة وجصان)(١٥) في العهد العثماني المتأخر • وقد جاء ذكرها خلال الاربعة قرون الماضية من تاريخ العراق في حوادث الحدود مع ايران ، وقد ذكرها المستر ستيفن هيمسلي لونكريك في عدة مواضع من كتابه(١٦) كما ذكرها مؤلفون وسواح آخرون خلال هذه المدة ، وكانت آنذاك هدفاً لهجوم رجال القبائل أو الجيش الايراني القريب من الحدود • وربما كانت قبل ذلك قرية خاملة من قرى النهروان• ثم اصبحت في الفترة الاخيرة ناحية مندمجة مع ناحية الغريبة التابعة الى ناحية الشيخ سعد الحالية ، وبقيت هكذا حتى سنة **١٩٣٠** ، وبعدها الغيت الناحية فاعتبرت قرية ثم جعلت ناحية مرة أخرى(١٧) •

وجصان في الوقت الحاضر بليدة مهملة يبلغ عدد نفوسها **٢٤٩٥** نسمة وتقع على مرتفع من الارض ، ماؤها قليل حتى ليضطر أهلوها الى نقل الماء اليهم من الكوت • وبالقرب من جصان بطيحة كبيرة تدعى هور جصان

---

(١٤) تاريخ العراق بين احتلالين ـ ج٣ ص٧١ •

(١٥) عرفت جصان سابقا باسم (جسان) ثم قلبت الى (جصان) ويظن بانه اسم شخص •

(١٦) اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ـ لونكريك ـ ص٦ ، ص١١٩ ، ص١٩٨ •

(١٧) الاقطاع في لواء الكوت ـ ص٢٠٢ •

تنمو فيها الآجام والاعشاب وتجف في بعض فصول السنة • كما أن جصان تقع على الطريق الموصل بين بدرة والكوت والذي سيساعد بعد الانتهاء من تبليطه على نمو الناحية وتقدمها •

ناحية زرباطية :

وزرباطية بليدة جميلة لطيفة المناخ تقع في منطقة جبلية على بعد ١٤ كيلومتراً شرقي بدرة ، ويخترقها جدول الكلال ليسقي بساتينها ومزارعها. وأصل كلمة زرباطية فارسي ، ومعناها اناء الذهب كناية عن خصب أراضيها وكثر خيراتها • غير أن الاستاذ توفيق وهبي يذكر في مجلة المجمع العلمي العراقي ان زرباطية منسوبة الى شخص اسمه (زرباط) كما نسبت الاسكندرية الى (الاسكندر) ، ثم يقول ان أصل الكلمة (آذربات) ومنها جاءت كلمة (آذربايجان) ومعناها (بلاد آذربات) أو (آزربات) • ولا يعلم من هو الشخص الذي نسبت اليه ولكنه على أية حال اسم شائع عند الفرس[١٨] • ولا يعتقد بان هذه البلدة قديمة ، فهي قرية نشأت حديثاً وازدادت نمواً واتساعاً خلال فترة قصيرة من الزمن • ويبلغ عدد نفوسها الآن حوالي ١٦٠٢ نسمة •

قضاء الحي

من أوائل الذين بحثوا في تاريخ تأسيس المدن العراقية الحديثة الاستاذ عبدالرزاق الحسني ، وقد ذكر عن بلدة الحي بأنها تأسست حوالي عام ١٢٣٢هـ (١٨١٦م) على أيدي آل علي خان أحد زعمائها وأهل النفوذ فيها[١٩] •

غير ان هناك مصادر تاريخية أخرى يرد فيها اسم الحي في فترات من الزمن تسبق التاريخ المذكور اعلاه ، منها ما جاء في كتاب (مباحث عراقية) وهو ان نعمة الله بن يوسف الخوري عبود غادر البصرة في ٢٥

---

(١٨) مجلة المجمع العلمي العراقي ــ بغداد ــ ايلول ١٩٥٠ •
(١٩) العراق قديما وحديثا ــ ص١٧٥ •

صفر عام ١٢٢٥هـ (١٨١٠م) بطريق شط العرب فالفرات فالغراف ، ثم اجتاز الحي والكوت[٢٠] . وكذلك ما جاء في رحلة جاكسون وهو احد موظفي شركة الهند الشرقية وكان قد زار الحي عام ١٧٩٧ وذكر بعض المعلومات عنها ، فقد توجه من البصرة نحو بغداد عن طريق نهر الفرات ثم نهر الغراف والى دجلة صاعداً ، وقد قال : « وفي الثالثة بلغنا مدينة الحي والتي أخذ النهر اسمه منها (نهر الحي) . تقع الحي على الضفة الشرقية من النهر »[٢١] . وقال في موضع آخر « تعد الحي مدينة صغيرة وهي محاطة بسور طيني ولكن سكانها كثيرو العدد بالنسبة لمساحة المكان » .

وكان اقدم ذكر للحي ماجاء في (قويم الفرج بعد الشدة) ـ وقد ورد ذكره في بحث سابق ـ وهو أن بعض عشائر ربيعة ومياح تمردوا على السلطة عام ١١٢٢هـ (١٧١٠م) في أنحاء الحي فمضى الوزير حسن باشا لتأديبهم . أما قبل هذا التاريخ فلا يوجد لدينا من المصادر ما يشير الى وجود بلدة الحي سوى ما ذكره لونكريك في الصفحة الثانية من مقدمة كتابه عند كلامه عن العراق عام ١٥٠٠م فقد قال بانه لم يكن على الغراف من البلدان في ذلك الوقت سوى الحي ، وهو قول لا يعتد به كثيراً لانه جاء في معرض حديثه عن العراق ابتداءً منذ ذلك العام فلم يخصص سنة معينة كانت الحي موجودة فيها ، كما لم يذكر حادثة بعينها ذات علاقة بوجود هذه البلدة ، ولم يستند الى شاهد تاريخي في قوله .

والحقيقة ان الحي وجدت بوجود نهر الغراف أما قبل ذلك فلم تكن موجودة ، ولم يذكر أحد من المؤرخين وجود الغراف الحالي قبل عام ١١٢٢هـ (١٧١٠م) وهو العام الذى أراد فيه الوزير حسن باشا الذى جاء ذكره قبل قليل أن يسد نهر الغراف (في محاولة منه لتأديب القبائل المتمردة) وان يسد نهر العمارة أيضاً ليحول الماء الى مجراه الغربي (لاحياء نهر واسط) .

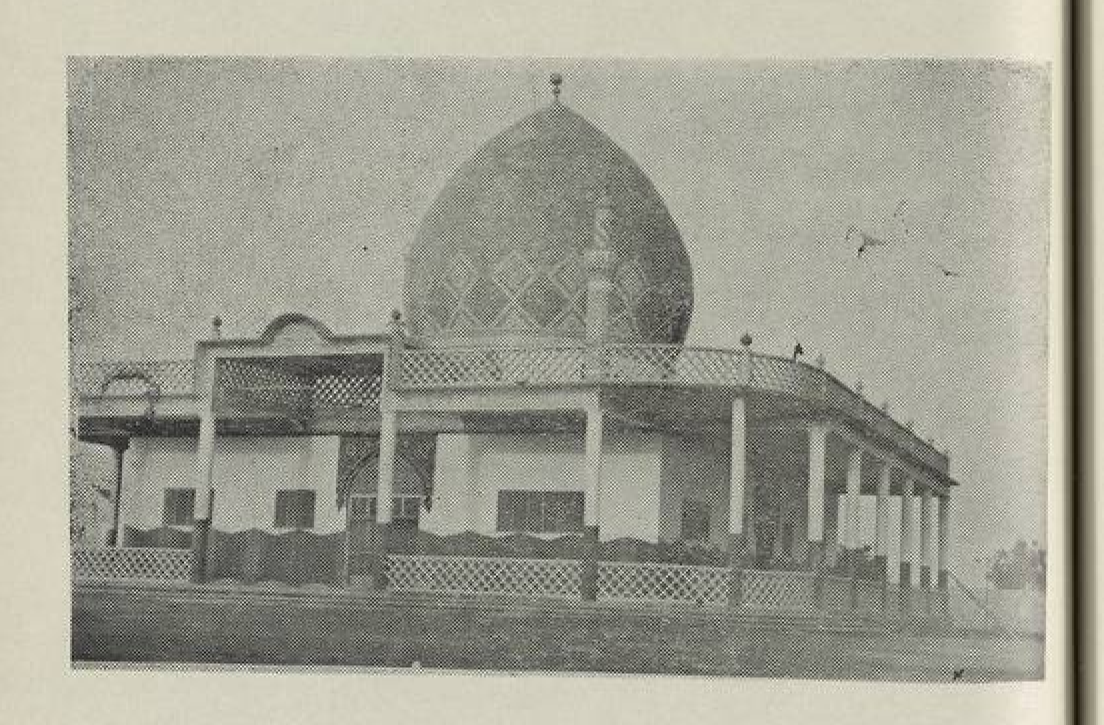
---

(٢٠) مباحث عراقية ـ ج١ ص٢٧٣ .
(٢١) مشاهدات بريطاني عن العراق ـ جاكسون ـ ترجمة سليم طه التكريتي ـ ص٥٥ .

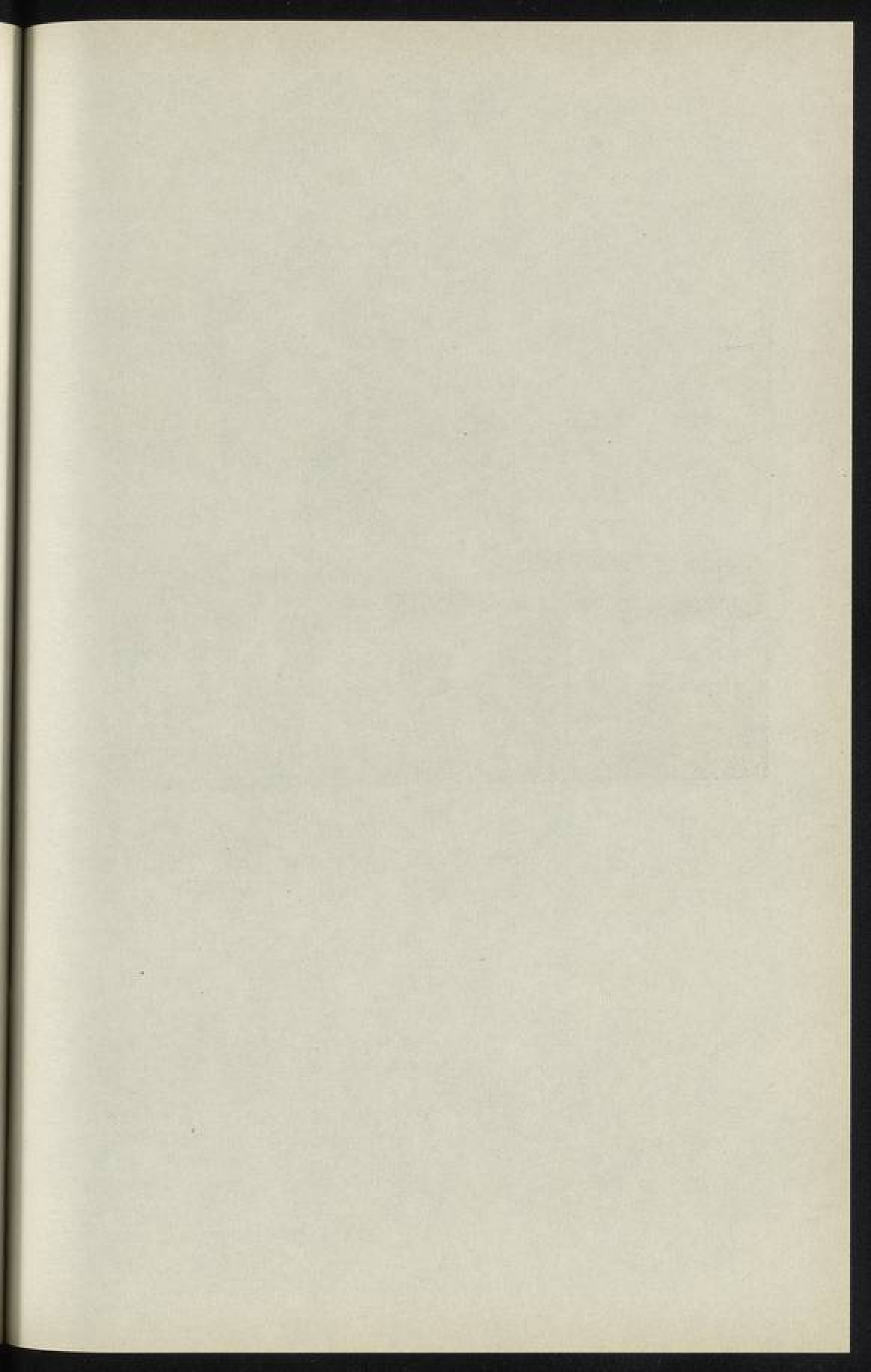
وبلدة الحي في الوقت الحاضر هي احدى أقضية العراق المهمة وهي المدينة الثانية في اللواء بعد الكوت وتقع على الجانب الشرقي من نهـــر الغراف وتمتاز بأراضيها الزراعية وخيراتها الكثيرة • وستزداد أهميتها بعد اكمال الطريق الذي سيربط بينها وبين كل من الكوت شمالاً والناصرية جنوباً • وفيها من الابنية المهمة المشيدة حديثاً المستشفى الجمهوري الفخم الذي يتسع لمائـة سرير وقد صمم على أحدث طرز هندسي • وفي الحي معمل للنسيج ينتج الاقمشة الحريرية المختلفة ، وفيها مكتبة عامة تضم الفاً ومائتين من الـكتب المتنوعة • وفي خارج البلـدة يقـع قبر سعيد بن جبير (رض)[٢٢] على بعد كيلو مترين منها • وقد قال ابن خلكان عنه « ودفن

---

(٢٢) سعيد بن جبير الاسدي بالولاء ، الكوفي : ٤٥ ـ ٩٥هـ (٦٦٥ ـ ٧١٤م) وهو تابعي من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد • قال عنه ابن كثير في (البداية والنهاية) : كان من ائمة المسلمين في التفسير والفقه وانواع العلوم وكثرة العمل الصالح رحمه الله تعالى ، وقـد رأى خلقا من الصحابة وروى عن جماعة منهم ، وروى عنه خلق كثير من التابعين • وقـد اخذ علم التفسير والفقه والقراءات عن ابن عباس وعبدالله بن عمر • وقال عنه الامام احمد بن حنبل : « قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على الارض احد الا وهو محتاج الى علمه » • وقد روى عن ابن عباس وابن الزبير وابن عمر وابن معقل وعدي بن حاتم وابي مسعود الانصاري وابي سعيد الخدري وابي هريرة وابي موسى الاشعري والضحاك بن قيس الفهري وعمرو بن ميمون وعائشة وقال ابو نعيم : أسند عن علي ايضا • وقد حارب سعيد بن جبير الحجاج واشترك ضده في معركة دير الجماجم فطلبه الحجاج فاختفى في مكة فارسل في طلبه فجيء به وهو موثق بالقيود الى واسط • وكان موقفه امام الحجاج يشهد له بالشجاعة والاعتداد بالنفس فقد دارت بينهما محاورة طريفة اذ سأله الحجاج : ما اسمك ؟ قال : سعيد بن جبير ، قال : انت شقي ابن كسير فقال سعيد : بل كانت أمي اعلم باسمي منك • قال الحجاج : شقيت انت وشقيت امك • قال سعيد : الغيب يعلمه غيرك • قال : لابدلنك بالدنيا نارا تلظى • قال : لو علمت ان ذلك بيدك لاتخذتك الها • ثم قال له الحجاج : ويلك يا سعيد • فقال : بل الويل لمن زحزح عن الجنة وادخل النار • فقال الحجاج : اختر ياسعيد اي قتلة اقتلك ، فقال : اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلني قتلة الا قتلك الله مثلها في الآخرة • قال : افتريد ان اعفو عنك ؟ قال : ان كان العفو فمن الله • فقال الحجاج اقتلوه ، فاستقبل سعيد القبلة • فقال الحجاج : اقتلوه عن القبلة • فقال سعيد « فاينما تولوا فثم وجه الله » • ثم قتله • (عن كتاب : سعيد بن جبير شهيد واسط ـ لعلي بن الحسين الهاشمي النجفي ـ ط • بغداد ١٣٨٠هـ) •



مرقد سعيد بن جبير في الحي



في ظاهرها ـ أي واسط ـ وقبره يزار بها » ، وقال ابن العماد في شذراته « وقبره بواسط يتبرك به » • وفي (مجالس المؤمنين) ان قبر سعيد بن جبير في مدينة واسط مشهور • وقال ياقوت في ذكر (برجونية) : وبها قبر يزعمون انه قبر سعيد بن جبير • وقد كان على القبر قبة قديمة منذ عام ١٠٥٣هـ (١٦٤٣م) وقد جددت عام ١٩٦١ من قبل أهالي الحي وعثر عند التجديد على بئر قديمة كانت مطمورة فتم تجديدها وهي تستعمل اليوم • وهناك من الجهة الشرقية من المرقد مسجد كان قد شيده أحد التجار من اسرة آل الشعرباف سنة ١٩٠٠ • ويتولى سدانة المرقد جماعة من اسرة آل سيد شبيب ويتوارثونها عن بعضهم •

ويبلغ نفوس بلدة الحي ١٦٩٨٨ نسمة ويلحق بها ناحية واحدة •

ناحية الموفقيــة :

وتقع على الضفة اليمنى للغراف شمال الحي بمسافة ١٥ كيلومتراً • وكان اسمها في السابق محيرجه (تصغير محرجة أي محرقة على لغة من يلفظ القاف جيماً) ولكن ابدل اسمها الى الموفقية عام ١٩٣٥ نسبة الى نهر الموفقي القريب منها وهو نهر كبير حفره الموفق طلحة بن المتوكل وقد ذكره ياقوت في معجمه •

ويقال ان الذى بنى هذه البلدة هو (ابو عطاش) قبل حوالي ١٢٠ سنة ، وهي بلدة صغيرة تعيش على الزراعة • ويبلغ عدد نفوسها ٢٢٠٣ نسمة •

قضاء النعمانية

وبلدة النعمانية التي هي مركز القضاء كانت تدعى سابقاً بالبغيلة (تصغير بغلة وهي من اسماء السفن) ، ثم سميت بالنعمانية في أواخر عام ١٩٣٠ نسبة الى بلدة النعمانية القديمة التي تقع آثارها شمال البغيلة وهي اليوم تلول ترابية بجانب النهر •

ولم يتفق الرواة على زمن تأسيس البغيلة (النعمانية حالياً) ، فقد ذكر الاستاذ عبدالرزاق الحسني ان الذي أسس هذه البلدة هو الشيخ عجم رئيس عشيرة الكلابيين (بطن من زبيد) ، وانه أقام بناية لسكناه فيها عام ١٣٠٣هـ (١٨٨٦م) فتبعه اصحابه في تشييد المنازل والحوانيت ، فلم تزل القرية في اتساع حتى اذا ابتاع السلطان عبدالحميد أراضيها وأمر ببناء محل لادارة أملاكه فيها ، عنيت بها الحكومة فجعلتها مركز ناحية .

ولكن الاستاذ الحسني لم يلبث أن يقول « الا ان جريدة الزوراء تذكر في عددها المرقم ١٠٦٨ الصادر في ١٢ صفر ١٣٠٠ هـ (١١ كانون الاول ١٨٨٢م) هذا الخبر : ان موقعي نهري البغيلة وشاذي الواقعين في قضائي العزيزية والجزيرة المتخذين مركزي ناحية قابلان للمعمورية ، فحصل التفضل بالتزام وضع كل منهما في حال قصبة . فمن هذين : البغيلة أمر - الوالي - بأن يخطط فيها عدة دور ودكاكين بمعرفة المهندس أيضاً ، وجرى الامتنان باستحصال الاسباب لتكون قصبة مكملة عن قريب . اهـ . والظاهر من هذا الخبر ان نواة تأليف هذه القصبة أقدم عهدا من القرن الرابع عشر للهجرة » .

ومثل ذلك ما ذكره الاستاذ العزاوي فقد قال ان الوالي تقي‌الدين باشا عزم في سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٢م) على تخطيط البغيلة وتأسيس بيوت ودكاكين بمعرفة المهندس لان النهر فيها يساعد على العمران . وفي سنة ١٣٠٢هـ (١٨٨٤م) صارت لها أراض سنية تعود بالفائدة على الدولة[٢٣] .

وفي الحقيقة ان زمن تأسيس البغيلة أقدم من ذلك بكثير ، ففي عدة مصادر ورد اسم هذه البلدة في زمن أقدم من التواريخ التي سبق ذكرها . فمن ذلك ما جاء في رحلة المقيم البريطاني المستر ريج وهي بتاريخ ١٤ أيار ١٨٢١م (١٢٣٧هـ) فقد قال « وفي الساعة التاسعة والنصف مررنا بالبغيلة وهي قلعة من الطين على الضفة اليمنى - لدجلة - تعود الى شفلح شيخ

---

(٢٣) تاريخ العراق بين احتلالين - ج٨ ص٦٨ .

زبيد ، وبقربها مضرب خيامه الخاصة بشخصه » •

وقال كيبل G. Keppel في رحلته من الهند بطريق البصرة وكانت بتاريخ ١٧ اذار ١٨٢٤ (١٢٤٠هـ) ما نصه : « وفي الساعة الثانية بعد الظهر اجتزنا بشفلح ـ قلعة شفلح ـ الواقعة على منعطف فجائي للنهر ، وهي قلعة مبنية بالاجر يقيم فيها شيخ زبيد الزعيم العربي القوي الذي تمتد ديرته من الضفة اليمنى لشط الحي الى بغداد »[٢٤] •

وكذلك جاء ذكر البغيلة في مختصر مطالع السعود ضمن حوادث عام ١٢٤٢هـ (١٨٢٦م) ومنها نزول عقيل شيخ المنتفك البغيلة في العام المذكور ولقائه مع رجال عشيرته[٢٥] • وقد اوضح ذلك مؤلف تاريخ العراق بين احتلالين حيث ذكر ان الشيخ عقيل بن محمد بن ثامر قدم الى بغداد واتصل بالوزير داود باشا فالبسه الوزير خلعة رئاسة عشائر المنتفك واعطاه الاسلحة الكافية • وعندئذ حدث الخلاف بين هذا وبين الشيخ المعزول ، أخذ على أثره الشيخ عقيل ينتقل من موضع الى آخر ليجمع اتباعه فوصل البغيلة ونزل فيها وهو في مهمته هذه[٢٦] •

ويعتقد الدكتور أحمد سوسه في كتابه ري سامراء ان البغيلة أسست في موضع قرية نعماباذ التي ذكرها اليعقوبي في كتابه (البلدان) بقوله « وبعد النعمانية من الجانب الغربي من دجلة القرية المعروفة بنعماباذ وهي فرضة ينتقل منها مير دجلة الى النيل »[٢٧] •

والنعمانية في الوقت الحاضر قضاء مهم من أقضية الكوت • وتقع بلدة

---

(٢٤) راجع (مباحث عراقية) للاستاذ يعقوب سركيس ص٣١٥ • ويقول المؤلف في كتابه بانه قد سمع من ثقة من كبار رجال قبيلة الزبيد انه كان في صغره قد رأى بقايا قلعة شفلح مبنية بالآجر في موضع القصبة الحالية •

(٢٥) مختصر مطالع السعود ـ ص١٦٩ •

(٢٦) تاريخ العراق بين احتلالين ـ ج٦ ص٢٩٥ •

(٢٧) البلدان لليعقوبي ـ ص٣٢٢ •

النعمانية على الضفة اليمنى من نهر دجلة وترتبط مع الضفة الاخرى بجسر خشبي يؤمل ان يبنى في محله جسر حديدي ثابت في يوم من الايام • ويبلغ نفوس البلدة ١١٩٤٣ نسمة ، ويلحق به ناحية واحدة •

ناحية الاحرار :

وكانت في السابق قرية تدعى الحسينية ، ثم جعلت ناحية باسم ناحية الاحرار بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ • وكانت مركز أمارة ربيعة حيث يوجد فيها قصر الأمارة الفخم المطل على دجلة • وقد بوشر ببناء بعض المنشآت الحكومية فيها • وهي تمتاز بكثرة حقولها ومزارعها • ويبلغ عدد نفوسها ٢٠٩٧ نسمة •

الكوت في حاضرها

تعد الكوت الآن من المدن المهمة في العراق ، وهي مركز لواء الكوت وتقع على الضفة الشرقية من دجلة ضمن انحناء نهري كبير فتكون مياه دجلة محيطة بها من جهاتها الثلاث كشبه جزيرة منفتحة في الأعلى • وأصبحت بعد اتساعها خلال السنوات الاخيرة تشغل شبه الجزيرة كلها ، ثم امتدت اتساعاً نحو الشمال فتجاوزت حدود الانحناء النهري وامتدت من جهة ثانية نحو الجانب الآخر من النهر حيث شيدت فيه الدور والمنشا ت الحكومية • وأصبح الجانبان يتصلان بجسرين متقابلين (على فرعي الانحناء النهري) احدهما قديم تم بناؤه عام ١٩٣٩ وهو جسر السدة نفسها ، والآخر حديث شيد عام ١٩٦٢ • وقد سمي التجمع السكني الكبير الذى انشئت دوره حديثاً في الجانب الايمن (على الضفة الغربية من النهر) بمدينة الانوار وهي لا تزال في اتساع ونمو •

وأرض الكوت مرتفعة نسبياً فهي تعتبر أعلى بلدة في اللواء بعد بدرة[1] • ولهذين العاملين (انحناء النهر حول الكوت وارتفاع أرضها النسبي) تأثير كبير في تلطيف مناخها ولذلك تعد من الطف مدن العراق مناخاً حتى انه يضرب المثل بطيب هوائها[2] •

والكوت واقعة في الجنوب الشرقي من بغداد وترتبط معها بطريق حديث يبلغ طوله ١٧٠ كيلو متراً يمتد محاذياً لنهر دجلة الذي يعتبر هو الآخر طريقاً نهرياً بينهما ، ولكنه كثير الانحناءات والتعرجات حتى أن طوله

---

(١) يبلغ معدل ارتفاع مدينة الكوت ٢٧ مترا عن مستوى سطح البحر بينما يبلغ في الحي ١٥ مترا فقط وفي النعمانية ٢٠ مترا وفي العزيزية ٢٢ مترا وفي الصويرة ٢٤ مترا ، ويبلغ في بدرة ٣٥ مترا • (عن نشرة منجزات الادارة المحلية في الكوت لعام ١٩٦٥) •

(٢) العراق قديما وحديثا ـ ص١٧٢ •

يبلغ ٣٤٥ كيلو متراً بين هاتين المدينتين وما أقل ما يلجأ اليه في الوقت الحاضر • ويمتد الطريق البري جنوباً نحو العمارة ومنها الى البصرة والكويت •

وكانت هناك فكرة لربط البصرة ببغداد عن طريق الكوت بخط حديدي وذلك لاغراض عسكرية • وقد بوشر فعلاً بمد سكة حديدية من موضع في شمال الكوت باتجاه بغداد ، الا ان الفكرة أهملت والغي الخط المذكور لعدم فائدته ولم يعد له أثر في الوقت الحاضر •

وتتكون مدينة الكوت من قسم قديم يضم الاحياء الشعبية القديمة ويشمل النصف الجنوبي من البلدة ، ومن قسم حديث يقع شمال وشرق البلدة متكون من الاحياء التي بنيت حديثا ولا تزال آخذة بالامتداد شمالا وشرقاً •

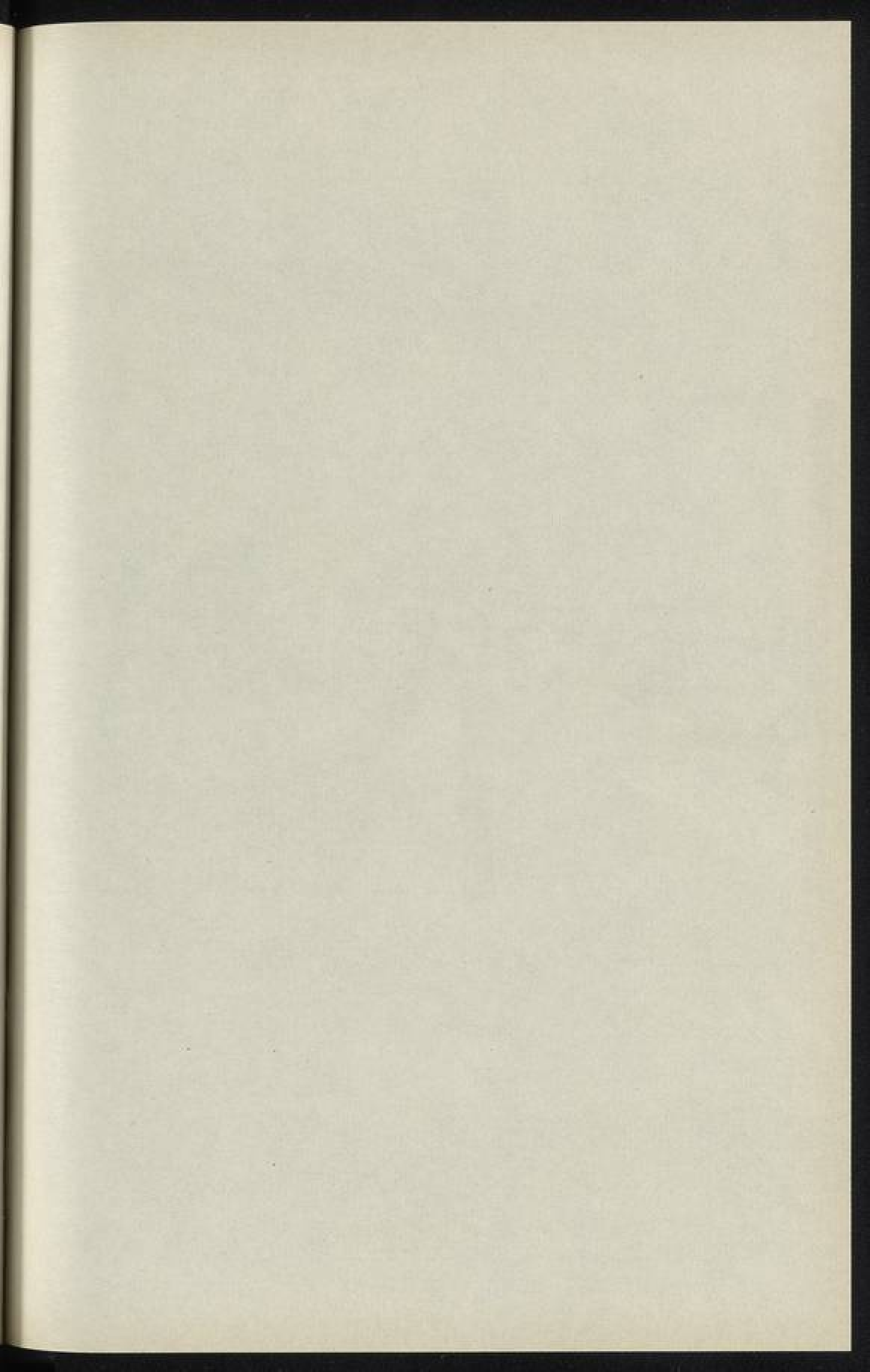
ومدينة الكوت اجمالا منسقة التخطيط واسعة الشوارع ، واشهر شوارعها خمسة واحد منها محاذٍ للنهر وهو شارع الكورنيش ، والثاني موازٍ له وهو شارع المتصرفية والثالث يصل ما بينهما ويمتد شمالا حتى دورة ١٤ تموز ، والشارع الرابع هو الذي يصل ما بين الجسرين ماراً بالمكتبة العامة ورئاسة البلدية ، أما الخامس فهو الشارع العريض الذي يقع في حي الربيع وقد افتتح هذه السنة ، فضلاً عن شوارع أخرى عديدة متقاطعة ومبلطة تبليطا حديثا تصل بين الشوارع الكبيرة •

أما اسواق البلدة فتقع في الطرف الجنوبي منها وأهمها سوق الباشا ذات الشهرة القديمة ، وسوق البلدية الحديثة البناء •

وفي المدينة ابنية ذات شأن منها ملعب الادارة المحلية الذي افتتح في ١٨ تموز ١٩٦٢ ويقع في شرق المدينة ، وبناية المتصرفية ، والمستشفى الجمهوري ، وبناية المكتبة العامة التي تضم أكثر من عشرة آلاف كتاب ، وقاعة الشعب الفخمة التابعة للادارة المحلية والتي خصصت للاحتفالات



شارع النهر في الكوت وتبدو في نهايته السدة



العامة ، وبنايتا البريد والتلفون وقد انجزتا خلال هذا العام .

أما في الجانب الايمن من المدينة فهناك بناية السايلو (صومعة الحبوب) التي انشئت لخزن الحبوب بصورة فنية وتقدر سعة استيعابها ١٢ ألف طن من الحبوب قابلة للتوسع الى ٢٤ ألف طن في المستقبل . وكذلك بناية المجزرة العصرية التي انشأتها بلدية الكوت على طراز فني خلال العام المنصرم .

ويوجد في هذا الجانب من المدينة ابنية الثكنة العسكرية والبحيرة الاصطناعية التي انشئت في موضع صدر الغراف القديم .

سكان الكوت :

بلغ عدد سكان المدينة حسب الاحصاء الاخير لعام ١٩٦٥ ما مقداره (٤٢١١٦) نسمة منهم ٢١٣٠٠ من الذكور و ٢٠٨١٦ من الاناث ، ومع اضافة سكان الضواحي البالغ عددهم ١٢٣٧٧ يبلغ المجموع أكثر من ٥٤ ألف نسمة[٣] . وعدد نفوس المدينة قد تضاعف تقريباً على ما كان عليه قبل عشر سنوات مما يدل على التقدم السريع الذى احرزته خلال هذه الفترة .

وسكان الكوت هم من العرب والاكراد ويعيشون جميعا متعاونين تربط بينهم الروابط الاجتماعية ، ويدينون جميعاً بالدين الاسلامي ماعدا عوائل قليلة تدين بالمسيحية والصابئية .

وأهل الكوت يمتازون بطيب المعشر وصفاء السريرة ، وهم مسالمون في قضاياهم وحياتهم اليومية ، ويتمسكون بعاداتهم العربية الاصيلة من كرم الاخلاق وحسن الضيافة .

مساجد الكوت :

ويتصف أهل الكوت بتعلقهم بدينهم ولا أدل على ذلك من كثرة المساجد والجوامع في المدينة . وحتى في الماضي كان ذلك واضحا يلفت

---

(٣) المجموعة الاحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٦٥ التي اصدرتها دائرة الاحصاء المركزية في وزارة التخطيط .

النظر فقد ذكر الرحالة السير وليس بدج الذي زار الكوت عام ١٨٨٦ انها كثيرة المساجد آنذاك[٤] ٠

ومن الجوامع القديمة التي كانت موجودة سابقاً في الكوت جامعان شيدا في موضع واحد وزال أثرهما نهائيا في الوقت الحاضر ، أولهما كان قد شيد عام ١٢٥٥هـ (١٨٣٨م) وقد سعى في أمر تشييده أحد شيوخ النجف من آل الخضري وكان يقيم في الكوت ، بالتعاون مع أهل البلدة ، على أرض مساحتها مائتا متر مربع تقع على جانب النهر في جنوب البلدة ٠ وكان بناؤه من الطين وسقفه من جذوع النخل ٠ فما حل عام ١٢٧١هـ (١٨٥٤م) حتى حدث فيضان عظيم وهطلت الامطار بغزارة فغرق المسجد وغرق كثير من دور الاهلين وفر كثير منهم الى البادية ، ثم جرفت المياه المسجد فامحى أثره ٠ وبعد مدة من الزمن قام عيسى الخصي بتشييد جامع آخر في الموضع نفسه على جانب النهر وأتم بناءه عام ١٢٩٨هـ (١٨٨٠م) غير أن حظه كان كحظ سابقه : ففي عام ١٣١٠هـ (١٨٩٢م) حدث فيضان آخر فجرفت المياه هذا الجامع أيضاً وزال أثره تماماً غير ان المعمرين من أهل البلدة يذكرونه ويعرفون موضعه[٥] ٠

هذا قديماً ، أما في الوقت الحاضر فان في الكوت كثيراً من الجوامع العامرة ذات البناء الحديث المتجدد نذكرها في مايلي :

١ ـ جامع الكوت الكبير :

وهو أقدم هذه الجوامع وقد تضاربت الأقوال حول تاريخ بنائه غير أن أقربها الى الواقع هو أنه بني عام ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م) وقد ساهم أهل البلدة في انشائه ٠ وفي عام ١٣١٢هـ (١٨٩٤م) جدد بناء الجامع فأصبح على وضعه الحالي وكان ذلك خلال عهد شوكة بك قائمقام الكوت ابان الحكم العثماني ٠

---

(٤) رحلات الى العراق ـ السير وليس بدج ـ ج١ ص٢٣ ٠
(٥) نقلا عن الاديب السيد راضي الطباطبائي ٠

ويقع هذا الجامع في مدخل أسواق المدينة ويتكون من فناء واسع ومصلى • ويقع أمام المصلى أروقة تتصل بقاعدة المئذنة • والمئذنة هـذه جميلة البناء مشيدة بالآجر المزخرف • وكانت اثناء حصار الكوت قد قصفت بمدفعية الجيش العثماني الذي يحاصر البلدة فتصدع قسمها العلوي • وبعد انتهاء الحرب جرى تعمير القسم المتصدع على وجه أحسن من السابق وزين بأشعار تحيط بقسمه النهائي • وكان ذلك عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) في عهد متصرف الكوت المرحوم عبدالله الصانع • وقد ثبتت على قاعدة المئذنة رخامة أثرية كتب عليها بالحروف البارزة الشعر الذى يتضمن تاريخ التجديد • وهو من نظم المرحوم السيد اسماعيل بن محمد سعيد الخطيب(٦) امام وخطيب الجامع المذكور :

مئذنة في حسن بنيانها	قد زاد حسناً منظر الجامع
قرت بها عيون أهل التقى	من ساجد فيه ومن راكع
يسطع في الليل سنا نورها	فيزدهي من نورها الساطع
منارة فيها منار الهدى	يرشد كل مؤمن طائع
قد ازدهى الجامع مذْ جددت	أرخ به : مئذنة الجامع

---

(٦) السيد اسماعيل بن السيد محمد سعيد بن السيد احمد الخطيب الحسيني : أحد علماء الكوت البارزين وادبائها المعروفين ، ولد عام ١٢٩٥هـ (١٨٧٧م) وكان قد درس العلوم العقلية والنقلية على كبار شيوخ بغداد كالمرحوم الشيخ علي الخوجة والمرحوم علي علاء الدين الآلوسي والمرحوم يوسف آل عطا والعلامة المرحوم عبدالوهاب النائب ، وأجيز اجازات علمية ، كما درس في دار المعلمين وعين معلما للمدرسة الرشدية في قضاء الكوت ، ثم رئيسا لبلدية النعمانية في زمن الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ • وبعد انتهاء الحرب عاد الى الكوت فعين اماما وخطيبا لجامع الكوت الكبير وذلك عام ١٩١٩ واستقر به المقام فيها الى آخر حياته التي كرسها لخدمة أهالي هذه المدينة ، ساعيا في بث الفضيلة والصلاح ، ناشرا ألوية العلم بين أبنائها ، وقد تخرج على يديه الكثير منهم حاملين له بين جوانحهم أعمق الحب والاكبار • وقد كان عالما فاضلا أديبا شاعرا دمث الاخلاق لين الجانب • وفي آخر سنة من حياته قصد الديار المقدسة لاداء فريضة الحج فأدركته منيته هناك حيث دفن في قرية (ثول) على طريق المدينة المنورة وكان ذلك عام ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) وله من العمر ٧٣ سنة •

وقد اقتطع عام ١٩٦٥ جزء من فناء الجامع لتشيد عليه سوق الاوقاف المحاذية للجامع ويبلغ طول الفناء المتبقى في الوقت الحاضر ٢٣ متراً وعرضه ٢٢ متراً • أما المصلى فهو مستطيل يبلغ طوله ١٥ متراً وعرضه ١٠ أمتار ، وفيه محراب ذو زخارف جبسية بديعة يقوم الى جانبه منبر حديث الصنع •

٢ ـ الجامع الاكبر :

وأول مؤسس لهذا الجامع هو الشيخ جبارة المتوفى عام ١٣١٠هـ (١٨٩٢م) وكان يومذاك معلماً لأبناء بلدة الكوت • وكانت الارض التي شيد عليها الجامع تعود الى ورثة بزون الشاوي (وهو عم سبع ، وجد عباس العلي الذي شنقه الاتراك في الكوت غب احتلالهم لها) ، وكان الشيخ جبارة قد اشتراها بمعونة من بعض الاهلين ، ثم بنى عليها مسجداً صغيراً في باديء الامر وذلك عام ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م) ، وكان بعضه باللبن وبعضه بالآجر • وفي عام ١٣١٢هـ (١٨٩٤م) سعى المرحوم حمود الملاك الى تجديد بناء المصلى فيه فبني بالآجر وسقف بالخشب وكان أكبر من سابقه •

وعندما حل عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م) بعث المرجع الديني يومئذ السيد أبو الحسن وكيله الشيخ هادي الأسدي الى مدينة الكوت فرأى ضرورة ملحة لتشييد جامع ضخم يلائم توسع المدينة • فاشترى بعض الاملاك التي تحيط بالجامع القديم وبنى بموضعها جميعاً الجامع الحالي وكان ذلك عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) وقد جمعت تكاليف بنائه من تبرعات المحسنين من الاهالي[٧] •

ويتكون هذا الجامع من مصلى يبلغ طوله ١٧ متراً ، وعرضه ١٣ متراً، وهو ذو محراب جميل يقع في زاوية منه • وتمتد أمام المصلى أروقة تنفتح على فناء الجامع ، وقد ثبتت قطعة رخامية كتب عليها تاريخ تشييد المرحوم

---

(٧) نقلا عن الاديب السيد راضي الطباطبائي •

الشيخ هادي الأسدي[8] للجامع عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) .
أما فناء الجامع فيبلغ طوله ٢٦ متراً وعرضه ٢٠ متراً وتقع في جهته الجنوبية المكتبة في قسم خاص . كما تقع في هذه الجهة مئذنة الجامع وهي مئذنة معدنية رفيعة ذات قاعدة آجرية .

٣ ـ **جامع الحاج حسون الناصر :**

وهو جامع صغير يقع في شارع المشروع وقد شيد عام ١٩٥٧ على أرض كانت موقوفة ، ويتكون من مصلى صغير يتصل بفناء الجامع .

٤ ـ **جامع العزة :**

ويقع في الجانب الغربي من المدينة في محلة العزة . وهو جامع حديث البناء شيد عام ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) وجمعت تكاليف انشائه من تبرعات المحسنين . ويتكون من مصلى واسع ذي محراب كتبت حوله آيات قرآنية. ويقع امام المصلى أروقة كما هو في تصميم أغلب المساجد . أما فناء الجامع فلا يزال بحاجة الى التعمير . وللجامع مئذنة تقع في الزاوية الشمالية الغربية من المصلى مبنية بالآجر المزجج (القيشاني) وتوجد على قاعدة المئذنة لوحة حجرية كتب عليها تاريخ البناء .

٥ ـ **جامع الحاج رشيد (أبو الهوا) :**

من الجوامع الصغيرة ويقع في منطقة الاسواق وقد شيد عام ١٩٦٦ . والمصلى فيه جميل البناء ويلحق به غرفة جانبية للمؤذنين .

٦ ـ **جامع الحاج عبود النجار :**

ويقع في منطقة مزدحمة من السوق . وقد شيد عام ١٩٦٧ ويمتاز بمئذنته الضخمة المطلة على السوق وهي ذات نقوش وكتابات بديعة ،

---

(٨) الشيخ هادي بن الشيخ مهدي بن أسد الله : أحد العلماء البارزين ولد عام ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م) . ومن أعماله الجليلة بناء هذا الجامع . وبعد أن توفي جعلت مكتبته وقفا للجامع المذكور وافتتحت باسمه وهي تضم كتبا نفيسة . وكانت وفاته عام ١٣٨١هـ (١٩٦١م) .

وكذلك بمحفل للقراء في طابق علوي من المصلى •

٧ ـ **جامع النصر :**

ويقع في محلة النصر في الجانب الغربي من المدينة وقد بوشر باشائه خلال هذا العام (١٩٦٧) ولم يتم بناؤه حتى الآن •

٨ ـ **جامع الحاج رضا السعدي :**

وهو جامع صغير جميل الهندسة يقع في شارع المشروع • وقد بوشر بتشييده خلال هذا العام أيضاً ولا يزال قيد البناء •

هذا ما يخص المساجد في الكوت • أما بالنسبة للاديان الاخرى فقد كان في هذه البلدة كنيس لليهود يعود تاريخه الى عام ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م)، كما كان فيها كنيسة للنصارى بنيت في عهد الاحتلال البريطاني للعراق حيث سكن الكوت بعض العوائل المسيحية غير أن هاتين الكنيستين تهدمتا عندما قامت بلدية الكوت بتوسيع الشوارع في عهد متصرفها السيد عباس البلداوي فزال أثرهما نهائياً • ومما يذكر في هذا المجال أن المتصرف المذكور خصص قطعتين من الأرض لبناء كنيستين عوضاً عنهما ، غير أن أحداً لم يراجع بشأن بنائهما حتى الآن • ثم اتخذ المسيحيون بعدئذ دارا ككنيسة لهم •

أما خارج مدينة الكوت فيوجد عدد من المراقد ، ولبعضها أهمية دينية وتاريخية ويقصدها الناس للزيارة ، وأهمها اثنان :

١ ـ **مرقد الامام السيد محمد أبي الحسن(٩) :ـ**

ويقع في الجانب الايمن من المدينة وفي طرف من مدينة الانوار ، شمال الطريق الذاهب الى بلدة الحي ، وفيه ضريح أحد السادة الذين

---

(٩) الامام أبو الحسن محمد التقي السابسي بن أبي محمد الحسن الفارس النقيب بن يحيى بن الحسين النسابة بن أحمد المحدث بن عمر بن يحيى بن الحسين ذي العبرة بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه • وعرف بالسابسي لما كان يملكه من الاقطاعات في سابس من جانبي نهرها المشهور ، وقد دفن بها ، وكان نقيب النقباء ببغداد

يعتقد بصحة نسبهم فهو يقصد من أماكن بعيدة للزيارة منذ أمد بعيد .

وتقوم على الضريح قبة يبلغ ارتفاعها حوالي خمسة أمتار . أما الضريح فعليه صندوق حديدي مزخرف بارتفاع زهاء متر ونصف . وتقع في مقدمة البناء أروقة ذات أعمدة . وكان البناء قد جدد عام **١٩٦٣** . أما البناء القديم الذي كان يشتمل على مسجد ملاصق للصحن فقد تهدم في أثناء الحرب العالمية الاولى وبقى حتى تهيأ له من يقوم باعادة بنائه بعدئذ .

٢ ـ مرقد الامام المنصور(١٠) :

ويبعد عن مدينة الكوت حوالى **١٢** كيلو متراً في الجهة الجنوبية

وأميرا على الحج . وكان لعقبه رياسة ونباهة ، ومن أبنائه أبو العلى محمد وأبو علي الحسن (وقيل الحسين وقيل عمر) وقد ذكر ذلك مؤلف عمدة الطالب ، وقال أن أبا علي الحسن كان سبب الفتنة بين العلويين والعباسيين وكان الشريف المرتضى رحمه الله يكرمه ويقول : اذا قيل (اللهم صل على محمد وآله) دخل علي ، فاذا قيل (الطاهرين) خرج ، وبقيتهما بواسط . هذا ما جاء في عمدة الطالب وهو ما استندت اليه في نسبة صاحب القبر الذي بخارج الكوت الى أبي الحسن محمد التقي السابسي لا سيما وأن ارض سابس تمتد الى الموضع الذي فيه القبر .

غير أنه عند تجديد القبر عام ١٩٦٣ روعي تثبيت النسب من قبل بعض أهالي الكوت على اعتباره محمد العابد بن الامام موسى بن جعفر . ولايضاح ذلك وضعوا لوحة مكتوبة على مدخل المرقد موقعة من بعض الشهود ومؤيدة من اثنين من العلماء . وهذا الامر يدعو الى اعادة النظر فيه من عدة وجوه منها : ١ ـ ان محمد العابد لا يكنى بأبي الحسن ، بل لم يخلف ولدا اسمه الحسن (عمدة الطالب ص٢١٦) ٢ ـ كان لمحمد العابد ابن اكبر اسمه ابراهيم فهو (محمد ابو ابراهيم) ، وهو لم يدفن في أرض سابس ، ٣ ـ لم يعرف صاحب القبر لدى الناس بانه ابن الامام موسى بن جعفر ، ولو كان كذلك لما بقي مجهولا طيلة هذه المدة ، بل نسب اليه بالتسمية لانه أشهر وأعرف . هذا فضلا عن أن أصحاب هذا الراي لم يذكروا المصدر التاريخي الذي اعتمدوا عليه . كما ان (عمدة الطالب) الذي استندوا اليه لم يزد في قوله عما ذكرناه آنفا (راجع عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ـ للنسابة جمال الدين الحسني المعروف بابن عنبه المتوفى سنة ٨٢٨هـ ـ ص٢٨٠ ـ ط النجف ١٩٦١) .

(١٠) لم يثبت لدينا نسب ما للامام المنصور فهو لايزال مجهولا بالنسبة للمتتبعين والباحثين ويظن بأنه أحد العباسيين من أصحاب الاقطاع في هذه

الشرقية منها . ويوصل اليه بطريق الحي المبلط ثم يُسلك طريق فرعي حتى المرقد . وتشاهد قبته من بعيد وهي مبنية على مرتفع من الارض .

والقبة قديمة البناء متداعية الاركان ، يبلغ ارتفاعها حوالي أربعة أمتار ، مقامة على اربعة ركائز قوية وحولها مدرج متهدم . وتدل الاثار الموجودة هناك على وجود بناء قديم ملحق بالقبة تهدم منذ زمن بعيد ولم يبق منه غير الآجر المكسر . ويوجد في الضلع الشمالي من البناء آثار باب منخفض قد يؤدي الى موضع معين . أما القبر فيبلغ ارتفاعه حوالي المتر ، ولا توجد عليه ولا على البناء أية كتابة أو أثر يدل على صاحب القبر .

وقد لعب هذا الموضع دوراً مهماً في حصار الكوت خلال الحرب العالمية الاولى .

مدارس الكوت :

في مدينة الكوت عدد كبير من المدارس المختلفة نسبةً الى عدد السكان ، منها ٣٥ مدرسة ابتدائية وللبنات منها ١٨ مدرسة .

أما المدارس الثانوية فهي أربع للبنات وست للبنين ، ومدرسة ثانوية أهلية ، ويحسب مع ذلك دار للمعلمين ودار للمعلمات ومدرسة للفنون البيتية ، اضافة الى معهد الادارة المحلية ، وهو عدد من المدارس كبير لا يستهان به يضارع النهضة الثقافية التي تقبل عليها البلاد ، ويدل على الرغبة الشديدة الى التعليم .

مؤسسات اخرى :

وفي الكوت مستشفيان احدهما للاطفال وثمانية دور للمعالجة

المنطقة . ولا شيء يثبت الروايات العديدة التي تقال عن هذا القبر والتي لا تستند الى اساس صحيح . كما أن بعض الرحالة مروا بهذا المرقد قبل اكثر من مائتي سنة ولم يذكروا شيئا عن صاحبه منهم مصطفى الصديقي الذي زار العراق عام ١١٣٩هـ (١٧٢٦م) ودوّن في رحلته الموجودة نسختها المصورة في مكتبة الآثار قوله : « ولما قابلنا سيدي منصور ابا الحسين قرأنا له الفاتحة ، ولم نزل نسير الى ان وصلنا قرية الحي الجديدة » .

(مستوصفات) وست صيدليات أهلية • وفيها من النوادي اربعة (نادي الموظفين والنادي العسكرى ونادى المثنى ونادى العزة) اضافة الى دار الاستراحة العائدة الى مديرية مصلحة المصايف •

وفي المدينة خمسة مصارف (بنوك) هي المصرف التعاوني ومصرف الرافدين والمصرف العقاري ومصرف الرهون والمصرف الزراعي ، وفيها ثلاث حمامات تقع قريباً من منطقة الاسواق • وفيها من الاماكن القديمة مقبرة الانكليز التي يرجع تاريخها الى زمن الحرب العالمية الاولى (عام ١٩١٥) وهي تضم ٤١٨ قبراً من قبور الجيش البريطاني الذي كان موجوداً في ذلك الوقت • وبالمثل يوجد مقبرة خارج المدينة لشهداء الجيش التركي الذين قتلوا في معركة الكوت وتقع في منطقة الداموك التي وقعت بالقرب منها معارك الكوت •

كما أن المدينة لا تخلو من أماكن سياحية كالمتنزهات والكازينوات • ومن أهم مشاريعها المطروحة على بساط البحث فتح شارع الكورنيش المحاذي للنهر على طول دورته في شبه الجزيرة النهرية ، وسيكون طوله بضعة كيلومترات وهو ذو أهمية كبيرة لا تنكر •

الاعمال الكبيرة

ظهرت في مدينة الكوت منذ أول تشكيل الحكم الوطني في العراق،مشاريع كبيرة • ولا شك أن أقدمها هو مشروع سدة الكوت الذي حصل على اهتمام كبير من الحكومة الوطنية آنذاك ثم تلاه عدد آخر من المشاريع لا يزال بعضها لم ينجز حتى الآن •

١ ـ سدة الكوت :

كان نهر دجلة في القرون الاولى من العهد الميلادي يجري في مجراه الشرقي • وفي أول القرن السابع بعد الميلاد حدثت فيضانات شديدة خربت السدود المحيطة بالنهر لا سيما في مواضع قريبة من الموضع الذي شيدت عليه مدينة الكوت فيما بعد ، فتسرب قسم عظيم من مياه النهر الى منطقة ما بين النهرين مما دفع ملوك الفرس الى محاولات يائسة للتغلب على المياه ببناء سد على النهر في ذلك الموضع • ثم تكررت المحاولة في زمن الوالي الاموي على العراق خالد بن عبدالله القسري[١] حيث عمل على بناء سد من الآجر والصاروج (وهو مادة كالاسمنت تصنع بخلط النورة أو الكلس مع الرماد) على دجلة في موضع تحول المجرى والذي يعرف حالياً بتلول الخيزرانة (أو قناطر الخيزران كما سماها اليعقوبي) جنوب الكوت غير بعيد عن سدة الكوت الحالية ولكنه فشل هو الآخر بمحاولته وجرف الماء السد[٢] •

---

(١) خالد بن عبدالله القسري : ٦٦ ـ ١٢٦هـ (٦٨٦ ـ ٧٤٣م) أمير العراقين وأحد خطباء العرب وأجوادهم • ولي مكة في زمن الوليد بن عبدالملك ، ثم ولاه هشام العراقين (الكوفة والبصرة) سنة ١٠٥هـ (٧٢٢م) فأقام في الكوفة وطالت مدة ولايته الى أن عزله هشام سنة ١٢٠هـ (٧٣٧م) وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره أن يحاسبه ، فسجنه يوسف وعذبه ثم قتله •

(٢) الخراج ـ ص٢٤٠ وفتوح البلدان ـ ص٢٩٩ وري سامراء ج٢ ص٤٢٨ •

وفي عام ١١٢٢هـ (١٧١٠م) جرت محاولة ثالثة من هذا النوع في المنطقة نفسها ، ولكنها في هذه المرة كان الغرض منها اقامة السد على المجرى الشرقي من النهر لا الغربي وذلك في زمن والي بغداد الوزير حسن باشا ، فقد قام هذا الوالي بسد شط العمارة لتحويل النهر الى مجراه الغربي الذي يجري باتجاه واسط • وقد بدأ العمل به في اليوم الخامس من رمضان من العام المذكور واستمر لمدة ٥٣ يوما حتى أتمه وبذل اهتماما زائدا به ، وصرف من أجل ذلك مبالغ طائلة • ولما عاد الى بغداد فاضت دجلة فحدثت ثلمة في الجانب الغربي من هذا السد وعادت المياه الى مجراها الاول وتخرب السد وظل النهر على سابق وضعه[٣] •

وقد كان الغرض الرئيس من هذه السدود السيطرة على مياه دجلة والوقوف بوجهها كلياً لتحويلها الى مجراها القديم • غير أنه بعد فترة طويلة من الزمن برزت في المنطقة ذاتها وقريباً من موقع السدود الاولى سدة راسخةالاركان قوية البناء هيسدة الكوت ذات الاهمية الاروائية الخطيرة والتي لا تشابه في عملها السدود القديمة فهي تختلف عنها بأنها تعمل على حجز مياه دجلة لرفع منسوبها وتحويل بعضها الى نهري الغراف والدجيلة وامرار الباقي دونما تحويل ، ويكون ذلك بطريقة آلية منظمة تفتقر الى مثلها تلك السدود القديمة •

وأول دراسة لانشاء سدة ميكانيكية حديثة على دجلة كانت في عهد الحكومة العثمانية حيث كلفت هذه الحكومة مهندس الري الانكليزي المعروف السير وليم ويلكوكس بوضع تصاميم لبناء هذه السدة • فقدم تقريرا عام ١٩١١ يقترح فيه انشاء قناطر لتنظيم الارواء[٤] • غير أن نشوب الحرب العالمية الاولى جعل الحكومة العثمانية تصرف النظر عن المشروع

---

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ـ ج٥ ص١٨٦ نقلا عن كتاب (قويم الفرج بعد الشدة) لمؤلفه المولوي المتوفى عام ١٧٤٠م •

(٤) تطور الري في العراق ـ الدكتور احمد سوسة ـ ص١٢٩ •

لانشغالها بهذه الحرب التي انتهت بسقوط الدولة العثمانية وانسحابها من العراق •

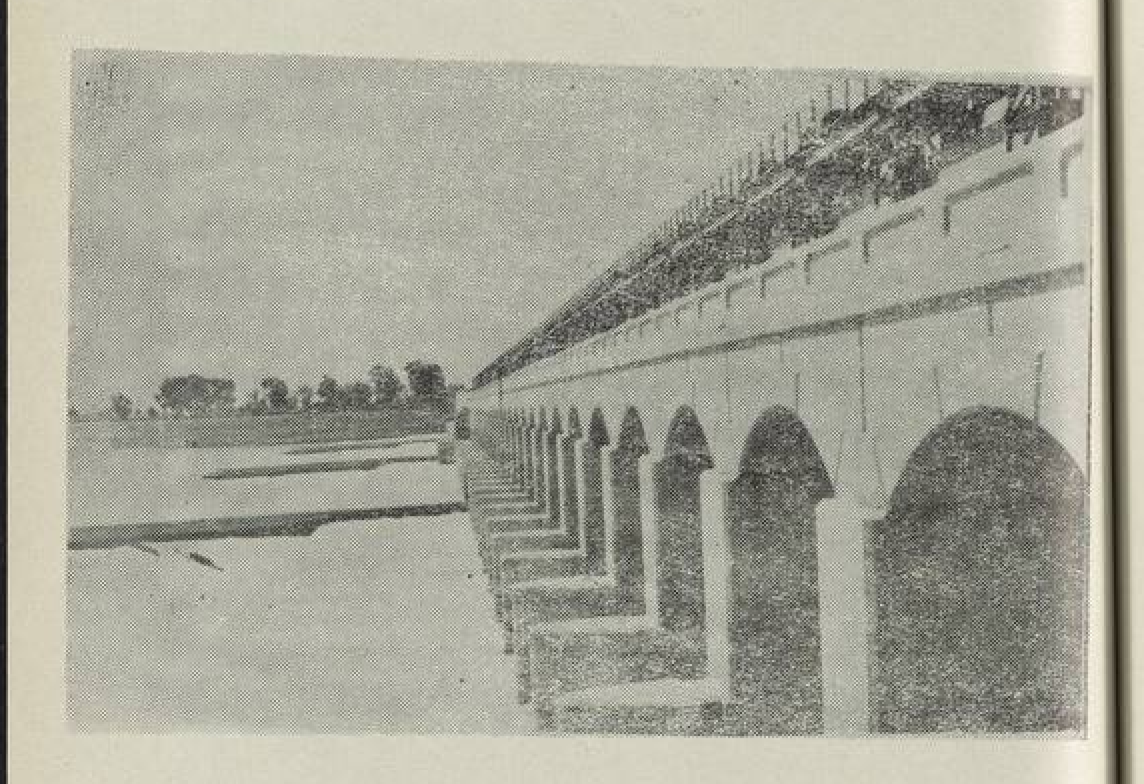
وعند تشكيل الحكومة الوطنية فكر المسؤولون بانشاء السدة على دجلة لتنظيم ارواء أراضي الكوت بعد أن كانت مياه دجلة تنقطع عن المرور في نهر الغراف بضعة أشهر في منتصف كل سنة ، ومن جراء ذلك ضعف الاعتماد على مياه الغراف في سقي المحاصيل الصيفية ، وحتى الشتوية أحياناً، فرجعوا الى تقرير السير وليم ويلكوكس لحل المشكلة • ثم هيئت التصاميم من قبل المهندسين الاستشاريين في لندن (كود وولسون ومايكل وفوغانلي) ، وبعد أن وضعت الاعمال بالمناقصة رست على شركة بلفور بيتي الانكليزية بمبلغ (١٫١١٩٫٤٣٠) ديناراً • وقد بوشر بالعمل في أواخر سنة ١٩٣٤ في الجانب الأيمن من النهر أولاً حيث عزلت مساحة واسعة تضم ناظم الغراف والكتف الايمن من السدة الرئيسة بتشييد حاجز موقت للاشتغال بمعزل عن المياه • وقد انجز بناء السدة وافتتحت رسمياً عام ١٩٣٩ • وهي تقع عند الحدود الشمالية لمدينة الكوت آنذاك • وتتكون من ٥٦ فتحة عرض كل منها ستة أمتار ، وعرض كل دعامة بين فتحتين متجاورتين ٢٫٢٥ متر ، وارتفاعها من الارضية الى بداية القوس ثمانية أمتار • ويبلغ طول السدة ٥٠٠ متر • وجعل لها ممر للسفن (هويس) عرضه ١٦٫٥ متراً وطوله ٨٠ متراً •

وبانشاء هذه السدة تم أرواء ما يقارب مليون وربع من الدونمات فضلا عن الاستفادة من المشروع المذكور في مشاريع جديدة مثل مشروع الدجيلة الذي يروي مساحة قدرها ٤٣٠٫٠٠٠ دونم ، وكذلك مشروع الدلمج الذي تبلغ مساحة أراضيه ٤٠٠٫٠٠٠ دونم[٥] •

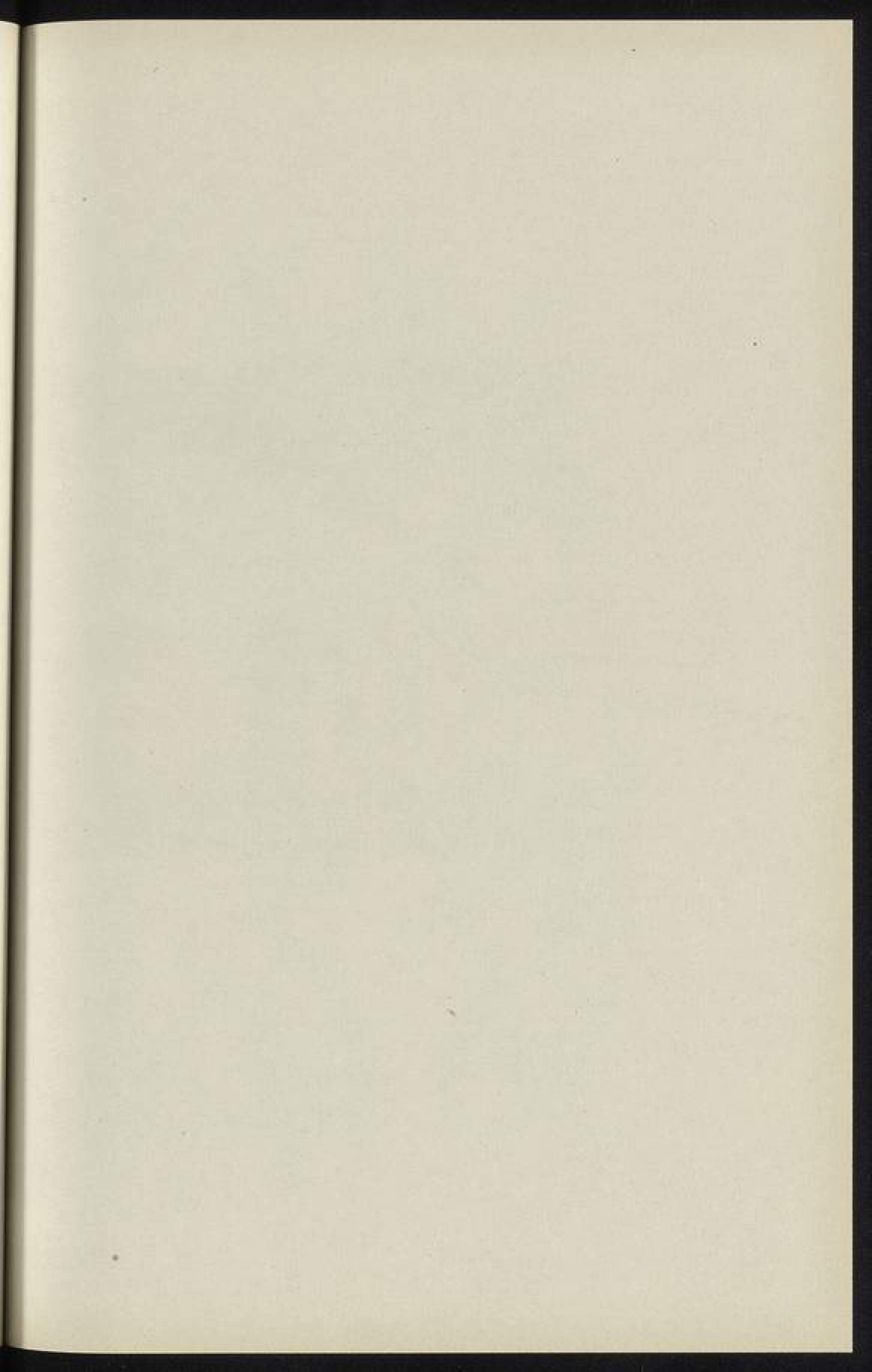
ويلحق بالسدة ناظم الغراف ويقع على صدر الغراف الجديد الذي حفر بشكل قناة طولها ثلاثة كيلومترات تتصل بنهايتها البعيدة بالمجرى

---

(٥) الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦ ونشرات مديرية الري في لواء الكوت •



سدة الكوت



القديم • ويقع هذا الصدر في الجانب الايمن لدجلة ، شمال السدة للاستفادة من ارتفاع منسوب المياه • ويتكون الناظم من سبع فتحات عرض كل منها ستة أمتار • كما جعل هويس صغير للملاحة عرضه ثمانية أمتار •

وكذلك ناظم الدجيلة الذي أُنشيء عام ١٩٤٠ والذي يتفرع من جانب النهر الأيمن أيضاً في نقطة تقع على بعد ٣٣٠ متراً شمال السدة ويتكون الناظم من فتحتين عرض كل منهما خمسة أمتار • ويجري هذا النهر (أي الدجيلة) بموازاة نهر الدجيلة القديم ، ويتفرع منه ١٣ جدولاً (شاخة) تروي الأراضي التي على جانبي النهر •

وقد تقرر أخيراً تعريض سدة الكوت ليكون الجسر عليها ذا ممرين للذهاب والاياب ، مع تحسين ممر الاسماك بحيث يسمح بمرور أكبر كمية من الاسماك بالاتجاه المعاكس لتيار الماء وذلك لغرض المحافظة على الثروة الحيوانية في البلاد • وقد أدمجت مقاولة تعريض السدة ضمن اتفاقية مشروع الدلمج (تحت رقم ١٤) رغم أنها ليست لها علاقة بالمشروع المذكور • وقد بوشر بالتعويض خلال هذا العام ولما ينته بعد حتى الآن •

٢ ـ **مشروع الدلمج :**

وهو مشروع زراعي ضخم ، الغرض منه تحسين الري والبزل في منطقة زراعية تقدر مساحتها باربعمائة الف دونم من الارض الواقعة بين الكوت وقضاء النعمانية (أرض الدلمج) والتي تروى من ثلاثة جداول رئيسة هي جدول المزاك وجدول الحسينية وجدول حوار • وقد قدر كلفة المشروع بأكثر من خمسة عشر مليون دينار تصرف على ١٥ مقاولة يتم تنفيذها بالتدرج حسب أهميتها ، وتبعاً لبرنامج خاص موضوع لهذا الغرض ، غايتها رفع مستوى سدة الكوت الحالي وذلك بتعلية أبوابها ، وتوسيع الأنهر الاروائية مع انشاء مبازل لها رئيسة وثانوية تلافياً لتراكم الأملاح ، وكذلك انشاء مجموعات سكنية • وسيتم تنفيذ المشروع خلال الخمس سنوات القادمة

ويستفاد منه لاسكان عشرة آلاف عائلة فلاحية تعمل على أسس الزراعة الحديثة • وقد بوشر بالمشروع ولا يزال العمل في منطقة السدة ومنطقة المزاك والحسينية قائماً على قدم وساق •

٣ ـ معمل الحياكة والجواريب :

وهو أحد المشاريع الكبيرة في مدينة الكوت ووجه من أوجه نهضتها الصناعية وعامل من عوامل رفع المستوى الاقتصادي فيها •وربما أخذت الكوت ـ وهي وريثة واسط العظيمة ـ تحتل مكانة مرموقة في صناعة النسيج لتكون وريثتها في هذه الصناعة أيضاً • وقد كانت واسط تشتهر بصناعة نسيج مبتكر يستعمل في صناعة الشفوف يعرف بالنسيج الواسطي(٦)•

وقد افتتح هذا المعمل عام ١٩٦٦ وأخذت منتوجاته تغزو الأسواق العراقية وهي لا تقل جودة عن المنتوجات الاجنبية •

وكان هذا المعمل قد انشيء بموجب الاتفاقية العراقية السوفيتية المصادق عليها في كانون الثاني ١٩٦٠ • واختيرت الكوت مكاناً لانشائه فيها باعتبارها من المناطق الزراعية المنتجة للقطن •

وتقع المنشآت الخاصة بهذا المعمل في الجانب الايسر من نهر دجلة في الجهة الشمالية الغربية من المدينة وعلى بعد كيلومتر ونصف منها • وتبلغ مساحة المعمل وملحقاته أكثر من خمسة عشر هكتارا من الارض ، تشغل الابنية منها مساحة قدرها ١٤٨٧٦ متراً مربعاً • وكانت كلفة انشائه ٢٫٣١٧٫٠٠٠ دينار ، وقد صمم لانتاج ستة ملايين زوج من الجواريب وما يقارب الخمسة ملايين قطعة من الملابس الداخلية والخارجية المختلفة سنوياً • ويعمل في هذا المعمل أكثر من ١٣٠٠ عاملة وعامل من أهل المدينة •

وكان في التصميم الأساسي أن يشيد هذا المعمل بجانب معمل آخر أكبر منه هو معمل الغزل والنسيج القطني الذي يجري العمل لبنائه حالياً ، ليتزود من هذا المعمل بالغزول اللازمة لانتاجه ، وليشترك معه بالمراجل

---

(٦) دائرة المعارف الاسلامية ـ مادة (واسط) •

البخارية وبأسالة الماء والمجاري وبالطاقة الكهربائية وغيرها من المرافق العامة •

٤ ـ معمل الغزل والنسيج القطني :

ويعتبر أكبر معمل للنسيج في العراق ومن أكبر معامل الشرق الأوسط ، ولا يزال العمل مستمراً في بنائه وهو يقع الى جانب معمل الحياكة الذي سبق ذكره وفي الجهة الجنوبية منه •

وكانت قد تشكلت لجنة لدراسة امكانية انشاء هذا المعمل بموجب الامر الوزاري الصادر عن وزارة الصناعة المرقم ٦٥ في ايلول ١٩٦٠ ، وتم التعاقد على انشائه مع شركة تكنو اكسبورت السوفيتية لغرض انتاج الاقمشة والمنسوجات القطنية الداخلية والخارجية والمصبوغة والمطبوعة ، واستخدام القطن العراقي في ذلك •

وسيحتوي المعمل المذكور على ٦٠٫٢٨٨ مغزل و ١٢٢٠ نول نسيج ، وقسم ضخم للتكملة والصبغ وبذلك فهو لا يضارعه معمل آخر في العراق بضخامته • كما أنه سينتج ٤٢٣٢ طن من الغزول سنوياً اضافة الى ذلك ، ليستعمل قسم منها في معمل الحياكة والجواريب القائم بجانبه • وسيلحق بالمعمل عدة وحدات فنية منها وحدة تدريب العمال الجدد ووحدة توليد البخار لقسم الصباغة ووحدة تصفية الماء واسالته لاستعماله لاغراض المعمل بمقدار ثمانية آلاف متر مكعب يومياً وغير ذلك • ويلحق بالمعمل محطة لتوليد الطاقة الكهربائية واقسام ضخمة للادارة واستراحة العمال والمطاعم والمساكن تتخللها حدائق واسعة • وقد انجز من المعمل ووحداته وأقسامه الجزء الاكبر ولا تزال بقية أجزائه في طور البناء والتشييد •

٥ ـ حقل الدواجن ومشروع الاسماك :

وهما من مشاريع الادارة المحلية المهمة في اللواء ولهما أثرهما الكبير في توفير المواد الغذائية للمواطنين كالبيض ولحوم الدجاج والاسماك • وقد

تبنى فكرة انشاء هذين المشروعين وقام بتنفيذها متصرف الكوت السابق السيد أنور ثامر • فأما حقل الدواجن فهو الاكبر والأهم منهما وقد بوشر بانشائه في آذار ١٩٦٥ وخصص له مبلغ ٤٠ ألف دينار لبناء قاعات واسعة في منطقة المشتل الواقعة شمال الكوت بمسافة ثمانية كيلومترات وهي قاعات كبيرة صحية تحتوي على أجهزة حديثة اوتوماتيكية لتجهيز الغذاء على أشرطة متحركة ومدّها بالماء اللازم للشرب بصورة مستمرة وكذلك جمع البيض وتصنيفه وتعبئته بصورة آلية • ويقع هذا المشروع على أرض تبلغ مساحتها ٤٨ دونماً شيدت عليها القاعات وجناح الادارة والمختبر وغرفة تبريد البيض وشغلت الحدائق قسما منها • وقد الحق بالمشروع مزرعة لانتاج العلف للدجاج من الشعير والذرة باشراف مديرية زراعة اللواء • ويحتوي الحقل في الوقت الحاضر على ما يقارب العشرين ألف دجاجة ولا يزال المشروع في طور النمو ويؤمل أ ن يصل انتاجه الى مائة ألف بيضة يومياً •

أما مشروع تربية الاسماك فقد افتتح في كانون الثاني عام ١٩٦٥م ويتكون من تسعة أحواض مساحة كل منها أربعة آلاف متر مربع وبعمق مترين ونصف خصصت للاسماك الأجنبية من النوع الأندونيسي مع حوض آخر مساحته أكثر من ٩ آلاف متر مربع خصص لتربية الاسماك العراقية • وتقع الاحواض هذه الى جانب حقل الدواجن بينه وبين مشتل الغابات على طريق بغداد وقد شيدت على أسس فنية لتربية الأسماك وتغذيتها وكانت كلفة تشييدها خمسة عشر ألف دينار • وقد شيد الى جانبها كازينو لجعل المنطقة مركزا سياحيا •

نظرة الى اللواء

لواء الكوت من ألوية العراق الاوسط ، وطبيعة أراضيه سهلة منبسطة ومتدرجة بالانحدار من الشمال والشرق الى الجنوب والغرب • وقد ساعد الانحدار المتدرج على ارواء هذه الاراضي بسهولة ماعدا قضاء بدرة الذي يصعب ارواء أراضيه لارتفاعها • وتبلغ مساحة هذا اللواء ١٦٥٥٤ كيلومتر مربع وتعادل ٦٫٢٨٥٫٠٠٠ دونم ، وتؤلف ٣٫٧٪ من مساحة العـــراق الكلية ، منها ١٨٧٥ كيلومتر مربع صالحة للزراعة •

التكوين الجيولوجي :

وأرض لواء الكوت رسوبية تكونت مما حمله نهر دجلة وروافده من طمى وترسبات خلال فترات التاريخ الطويلة ، حيث تدل التنقيبات الاثرية على أن أرض الكوت كانت مغمورة بمياه البحر في العصر الحجــري القديم • وتكتنف أرض اللواء عدة اهوار أشهرها هور الشويجة الواقـع في الجهة الشرقية من نهر دجلة شمال‌شرقي مدينة الكوت وهو قليل العمق يجف في بعض فصـول السنة • وهور دلمج الذي يقع في الجهة الغربية من النهر ويمتد حتى لواء الديوانية •

المنـــاخ :

يتمثل في لواء الكوت مناخ المنطقة الوسطى من العراق اذ يبلغ أعلى معدل لدرجات الحرارة في شهر آب ٤٤٫٣ درجة مئوية ، وأدنى معدل لها في شهر كانون الثاني ٥٫٢ درجة مئوية • وتمتاز الكوت بالاختلاف الظاهر بين درجات حرارة النهار عنها في الليل • أما معدل سقوط الامطار في اللواء فيبلغ ١٣٤٫٤ مليمتر ، وأعلى نسبة لسقوطها في شهر كانون الاول •

الحالة الاقتصادية :

يعيش أهالي اللواء على الزراعة في أغلب المناطق ، اذ لها الاهمية الاقتصادية الاولى • وتمتاز أرض لواء الكوت بخصوبتها ووفرة انتاجها الزراعي ، ويسقى أكثرها بالمضخات وبعضها بالجداول • ويمتاز هذا اللواء بمحاصيله من الحبوب المختلفة والقطن والخضروات والفواكه ، أما النخيل فيوجد على نطاق ضيق •

ثم تأتي الصناعة تاليةً بالأهمية وقد نشطت في الفترة الأخيرة بعد بناء المصانع الكبيرة في مدينة الكوت وغيرها • وتنتشر صناعة البسط والسجاد في بعض مناطق الكوت • وتدل احصائية عام ١٩٦٤ على أن المؤسسات الصناعية الكبيرة في اللواء بلغ عددها ١٥ مؤسسة ، أما الصغيرة فهي ٥٧٩ مؤسسة[١] •

وتحسب لتربية المواشي أهمية كبرى عند ذكر الحالة الاقتصادية في اللواء ، حيث تشتهر هذه الأرض بأغنامها وأبقارها وابلها التي تربى بقطعان كبيرة • وكذلك يشتهر اللواء بوفرة الأسماك في مياهه • أما التجارة فهي ضئيلة الاهمية ولا تزال الطرق النهرية تستخدم في نقل البضائع على نطاق ضيق فضلاً عن الطرق البرية الحديثة التي تمتد بين الكوت والالوية المجاورة •

الحالة الاجتماعية :

يبلغ نفوس اللواء ٣٣٥ر٤٩٥ نسمة حسب احصائية عام ١٩٦٥ يتوزعون على مدن اللواء (ذكرناها في بحث سابق) وقراه التي يبلغ مجموعها ١١٢١ قرية وبواديه التي تنتشر فيها العشائر المتنقلة والرعاة •

وينتمي معظم أهالي لواء الكوت الى عشائر عربية سكنت ضفاف دجلة والغراف منذ قديم الزمن • ومن هذه العشائر الموجودة حالياً نذكر مايلي :

---

(١) المجموعة الاحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٦٥ الصادرة عن دائرة الاحصاء المركزية في وزارة التخطيط •

١ ـ ربيعة :

وهي احدى القبائل العربية العدنانية وترجع بنسبها الى ربيعة بن عجل بن لجم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل[٢] وكانت منازلها في العراق منذ ما قبل الاسلام وهي ذات مكانة مرموقة بين القبائل العربية في العراق وتنتشر في عدة ألوية كلواء الناصرية والعمارة والبصرة الا أن مجموعتها الكبيرة تسكن في لواء الكوت وفيه مركز امارتها • ويمتهن معظم أفراد القبيلة الزراعة ، وأشهر أفخاذها :

(١) الأمارة : يراد بها أمارة قبيلة ربيعة ومركزها الحسينية (ناحية الاحرار) •
(٢) السراي (السراج) : وتسكن في الجانب الشرقي من الغراف وفي ام حلانة •
(٣) المياح : ومنازلها تجاور منازل السراي •
(٤) المقاصيص : ويسكنون الدجيلة وام البرام •
(٥) الكريش (قريش) : ويسكنون في جانبي دجلة وفي أنحاء النعمانية •
(٦) بنو عمير : ومنازلهم في الجانب الأيمن من دجلة بينها وبين الغراف •

٢ ـ الزبيد :

وهي قبائل وبطون كثيرة تسكن مناطق عديدة من العراق لا سيما في لواء الكوت على نهر دجلة • ومن فروعها :

(١) البو سلطان : وتسكن في مناطق متفرقة من العراق •
(٢) الجحيش : ومواطنهم متباعدة في انحاء كثيرة ويكادون بكثرتهم يعدلون سائر عشائر الزبيد •
(٣) السعيد : ويسكنون الوية متفرقة ويمتهنون الزراعة •

٣ ـ بنو لام :

وهم عرب قحطانيون ينتسبون الى لام بن عمرو بن طريف بن عمرو

---

(٢) عشائر العراق ـ العزاوي ـ ج٤ ص١٦٤ •

ابن ثمامة الطائي القحطاني • وقد كانت مرابعهم في مدينة يثرب في الحجاز قبل نزوحهم الى بلاد اليمن • وعندما تهدم سد مأرب نزحوا الى شمال الجزيرة العربية في العراق وسوريا[٣] وسكنوا على ضفاف دجلة في العراق في منطقة لوائي الكوت والعمارة • وكان لهذه العشائر في زمن الدولة العثمانية نفوذ سياسي مرموق • ومن فروع بني لام :

(١) آل نصيري : ومنهم الطعان وهم أولاد طعان بن فرج بن نصيري ويسكنون قضاء بدرة •

والمعلى : أولاد معلى بن فرج بن نصيري ويسكنون جصان ومندلي وبدرة ، والعبد الشاه في بدرة •

(٢) آل نصار : وينسبون الى نصار بن حافظ بن براك ومنهم (الرحمة) وينتسبون الى رحمة بن نصار • ومنهم أيضا (الخميس) في انحاء بدرة وجصان •

(٣) الحويفظ : وهم أولاد حويفظ بن براك[٤] •

٤ ـ شمر :

وهم من قبائل شمر الأصليين نزحوا الى العراق منذ مدة طويلة وسكنوا في الجانب الشرقي من دجلة بين نهر ديالى والكوت الى ما يقرب من منطقة (شادي) وقد تركوا البداوة في الوقت الحاضر ، ويدعون شمر طوقة ومنم :

(١) الصلتة : ومن فرقهم المجابلة والدلابحة والداور الذين يسكنون همينية في أنحاء العزيزية ، وعتبة والخوالد الذين يسكنون أراضي الدبوني ، والقراغول في أراضي الغراف •

(٢) الغرير : ومن فرقهم المناصير وكفيفان وشويفي وهيرار والنفافشة •

(٣) الصدعان : ومنهم الثوابت والطليحة والدلفية[٥] •

---

(٣) تاريخ العمارة وعشائرها ـ ص٣٦ •
(٤) عشائر العراق ـ العزاوي ـ ج٣ ص٢٢٣ •
(٥) المصدر نفسه ـ ج١ ص٢٣٣ •

٥ ـ **الدليم :**

ومنهم المصالحة في قضاء النعمانية ، والجحاليون في النعمانية أيضاً •

٦ ـ كما أن هناك عشائر وافخاذاً متفرقة تسكن في بعض أنحاء اللواء مثل زوبع ومنهم الكروشيون[٦] في الموفقية ، وكذلك الكوام الذين يسكنون قرب الامام منصور في أم حلانه ، والصميدع في العزيزية[٧] وغيرهم •

الحالة الثقافية :

وقد حفلت هذه الأرض منذ أن عرفها التاريخ العربي بمحافل العلم وازدهرت فيها الثقافة والمعرفة ، وحازت واسط على قصب السبق بين أقرانها من المدن والبلاد فحصلت على مكانة علمية وأدبية مرموقة • وقد قال عنها محمد المهدي المشعشعي الواسطي :

مدينتنا أرض العراق بواسط   مدينة أهل العلم والفضل والعمل[٨]

وقد انشئت في واسط عدة مدارس لتدريس القرآن والعلوم المختلفة منها مدرسة خطلبرس في الجانب الشرقي من المدينة ، والمدرسة البرانية (ولعلها هي مدرسة خطلبرس ذاتها)[٩] ، والمدرسة الشرابية التي شيدها أبو الفضائل الشرابي بالجانب الشرقي من واسط ورتب فيها مدرساً واثنين من المعيدين واثنين وعشرين فقيهاً ، وجعل لها وقفاً لينفق منه على صيانتها

---

(٦) ربما كانوا من أهل واسط العريقين وقد نزحوا عنها بعد ان هجرت تماما وقد دعوا بالكروشيين نسبة الى واسط التي كتب عنها الحجاج الى عبدالملك بن مروان بعد ان فرغ من بنائها قوله « اني اتخذت مدينة في كرش من الارض » فسمي أهل واسط بالكروشيين (راجع معجم البلدان مادة : واسط) •

(٧) المصدر السابق ـ ج٤ ص٢٠٠ ، ص٢٣٦ •

(٨) تاريخ المشعشعين ـ ص١٨ •

(٩) المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة ـ ناجي معروف ـ ص٢٦٤ •

وبقائها ، واحتفل بافتتاحها سنة ٦٣٢هـ (١٢٣٤م) احتفالاً فخماً[١٠] ، ومدرسة ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي أحد ولاة العراق في العهد المغولي التي بناها في قرية المأمن من أعمال واسط[١١] ، ومدرسة تقي الدين عبد المحسن الواسطي التي ذكرها ابن بطوطه في رحلته الى واسط وقال عنها بأنها « مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاثمائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعلم القرآن ، عمرها الشيخ تقي الدين عبدالمحسن الواسطي وهو من كبار أهلها وفقهائها ، ويعطى لكل متعلم بها كسوة في السنة ويجري له نفقته كل يوم »[١٢] ، وكذلك مدرسة الغزنوي وتقع بمحلة الوراقين ومدرسة ابن الكيال الواسطي ومدرسة ابن ورام (جاء ذكرها في تاريخ بحشل) ، هذا الى جانب عدد من الربط التي يدرس فيها القرآن الكريم وتجويد قراءته في واسط وغيرها من بلدان تلك المنطقة .

وقد أنجبت واسط كثيراً من العلماء والادباء الذين كانوا نجوماً لامعة في سماء الحضارة العربية نذكر عدداً منهم ظهروا خلال فترات متباينة من تاريخ هذه المدينة ، منهم ابراهيم بن محمد بن عرفة الازدي الملقب (نفطويه) وكان اماماً في النحو واللغة وفقيهاً مسنداً في الحديث ، ومن مؤلفاته (غريب القرآن) و (كتاب الوزراء) .

ومنهم أبو العلاء محمد بن علي بن أحمد بن يعقوب الواسطي : اشتهر بالعلوم والقراءات وتوفي عام ٤٣١هـ (١٠٤٠م) .

ومنهم أحمد بن علي الرفاعي الامام الفقيه الزاهد مؤسس الطريقة الرفاعية وقد ولد في قرية (حسن) من أعمال واسط ، وتفقه وتأدب في واسط وتوفي عام ٥٧٨هـ (١١٨٢م) .

ومنهم القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطي ومن مؤلفاته (شرح اللمع لابن جني) و (شرح التصريف الملوكي) و (شرح المقامات

---

(١٠) الحوادث الجامعة المنسوب الى ابن الفوطي ــ ٧٦ .
(١١) المصدر السابق ــ ص٣٧٢ .
(١٢) رحلة ابن بطوطة ــ لابي عبدالله محمد الطنجي المعروف بابن بطوطة ــ ص١١٤ .

الحريرية) و (كتاب خطب) وقد توفي عام ٦٢٦هـ (١٢٢٩م) .

ومنهم نجم أحمد بن غزال بن مظفر الواسطي وكان شيخاً للقراء في واسط وتوفي عام ٧٠٧هـ (١٣٠٧م) .

ومنهم يحيى بن عبدالله بن عبدالملك الواسطي وكان فقيه العراق في زمانه ودرس في المدرسة البرانية بواسط ، وله كتاب في الناسخ والمنسوخ وكتاب (مطالع الانوار النبوية) . وتوفي في واسط عام ٧٣٨هـ (١٣٣٧م).

ومنهم عبدالله بن عبدالمؤمن التاجر الواسطي : وقد اشتهر بالقراءات وسافر الى دمشق والقاهرة ، ومن مؤلفاته (المختار في القراءة) و (الكنز في القراءات العشر) و (روضة الازهار) و (اللمعة الجلية) . وكان ينظم الشعر ، توفي عام ٧٤١هـ (١٣٤٠م) .

ومنهم علي بن محمد بن يعيش المعروف بالزين الواسطي : العالم الزاهد وقد توفي عام ٨١٩هـ (١٤١٨م) .

ومنهم خلف بن محمد بن علي بن حمدون الواسطي الحافظ ، صاحب كتاب (اطراف احاديث صحيحي البخاري ومسلم) .

ومن مؤرخي واسط : اسلم بن سهل الرزاز المعروف ببحشل المتوفى في حدود سنة ٢٨٨هـ (٩٠٠م) وله كتاب (تاريخ واسط) .

وكذلك أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن المغازلي الجلابي المتوفى سنة ٥٣٤هـ (١١٣٩م) .

ومنهم أيضاً أبو عبدالله محمد بن سعيد الدبيثي المتوفى سنة ٦٣٧هـ (١٢٣٩م) وله كتاب في تاريخ واسط .

ومنهم السيد جعفر بن محمد بن الحسن المعروف بالجعفري ، وغيرهم كثيرون ممن نبغ من أهل واسط بالعلوم والآداب والفقه والتاريخ في مختلف العصور[١٣] .

---

(١٣) راجع : (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة) المنسوب الى ابن الفوطي و (الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة) لابن حجر العسقلاني و (الاعلام) للزركلي و (كشف الظنون) لحاجي خليفة و (معجم البلدان) لياقوت الحموي و (واسط) لفؤاد سفر .

كما ان المدن الاخرى ـ غير واسط ـ في هذه المنطقة التي سميت فيما بعد باسم لواء الكوت أنجبت هي أيضاً كثيراً من العلماء والادباء والنوابغ •

فمن هذه المدن : زندورد ـ واليها ينسب الحسن بن حيدرة بن عمر الزندوردي الفقيه المتوفى سنة ٣٥٣ (٩٦٤م) •

واسكاف بني جنيد : وقد نبغ من أهلهاأبوبكر محمد بن محمد بن أحمد بن مالك الاسكافي المتوفى سنة ٣٥٢هـ (٩٦٣م) وكان محدثاً ثقة ، وأبو الفضل رزق بن موسى الاسكافي وكان ثقة ، ومحمد بن عبدالله أبو جعفر الاسكافي أحد المتكلمين من المعتزلة وله تصانيف وقد توفي سنة ٢٠٤هـ (٨١٩م) : ومحمد بن يحيى بن هارون ابو جعفر الاسكافي المحدث ، ومحمد عبد المؤمن الاسكافي الخطيب القاضي وكان ثقة متفقهاً في مذهب مالك ، وابو الحسن أحمد بن عمر بن أحمد الاسكافي •

أما دير العاقول فقد عرف من هلها أبو يحيى عبدالكريم بن الهيثم بن زياد بن عمران القطان الدير عاقولي وكان ثقة وتوفي سنة ٢٧٨هـ (٨٩١م) •

وجرجرايا : وقد اشتهر من أهلها محمد بن الفضل الجرجرايي وزير الخليفة المتوكل ومن بعده الخليفة المستعين وكان من أهل الفضل والأدب والشعر وقد توفي سنة ٢٥١هـ (٨٦٥م) •

وجَبّل : وقد اشتهر من أهلها أبو عمران بن اسماعيل الجبلي المحدث ، والحكم بن سليمان الجبلي المحدث ، وابو الخطاب محمد بن علي بن محمد بن ابراهيم الجبلي الشاعر وقد كان من المجيدين وكان بينه وبين ابي العلاء المعري مشاعرة وتوفي سنة ٤٣٩هـ (١٠٤٨م) •

ومن المبارك : اشتهر أبو داوود سليمان بن محمد المباركي المحدث المتوفي سنة ٢٣١هـ (٨٤٥م) •

وماذرايا : وقد اشتهر من أهلها الحسين بن احمد بن رستم ويعرف بابن زينور الماذرائي الكاتب ، وكان قد احضره المقتدر لمناظرة ابن الفرات

ثم خلع عليه وولاه خراج مصر عام ٣٠٦هـ (٩١٨م) وقد توفي عام ٣١٤هـ (٩٢٦م) .

والهرث (من أعمال واسط) : وقد اشتهر من أهلها أبو الغنائم محمد بن علي بن فارس الاديب الشاعر المتوفى سنة ٥٩٢هـ (١١٩٥م) ومن شعره قوله :

يا خليلي القوافي اطّرحت ۝ فابكيا الفضل بدمع مستهل
وارثيا لي من زمان خائن ۝ ومحل مثل حالي مضمحل
ان بذل الشعر يا قائله ۝ عندكم سهل وعندي غير سهل

وزرفامية : وقد اشتهر من أهلها عبدالصمد بن يوسف بن عيسى النحوي المتوفى سنة ٥٧٦هـ (١١٨٠م)

وبرجونية (من قرى واسط) : وقد اشتهر من أهلها أبو العباس أحمد بن سالم البرجوني وهو من رواة الحديث .

والهمامية (من نواحي واسط) : وقد نبغ من أهلها أبو العباس أحمد بن ثبات الهمامي الواسطي الذي أقام أربعين سنة في المدرسة النظامية ببغداد يقرىء الناس علم الحساب والفرائض ، وصنف في ذلك كتبا كثيرة . وقد توفي سنة ٦٣١هـ (١٢٣٣م) .

وكذلك جاذر (وهي من نواحي واسط أيضاً) : وقد اشتهر من أهلها أبو الحسن علي بن الحسن الجاذري ، روى عن ابن سمعان تاريخ بحشل .

وبادرايا : وقد اشتهر من أهلها أبو المكارم المبارك بن محمد بن المعمر البادرايي وهو شيخ صالح محدث صحيح السماع توفي سنة ٥٢٢هـ (١١٢٧م) ، ويوسف بن سهل البادرايي المحدث وقد توفي سنة ٤٨٤هـ (١٠٩١م) .

وغير هؤلاء كثيرون لم نذكرهم[١٤] ممن نبغوا من أهل هذا اللواء قديماً يوم كانت الحضارة العربية في أعلى مراتبها ، وكانت الثقافة منتشرة على نطاق واسع في كل مدينة وقرية من أرض العراق .

---

(١٤) راجع المصادر السابقة .

أما في الوقت الحاضر فان نهضة ثقافية تضارع تلك قد شملت اللواء كله وكانت قد بدأت منذ أواخر العهد العثماني حيث كان في الكوت عام ١٩١٣ مدرسة ابتدائية عدد طلابها ٤٥ طالباً ، ومدرسة رشدية (متوسطة) عدد طلابها ٢٨ طالباً . وكان في البغيلة (النعمانية) في العام نفسه مدرسة ابتدائية عدد طلابها ٢٩ طالباً[١٥] .

وبعد الاستقلال زاد عـــدد المدارس ازديادا كبيرا حتى بلغ حسب احصائية عام ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ كما يلى :

١١٩	مدرسة ابتدائية للذكور .
٣٦	مدرسة ابتدائية للاناث .
٦٢	مدرسة مختلطة .
٨	مدارس مسائية .

ويبلغ مجموعها ٢٢٥ مدرسة ابتدائية في اللواء كله .

أما المدارس الثانوية فعددها حسب الاحصائية المذكورة كما يلي :

١٦	مدرسة ثانوية للذكور (منها ثلاث مدارس أهلية) .
٧	مدارس ثانوية للاناث .
٣	مدارس فنية (اثنتان منها للذكور) .

ويبلغ مجموعها ٢٦ مدرسة . أي ان مجموع مدارس اللواء الابتدائية والثانوية للذكور والاناث يبلغ ٢٥١ مدرسة يدرس فيها حوالي ٣٧ ألف طالب وطالبة من ابناء اللواء وبناته[١٦] .

الآثار والاماكن التاريخية في اللواء :

لا جرم أن الامم المتحضرة لها من آثارها المتبقية خير شاهد على ماضيها العريق وحضارتها السالفة ، ومنها الامة العربية التي لا تنفك تطاول

---

(١٥) راجع تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني لعبد الرزاق الهلالي .

(١٦) المجموعة الاحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٦٥ الصادرة عن وزارة التخطيط .

أمم العالم بحضارتها القديمة ، وخير شاهد لها ما تركته من آثار مضت عليها مئات السنين وهي قائمة تتحدى الزمن • ومن هــــذه الآثار ما كان ضمن حدود لواء الكوت وهو ما نذكره في ما يلي :

١ ـ آثار واســـط :

وهي من أهم وأقدم هذه الآثار واشهرها واوسعها • ولا عجب فـي ذلك فهي مخلفات مدينة واسط العظيمة ذات الحضارة العربية العريقة • وهي تقع في الوقت الحاضر في وسط أرض صحراوية على بعد خمسـة عشرة ميلا الى الشرق من بلدة الحي • ويبدو منها من مسافة بعيدة أثر مرتفع يعرف (بالمنارة) ويقع في شمالي المدينة بالجانب الشرقي منها وهـو أهم جزء من هذه الآثار ، ويتكون من باب فخم مبني بالآجر المنقوش وكانت تقوم على جانبيه منارتان مزخرفتان (ومن هنا جاء اسم خرائب المنارة) • وقد كانت المنارة التي في يسار الباب أعلى المنارتين واضخمهما وهي جوفاء دون الاخرى • والداخل من هذا الباب ينتهي الى مرقد واسع مثمن الشكل لازالت أركانه شاخصة ، وفي داخله ضريح كانت تقوم عليه قبة في ذلك الموضع وكان يحيط بفناء البناية حجرات صغيرة تضم قبوراً يعود تاريخها الى زمن متأخر •

وتبلغ مساحة أطلال واسط الممتدة على ضفتي مجرى دجلة القديم أكثر من ثلاثة كيلومترات مربعة (١٢٠٠ مشارة) وتمتاز هذه الاطلال بانها تمثل عدة أدوار من العصور العربية تمتد حوالي ألف عام منذ تأسيسها• كما انها تمتاز بانها آثار عـــربية اسلامية بحته • وقـــد عنيت مديرية الآثار العامة بالتنقيب في هذه الاطلال خلال ستة مواسم بين عامي ١٩٣٦ و ١٩٤٢ ، وانتهت هذه التنقيبات الى الكشف عن أربعة جوامع في الموقع الذي انشيء عليه جامع الحجاج يرجع كل منها الى دور خاص من الادوار العربية ، ومن بينها جامع الحجاج وهو أقدمها وقد تم اظهار أسسه وازاحة الاتربة عنه •

وجامع الحجاج هذا مربع الشكل طول كل ضلع منه ٢٠٠ ذراع ، شاهد في داخله أساطين من الحجر الرملي ذات نقوش جميلة الصنع ، وهو يتألف من خمس بلاطات في مصلاه ، وبلاطة في كل من جانبيه وفي مؤخره • ويتوسط الجامع صحن واسع مبلط بالآجر ، فيه ميضأة واسعة يأتيها الماء في أنابيب من الفخار ويصرف عنها بأنابيب أخرى • أما الدعامات الحجرية فهي مكونة من عدة قطع ثبتت فوق بعضها بواسطة قضبان من الحديد تربط بينها ، وقد ثبت القضيب بالرصاص ، وهي دعامات ذات نقوش جميلة •

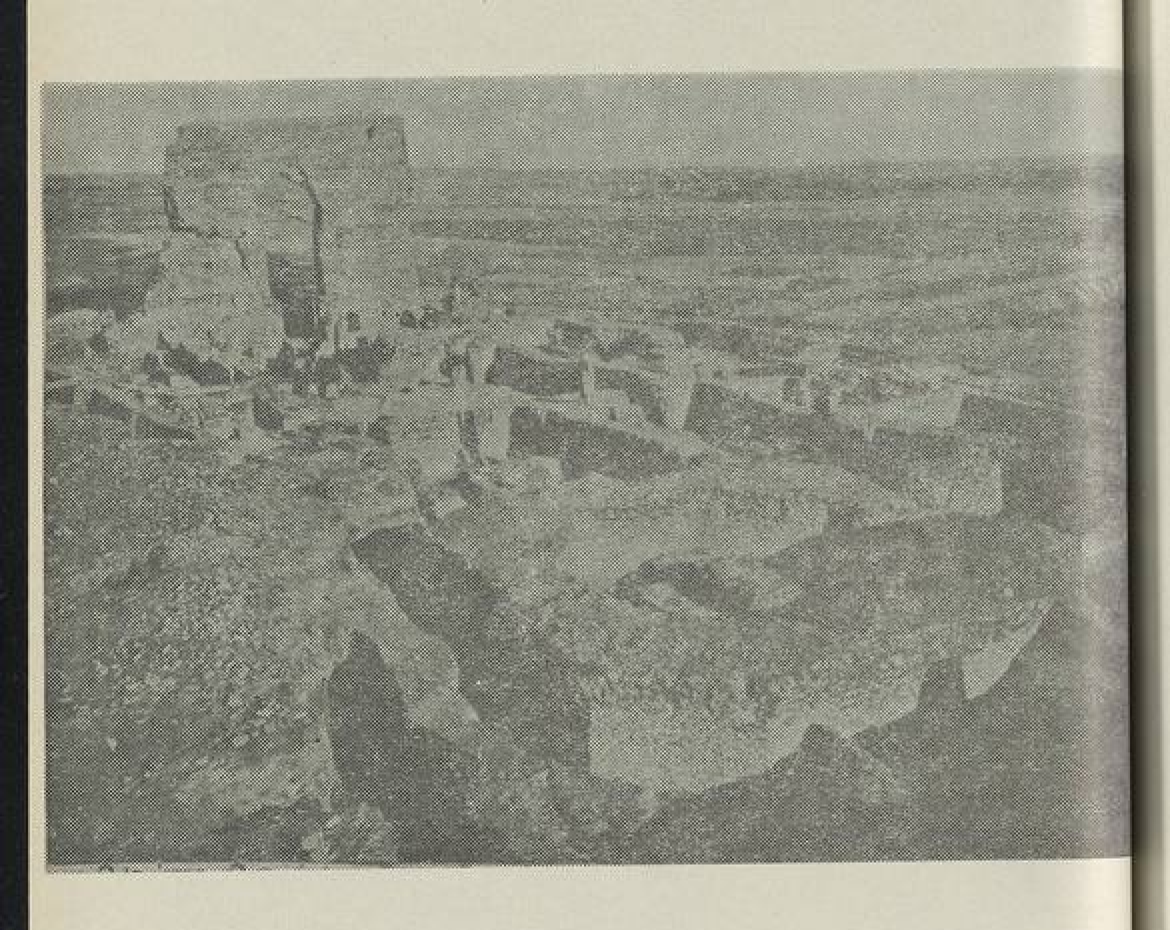
أما الجوامع الاخرى التي بنيت في موضع جامع الحجاج فقد انشئت على أسس جديدة • وكان تشييدها في عصور مختلفة تلي عصر الحجاج •

وقد جرى التنقيب عن قصر الحجاج وتم الكشف عن جزء صغير منه يتألف من الجدار الشمالي الشرقي والبرجين القائمين عند نهايتيه ، وقسم من الجدارين الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي • أما داخل القصر فقد اقتفيت فيه آثار أسس متقاطعة تقوم عليها أعمدة ترتكز عليها أروقة متناظرة •

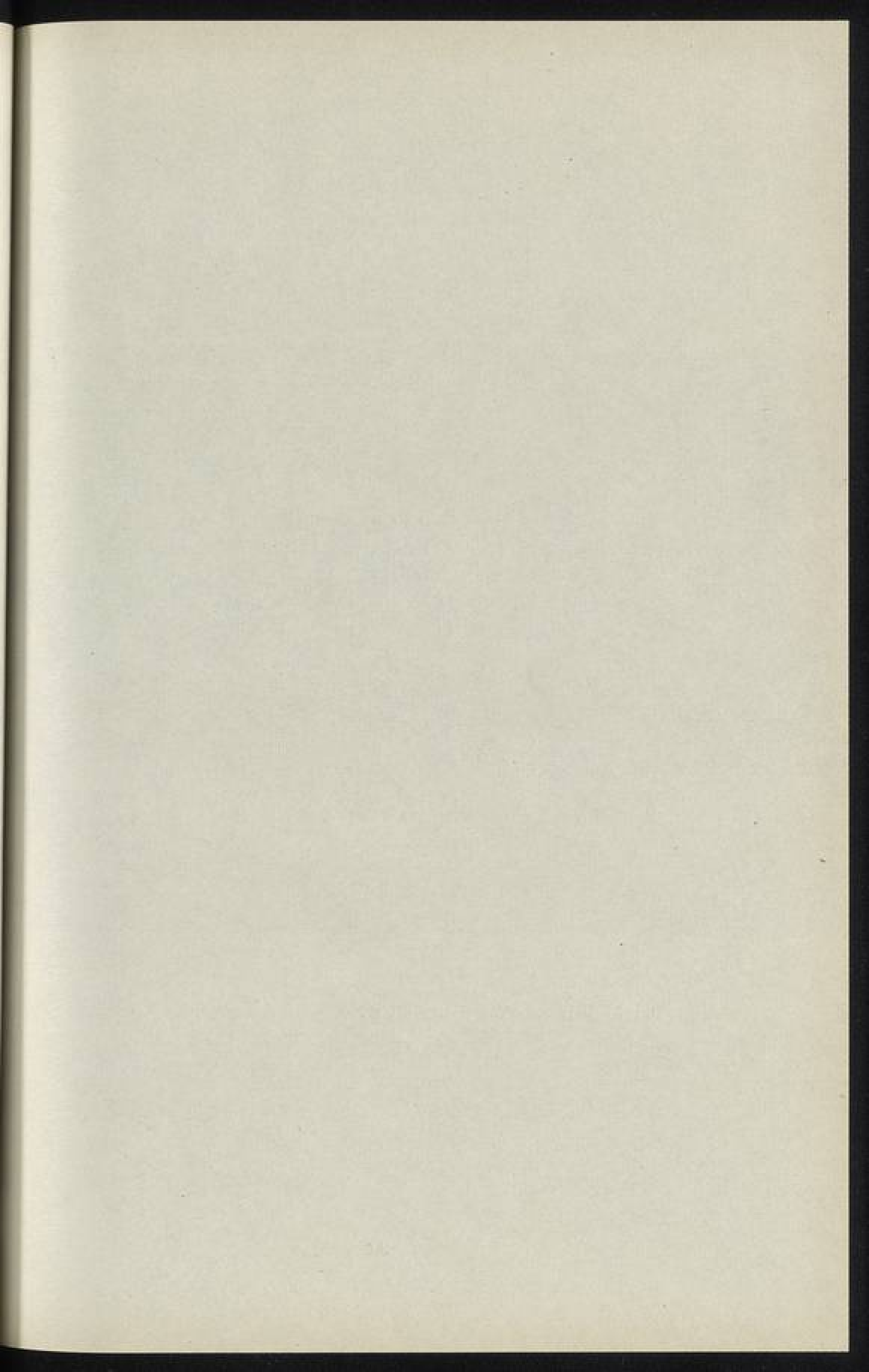
٢ ـ آثار بناية النجمي :

وتقع على بعد ١١ ميلاً غربي النعمانية في أراضي قضاء الصويرة التي تبعد عنها ٦٤ كيلومتراً ، وفي منطقة معزولة من أرض الجزيرة ، وهي بناية قديمة تحيط بها تلال رملية من جهاتها الاربع ، وتتكون البناية من قاعة مربعة الشكل طول ضلعها ١٢ متراً ، ويبلغ ارتفاع قوائمها ١٥ متراً شيدت بالجص والآجر ، وهي ذات شكل هندسي جميل مكون من عدة طبقات من الاقواس المتقاطعة والى جانبها بقايا قوس عظيم •

ويعتقد بأن موقع النجمي موقع اسلامي يرجع زمنه الى حوالي القرن السادس أو السابع للهجرة ، وانه كان مرقداً أو رباطاً لاحد شيوخ العصر السلجوقي • وأعتقد أن هذا الموقع هو الذي كان يدعى (بقبة الشيخ ابن



منظر لاطلال واسط تبدو فيه بناية المنارة والاسس المجاورة لها
(عن كتاب « واسط »)



البقلي بناحية النجمية من أعمال قوسان) وكان قد ورد ذكرها في حوادث سنة ٦٨٣هـ (١٢٨٤م)[١] ٠

٣ ـ تل العقر في بدرة :

وهو يضم آثار بادرايا القديمة ويقع على بعد كيلو مترين من بدرة الحالية ويحيط به من جهاته الاربع سور مازال واضح المعالم ٠ وفي وسط التل منخفض يشقه من الشرق الى الغرب يظن أنه كان الشارع الرئيس للمدينة ٠ وفي الجهة الغربية من الموقع تشاهد بقايا باب واسع من أبواب المدينة القديمة ٠ وقد أثرت العوامل الطبيعية في التل فشقت السيول مجاري لها وجزأت سطحه الى مرتفعات كثيرة ٠ وتكثر على سطح التل ملتقطات ذات قيمة اثرية تظهر بين حين وآخر ٠

٤ ـ تل النعمان :

ويظن بأنه يضم آثار النعمانية القديمة ، ويقع على الضفة الغربية من دجلة شمال النعمانية الحديثة بمسافة خمسة كيلومترات ٠ وتوجد على سطحه بعض الملتقطات الخزفية التي يرجع بعضها الى العهد الفرثي ٠

---

(١) جاء في حوادث هذه السنة (٦٨٣هـ ـ ١٢٨٤م) انه ظهر في سواد الحلة رجل يعرف بأبي صالح ادعى أنه (نائب صاحب الزمان) وقد ارسل ليعلم الناس انه قد قرب ظهوره ، فكثر جمعه وانضم اليه خلق كثير ٠ فقصد بلاد واسط واخذ من اموال الناس شيئا كثيرا ٠ فارسل اليه صدر واسط فخر الدين بن الطراح بأن يرحل عن موضعه ويحفظ نفسه ومتى تأخر انفذ العساكر لقتاله ٠ فرحل وقصد الحلة ، فأخرج اليه صدرها ابن محاسن جيشا بقيادة ولده لمحاربته ، فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل ابن محاسن وجماعة من أصحابه وانهزم الباقون ٠ وتوجه عندئذ أبو صالح الى قبة الشيخ ابن البقلي بناحية النجمية من أعمال قوسان فقتل كل من بها من الفقراء والصالحين ، ونهب أموال أهل الناحية ٠ فبلغ الخبر شحنة العراق ، فأرسل عساكره وأحاط به وبأصحابه فقتلهم وحمل رأس ابي صالح الى بغداد (تاريخ العراق بين احتلالين ـ ج١ ص٣٢٨) ٠

٥ ـ تل الولاية :

ويقع في جنوب ناحية الاحرار ، وهو تل أثري يبلغ طوله نحـــو كيلومترين وعرضه كيلو متر واحد ، وارتفاع أعلى نقطة فيه أكثر من أربعة أمتار •

٦ ـ تل الرغلة :

ويقع جنوب تل الولاية ، وآثارهما من عصر واحد •

٧ ـ تل سابس :

في منطقة الدجيلة جنوب شرق الكوت بمسافة ١٧ كيلومتراً وهــو تل اسلامي مهم يضم آثار بلدة نهر سابس ، ولم يجر عليه التنقيب بعــد ويبلغ ارتفاعه حوالي ٢٠ ـ ٣٠ متراً وتبلغ مساحته ٧٠ ألف متر مربع وهو غني بالملتقطات السطحية •

٨ ـ آثار منطقة العزيزية :

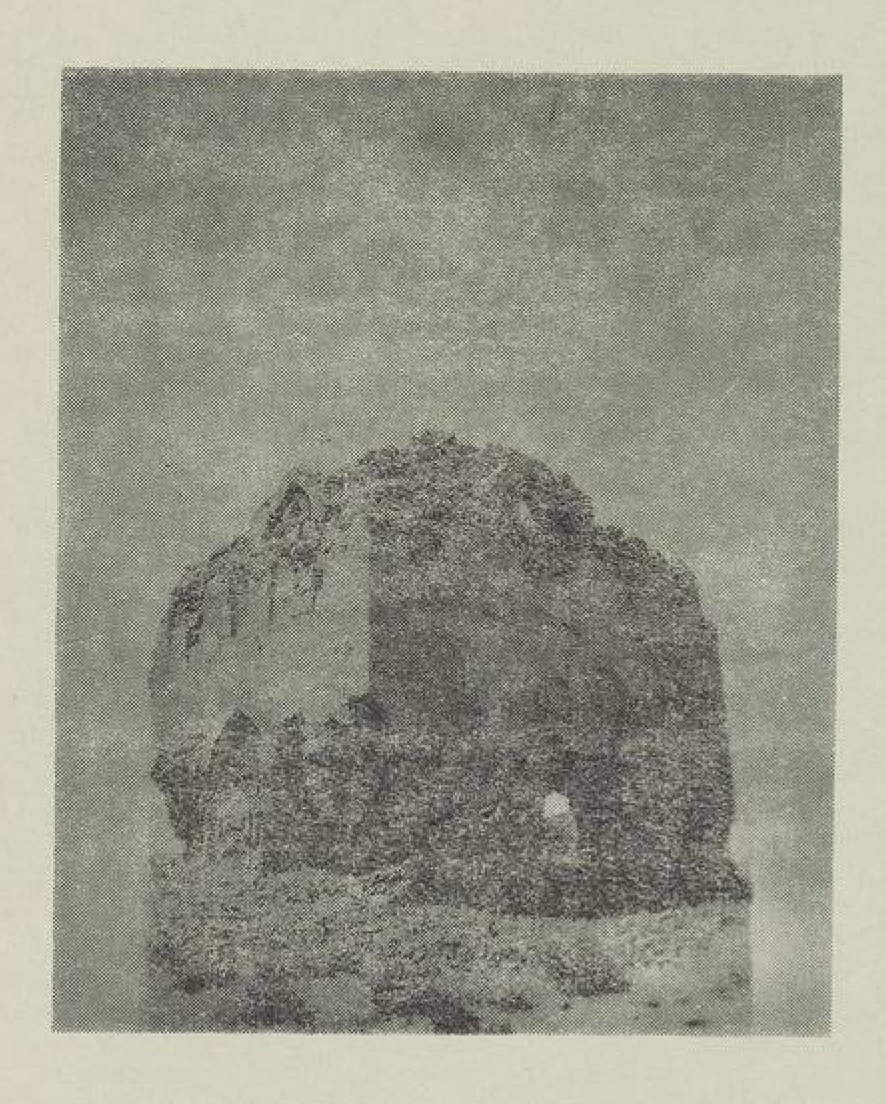
وتقع شمال بلدة العزيزية الحالية على مجرى النهروان وتشمل آثار الشاذروان وسكاف والقرى الثلاث وهي آثار ترجع الى العهد العـــربي الاسلامي •

٩ ـ تل مريس :

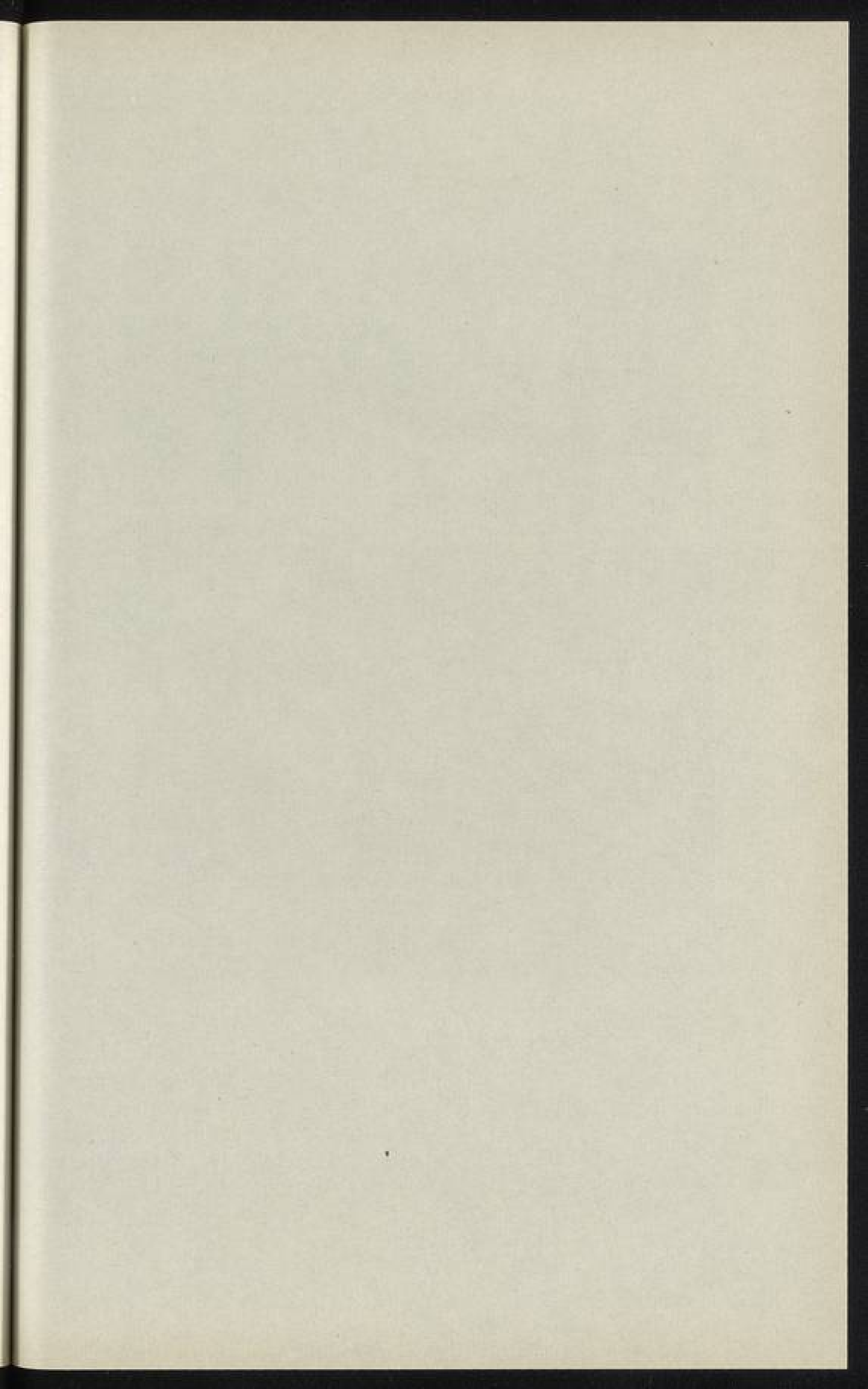
شمال بدرة بحوالي ١٥ كيلومترا ويعتبر من المواقع الاثرية المهمة التي تمثل أقدم حضارة ظهرت في القسم الجنوبي من العراق •

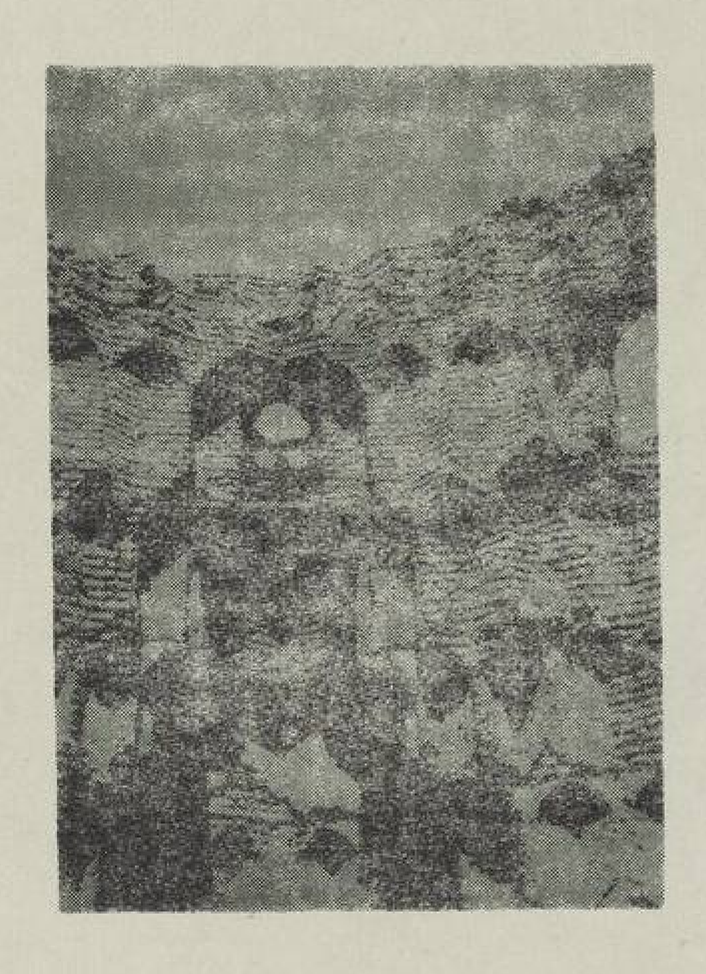
١٠ ـ ابو شجير :

في منطقة المزاك شمال غربي الكوت في الجانب الايمن من دجلة ، في الجزيرة • وكذلك أبو خميس في المنطقة نفسها •

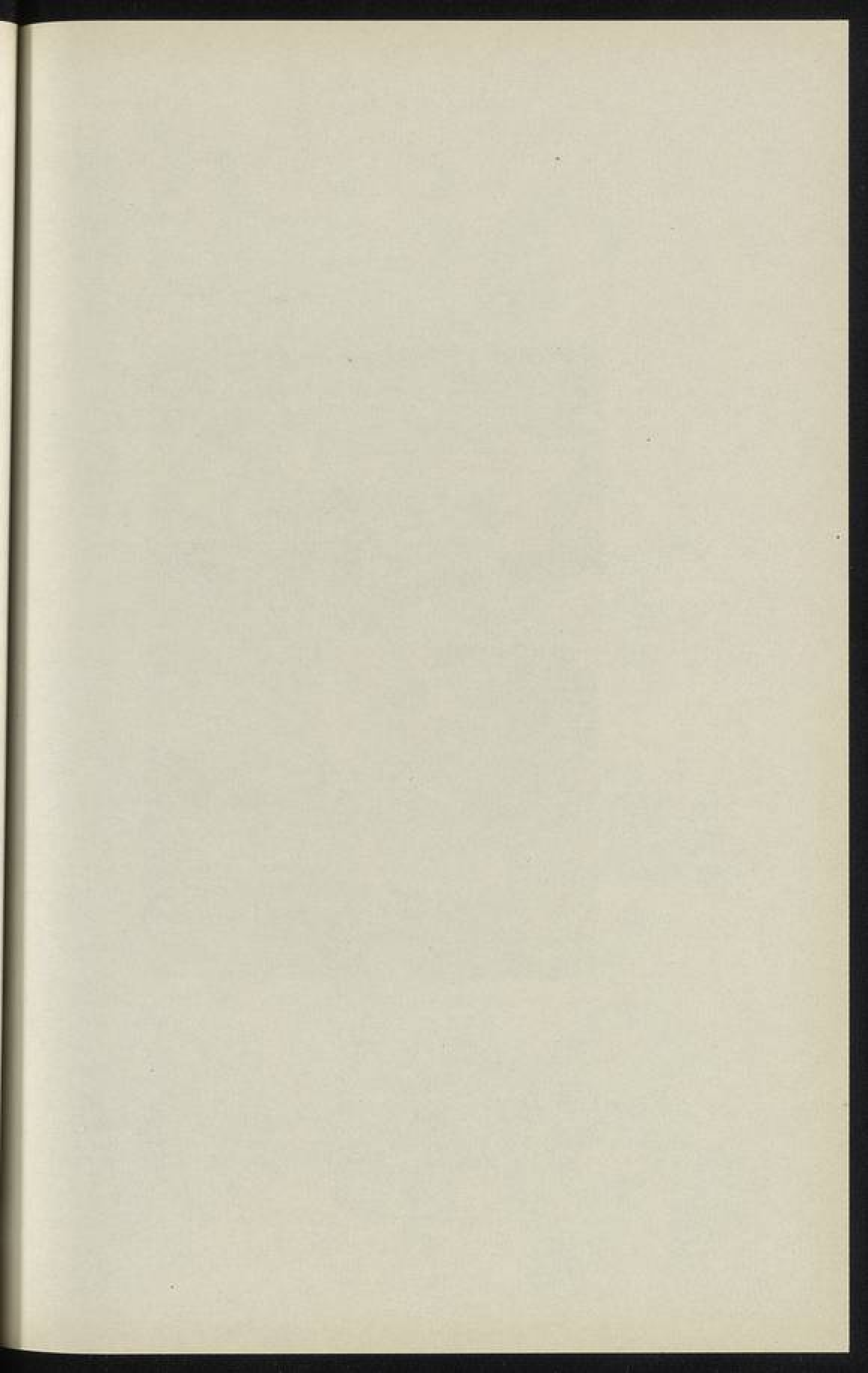


بناية النجمي من الخارج





بناية النجمي من الداخل



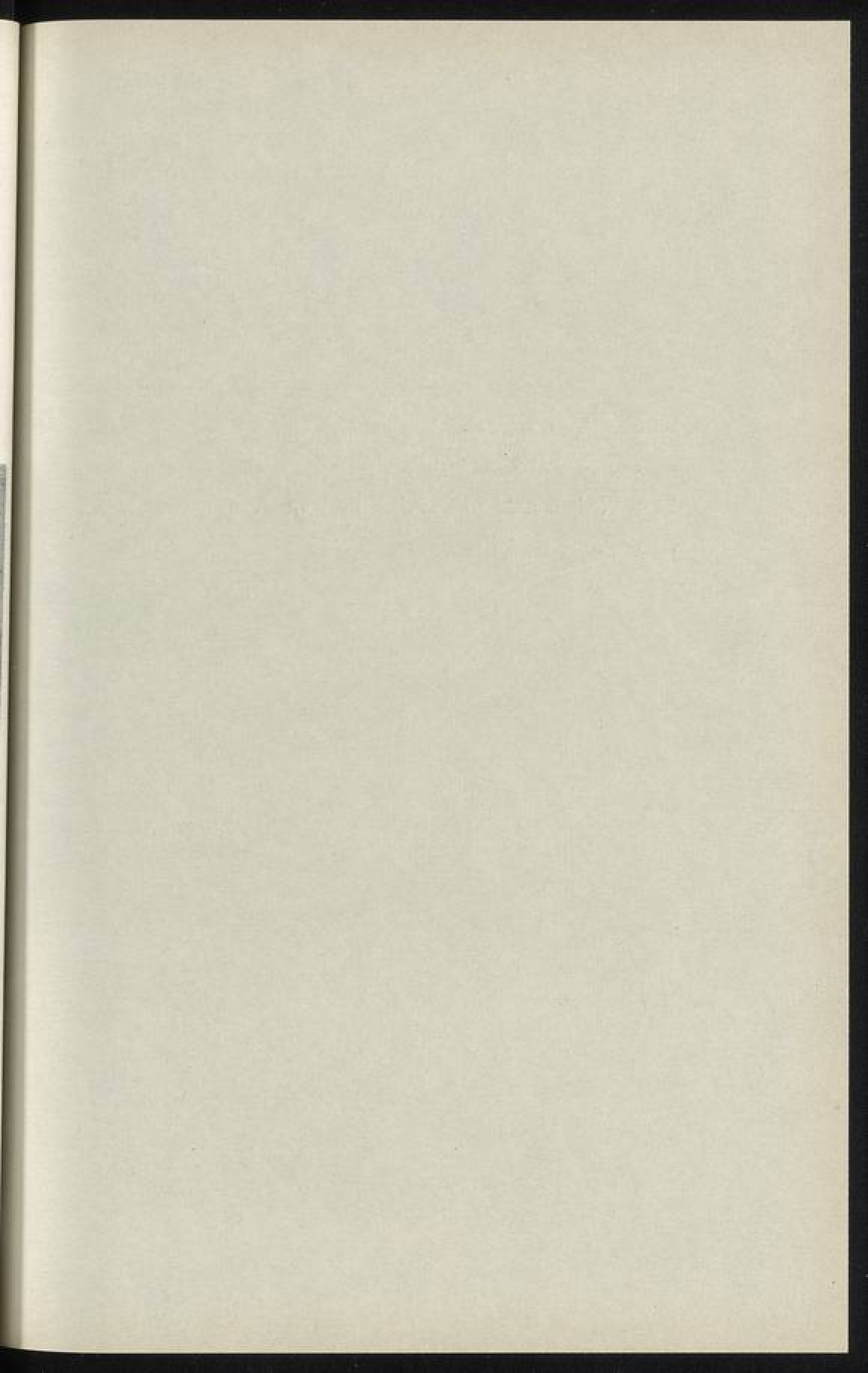
١١ ـ العقير :

جنوب غربي الصويرة على مسافة ١٥ كيلومتراً منها •

١٢ ـ تل الاخي :

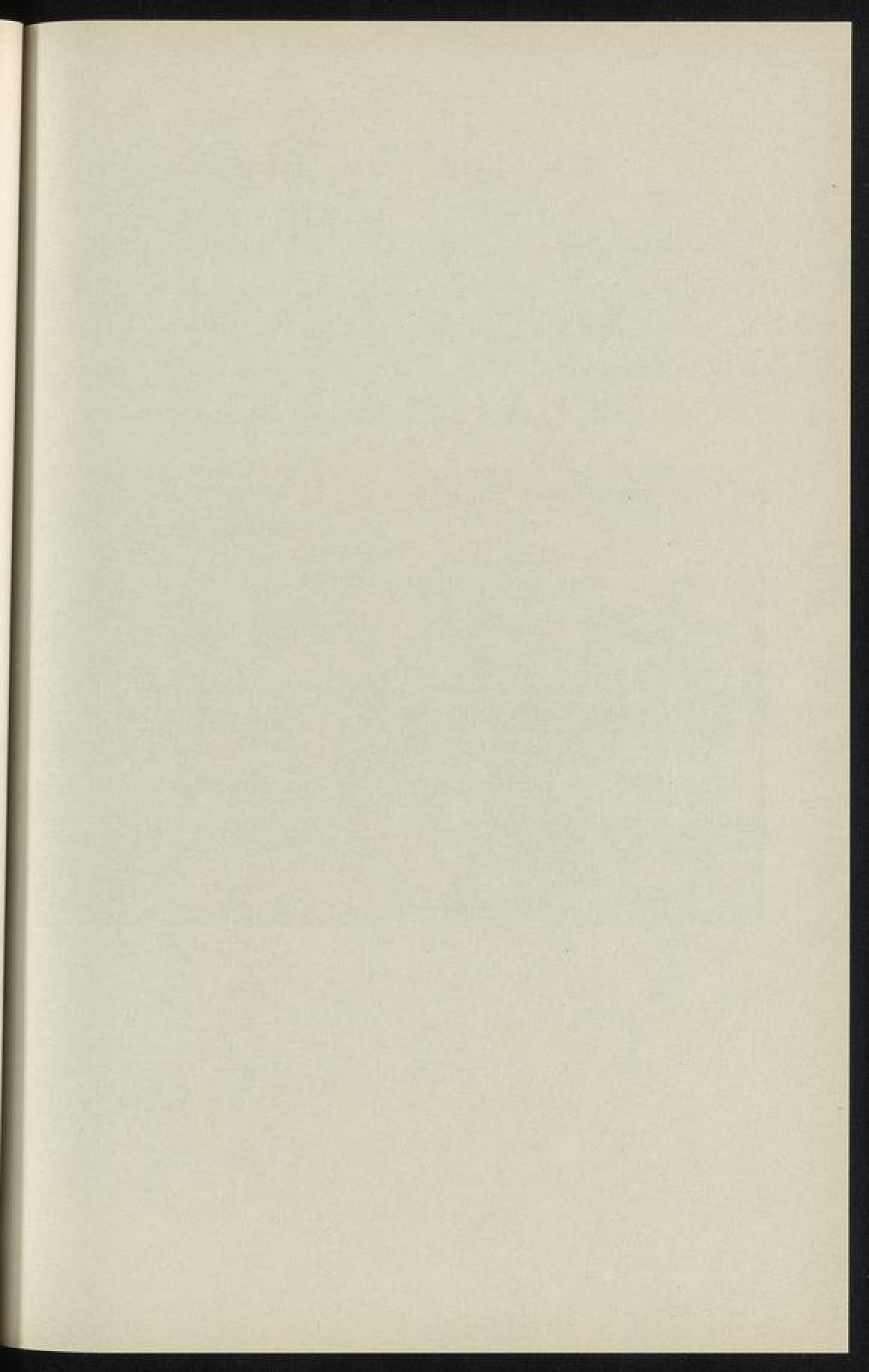
في شمال البسروكية ويرجع زمنه الى العهد الفرثي •

وهناك مناطق أثرية أخرى أقل أهمية مما ذكرنا ، وأكثرها لم يلتفت اليها بأية عناية حتى الآن ، كما لم يجر التنقيب عنها بعد ، بل تركت تحت رحمة العابثين من الأعراب ، وتأثير العوامل الطبيعية المخربة لها ، وهي يمكن أن تكون في يوم من الايام مواقع سياحية يقصدها الناس من كل مكان للاطلاع على حضارتنا ، ولا عجب في ذلك : فهذه آثارنا تدل علينا •





تل النعمان خارج النعمانية



متصرفو لواء الكوت في العهد الوطني

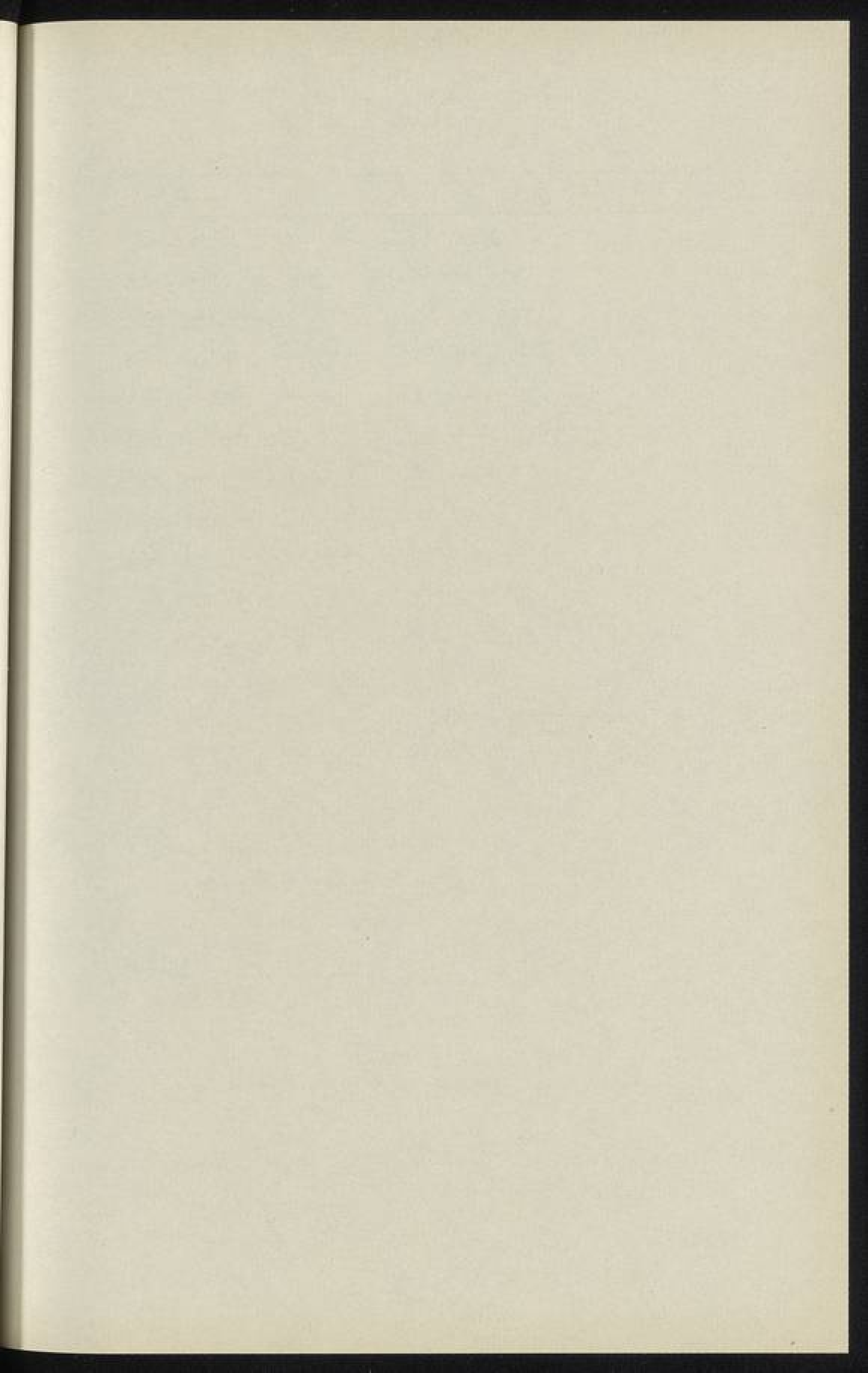
بعد أن اعلن استقلال العراق وقامت فيه حكومة وطنية تتولى ادارته ، قسمت البلاد الى أربعة عشر لواء يكون لواء الكوت أحدها ، ويقوم بادارة كل لواء من هذه الالوية متصرف . وقد تعاقب على ادارة لواء الكوت عدد كبير من المتصرفين ابتداء من ١٠/كانون الثاني/١٩٢٢ حتى الوقت الحاضر . اما قبل هذه الفترة اي خلال الحكم العثماني فلم يكن لهذه المنطقة كيان مستقل في معظم الاحيان ، ولم تكن لتحكم وفق نظام معين الاخلال فترات قصيرة من الزمن ، ولذلك فمن الصعب تتبع اسماء الحكام أو المتصرفين الذي تولوا ادارة هذا الجزء من الوطن آنذاك .

ونذكر في ما يلي اسماء المتصرفين الذين تعاقبوا على ادارة هذا اللواء خلال الفترة التالية لتأسيس الحكم الوطني وهم حسب ترتيب تعيينهم :

الاسم	تاريخ المباشرة
١ ـ عبدالعزيز القصاب	١٠ كانون الثاني ١٩٢٢
٢ ـ احمد حالة	٢٢ شباط ١٩٢٢
٣ ـ ناجي شوكة	٣ تشرين اول ١٩٢٢
٤ ـ عبدالله احمد الصانع	١٢ حزيران ١٩٢٣
٥ ـ احمد حالة	٢٧ ايلول ١٩٢٤
٦ ـ ابراهيم البكر	١٤ ايار ١٩٢٥
٧ ـ عباس فضلي	٢٣ كانون الثاني ١٩٢٧
٨ ـ تحسين علي	١٥ آذار ١٩٢٨
٩ ـ عمر نظمي	٢٦ نيسان ١٩٣٠
١٠ـ محمود اديب	٢٨ نيسان ١٩٣١
١١ـ احمد زكي الخياط	٢١ تموز ١٩٣١

الاسم	تاريخ المباشرة
١٢ـ خيري الهنداوي	٢٣ نيسان ١٩٣٢
١٣ـ ماجد مصطفى	٢٧ ايلول ١٩٣٤
١٤ـ عبدالحميد عبدالمجيد	٨ نيسان ١٩٣٥
١٥ـ جميل باشا الراوي	١٩ تشرين اول ١٩٣٥
١٦ـ جعفر حمندي	١٧ آذار ١٩٣٦
١٧ـ احمد زكي الخياط	٢٤ كانون اول ١٩٣٦
١٨ـ عبدالرزاق حلمي	١٨ آذار ١٩٣٧
١٩ـ ماجد مصطفى	٤ ايلول ١٩٣٧
٢٠ـ جعفر حمندي	١٢ آب ١٩٣٨
٢١ـ خالد محمود الزهاوي	١ آب ١٩٣٩
٢٢ـ سعد صالح	١١ تموز ١٩٤٠
٢٣ـ محمد صالح حمام	١٦ تشرين ثاني ١٩٤١
٢٤ـ امين خالص	٢٩ تشرين ثاني ١٩٤١
٢٥ـ داود سلمان	٥ ايلول ١٩٤٢
٢٦ـ توفيق النائب	٩ شباط ١٩٤٣
٢٧ـ مصطفى عمر اليعقوبي	٤ تشرين ثاني ١٩٤٣
٢٨ـ نعوم رزوق	١ ايلول ١٩٤٤
٢٩ـ عمر حفظي الملي	١٤ تشرين ثاني ١٩٤٤
٣٠ـ محمد سعيد القزاز	٢١ ايلول ١٩٤٦
٣١ـ حامد الخطيب	١١ كانون الثاني ١٩٤٨
٣٢ـ عباس عبداللطيف البلداوي	٢٥ نيسان ١٩٤٨
٣٣ـ طاهر القيسي	٢٠ آب ١٩٥٢
٣٤ـ حسين كبة	٧ تموز ١٩٥٤
٣٥ـ عبدالحليم السنوي	٢٢ آذار ١٩٥٥

الاسم	تاريخ المباشرة
٣٦ـ اسماعيل رسول	٢١ تشرين اول ١٩٥٦
٣٧ـ مشكور ابو طبيخ	٢ تموز ١٩٥٨
٣٨ـ حسين العمري	١٦ تموز ١٩٥٨
٣٩ـ علي مهدي حيدر	٢١ كانون الثاني ١٩٥٩
٤٠ـ عبداللطيف الدراجي	٢٢ آب ١٩٥٩
٤١ـ عبدالمجيد توفيق	٣٠ نيسان ١٩٦١
٤٢ـ حسن الحاج وداي	٢٣ شباط ١٩٦٣
٤٣ـ أحمد الشاوي	١٤ نيسان ١٩٦٣
٤٤ـ يونس عبدالرزاق السامرائي	٤ نيسان ١٩٦٤
٤٥ـ أنور ثامر	٧ أيار ١٩٦٤
٤٦ـ محسن الرفيعي	١٤ تشرين ثاني ١٩٦٦ ولا يزال



فهرست المصادر

١ ـ آثار البلاد وأخبار العباد ـ القزويني ـ ط ٠ دار صادر ودار بيروت ٠

٢ ـ اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ـ ستيفن هيمسلي لونكريك ـ ترجمة جعفر خياط ـ بغداد ١٩٦٢ ٠

٣ ـ أرض السواد ـ أحمد علي الصوفي ـ الموصل ١٩٥٥ ٠

٤ ـ الاعلاق النفيسة ـ أبو علي بن رسته ـ ط ليدن ٠

٥ ـ الاعلام ـ خيرالدين الزركلي ـ القاهرة ١٩٥٩ ٠

٦ ـ الاقطاع في لواء الكوت ـ محمد علي الصوري ـ بغداد ١٩٥٨ ٠

٧ ـ البلدان ـ أحمد بن ابي يعقوب بن واضح اليعقوبي ـ ط ٠ ليدن ٠

٨ ـ التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ـ ابن الأثير الجزري ـ القاهرة ١٩٦٣ ٠

٩ ـ تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ـ عبدالرزاق الهلالي ـ بغداد ١٩٥٩ ٠

١٠ـ تاريخ الخلفاء ـ جلال الدين السيوطي ـ القاهرة ١٩٦٤ ٠

١١ـ تاريخ الطبري ـ محمد بن جرير الطبري ـ القاهرة ١٩٣٩ ٠

١٢ـ تاريخ العراق بين احتلالين ـ عباس العزاوي ـ بغداد (١٩٣٥ ـ ١٩٥٦) ٠

١٣ـ تاريخ علم الفلك في العراق ـ عباس العزاوي ـ بغداد ١٩٥٨ ٠

١٤ـ تاريخ العمارة وعشائرها ـ عبدالكريم الندواني ـ بغداد ١٩٦١ ٠

١٥ـ تاريخ الكويت السياسي ـ حسين خلف الشيخ خزعل ـ بيروت ١٩٦٢ ٠

١٦ـ تاريخ المشعشعين وتراجم اعلامهم ـ جاسم حسن شبر ـ النجف ١٩٦٥ ٠

١٧ـ تاريخ مقدرات العراق السياسية ـ محمد طاهر العمري ـ بغداد ١٩٢٥ ٠

١٨ـ تاريخ واسط ـ أسلم بن سهل الرزاز المعروف ببحشل ـ مخطوط ٠

١٩- تطور الري في العراق - أحمد سوسه - بغداد ١٩٤٦ •
٢٠- تكملة تاريخ الطبري - محمد بن عبدالملك الهمداني - بيروت ١٩٦١•
٢١- تكوين الحكم الوطني في العراق (مذكرات السير برسي كوكس) الموصل ١٩٥١ •
٢٢- ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد - أحمد علبي - بيروت ١٩٥٩ •
٢٣- جريدة البلاد - عدد ١٢٥ في ٧ نيسان ١٩٣٠ •
٢٤- جريدة الزوراء - بغداد - ٢٥ ذي القعدة ١٣١٨هـ •
٢٥- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة - المنسوب الى ابي الفضل بن الفوطي - بغداد ١٣٥١هـ •
٢٦- الخراج - قدامة بن جعفر - ط • ليدن •
٢٧- دراسات في العصور العباسية المتأخرة - عبدالعزيز الدوري - بغداد ١٩٤٥ •
٢٨- الدررالكامنة في أعيان المائة الثامنة - ابن حجر العسقلاني - ط • الهند ١٣٤٩هـ •
٢٩- الدليل العراقي الرسمي سنة ١٩٣٦ - بغداد •
٣٠- دليل المتحف العراقي - الدكتور فرج بصمهجي - بغداد ١٩٦٠ •
٣١- دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء - الشيخ رسول الكركولي - مطبعة كرم - بيروت •
٣٢- الديارات - ابو الحسن علي بن محمد الشابشتي - بغداد ١٩٥١ •
٣٣- رحلات الى العراق - السير وليس بدج - ترجمة فؤاد جميل - بغداد ١٩٦٦ •
٣٤- رحلة ابن بطوطة - ابو عبدالله محمد الطنجي المعروف بابن بطوطة - القاهرة ١٩٥٨ •
٣٥- رحلة تافرنيه - ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد - بغداد ١٩٤٤ •
٣٦- رحلة المنشي البغدادي - وهو السيد محمد بن السيد احمد الحسيني - ترجمة عباس العزاوي - بغداد ١٩٤٨ •

٣٧- ري سامراء في عهد الخلافة العباسية - أحمد سوسه - بغداد ١٩٤٩ .
٣٨- سعيد بن جبير شهيد واسط - علي بن الحسين الهاشمي النجفي - بغداد ١٣٨٠هـ .
٣٩- صلة تاريخ الطبري - عريب بن سعد القرطبي - القاهرة ١٩٣٩ .
٤٠- العراق قديما وحديثا - عبدالرزاق الحسني - صيدا ١٩٤٨ .
٤١- عشائر العراق - عباس العزاوي - بغداد ١٩٥٦ .
٤٢- عصر السلطان عبدالحميد وأثره في الأقطار العربية - اصدرته المكتبة الهاشمية بدمشق - ١٩٣٩ .
٤٣- العقد الفريد - ابن عبد ربه - القاهرة ١٩٢٨ .
٤٤- عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب - جمال‌الدين الحسني المعروف بابن عنبه - النجف ١٩٦١ .
٤٥- العهد القديم - سفر الملوك الثاني .
٤٦- فتوح البلدان - أحمد بن يحيى البلاذري - القاهرة ١٩٠١ .
٤٧- فصول من تاريخ العراق القريب - المس غيرترود بيل - ترجمة جعفر خياط - بيروت ١٩٤٩ .
٤٨- الكامل في التاريخ - ابن الاثير الجزري - القاهرة ١٣٥٣هـ .
٤٩- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون - مصطفى بن عبدالله المعروف بحاجي خليفة - استانبول ١٩٤١ .
٥٠- مباحث عراقية - يعقوب سركيس - بغداد ١٩٤٨ .
٥١- مجلة بغداد - تشرين أول ١٩٦٤ .
٥٢- مجلة سومر - ١٩٥١ ، ١٩٦٠ .
٥٣- مجلة لغة العرب - بغداد - تموز ١٩٣٠ .
٥٤- مجلة المجمع العلمي العراقي - بغداد - أيلول ١٩٥٠ .
٥٥- مجلة المشرق - عام ١٩٠٤ - العدد ١٠ .
٥٦- مجلة المقتطف - عام ١٩١٧ - العدد ٥٠ .
٥٧- المجموعة الاحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٦٥ - دائرة الاحصاء المركزية في وزارة التخطيط - بغداد .

٥٨- محاربتي في العراق (خواطر طونزند) - الفريق الثاني جارلس ف. طونزند - ترجمة عبدالمسيح وزير - بغداد ١٩٢٣ .

٥٩- مختصر مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داوود - الشيخ عثمان بن سند البصري - اختصره الشيخ أمين بن حسن الحلواني - القاهرة ١٣٧١هـ .

٦٠- المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة - ناجي معروف - بغداد ١٩٦٥ .

٦١- مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع - صفي‌الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق - تحقيق علي محمد البجاوي - القاهرة ١٩٥٤ .

٦٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر - علي بن الحسين المسعودي - القاهرة ١٩٥٨ .

٦٣- المسالك والممالك - ابو القاسم بن خرداذبه - ط . ليدن .

٦٤- مشاهدات بريطاني عن العراق - جاكسون - ترجمة سليم طه التكريتي - بغداد - مطبعة الاسواق التجارية .

٦٥- معجم البلدان - شهاب‌الدين بن عبدالله الحموي - بيروت ١٩٥٥ .

٦٦- مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء - ياسين بن خيرالله العمري - بغداد ١٩٦٦ .

٦٧- واسط - فؤاد سفر - القاهرة ١٩٥٢ .

٦٨- : BESIEGED IN KUT AND AFTER
BY MAJOR CHARLES H. BARBER

٦٩- : IN KUT AND CAPTIVITY
BY MAJOR E.W.C. SANDES
LONDON 1920

فهرست الاعلام

(أ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص – ض)

(ط)

(ع)

(ن)

(و)

(هـ)

فهرست الشعوب والقبائل والطوائف

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع – غ)

فهرست المدن والاماكن

(ت)

(ر)

(ز)

(س)

(ل)

(م)

(ن)

مُحتوياتُ الكتابْ

